

# مجلة المجمع العلمي العربي

٨ شعبان سنة ١٣٧٤

١ نيسان سنة ١٩٥٥

## جرير - ١ -

هو أبو حزرّة جرير بن عطية بن الخطّفى ، واسم الخطّفى حذيفة  
وانما لقب بالخطّفى لقوله من أرجوزة :

«وعنقاً بعد الرسم ختيطفا<sup>(١)</sup>»

ينتهي نسب جرير الى كليب بن يربوع ، وكليب يربوع بطنان من تميم  
إحدى قبائل العرب المضربة . وأم جرير أم قيس بنت معيد من بني كليب ،  
فهو كليبى من أبويه .

ولد جرير بالجامعة من نجد حوالي سنة ثلاثين ، وحمات به أمه صبعة أشهر ،  
وعيسره الفرزدق ذلك بقوله :

«وأنت ابن صفرى لم تتم شهرها»

(١) نقاض جرير والفرزدق ج ١ ص ١ والاشتقاق لابن دريد ص ١٤١ .  
والخطّفة : السرعة .

ونسج الرواة حول تسميته بجرير خبراً رواه صاحب الأغانى (١) وهو :  
 « رأت أم جرير وهي حامل به كأنها ولدت حبلاً من شعر أسود ، فلما سقط  
 منها جمل ينزو فيقع في عنق هذا فيخنقه ، حتى فعل ذلك برجال كثير .  
 فانتبهت فزعة ، فأولت الرؤيا ، فقيل لها تلدين غلاماً شاعراً ذا شمرٍ وشكيمةٍ  
 وبلاءٍ على الناس . فلما ولدته سمته جريراً باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها .  
 والجرير : « الحبل » وكانت ترفسه وهو طفل بقولها :

قصتُ رؤياي على ذاك الرجلُ فقال لي قولاً وليت لم يقلُ  
 لتلدنَّ عضةً من العضلُ ذا منطقٍ جزلٍ إذا قال فصلُ  
 مثل الحسام العضب ما مسَّ فصلُ يعدلُ ذا الميلُ وإنما يعدلُ  
 أما أبوه عطية فلم يكن ذا شأنٍ يذكرُ ، بل وصفوه بالمهانة والشح ،  
 ورووا أن جريراً كان عاقلاً له ، وأنه كان يقول الشعر ولكنه لم يشتهر به ،  
 ذكره المرزباني في معجم الشعراء ص ٢٩٧ وروى صاحب النقااض شيئاً  
 من شعره (٢) .

وأما الخطفي جد جرير فقد كان يقول الشعر أيضاً ، ولقب كما تقدم  
 بيت قاله من أرجوزة ، وكان أعلى شأنًا من عطية لم يرم بما يعنيه ، بل  
 كان حفيده جرير يفخر به على الفرزدق قال :

بنى الخطفي حتى رضينا بناه فهل أنت إن لم يرضك القينُ قائله (٣)  
 وذكر محمد بن حبيب أن الخطفي كان ذا مالٍ كثير .

وأما كليب - القبيلة التي ينتسب إليها جرير - فلم يكن يفخر بها لقلة  
 ماثرها ، ولم يذكرها في شعره إلا قليلاً قال :

(١) الأغانى ج ٨ ص ٤٩ .

(٢) النقااض ج ١ ص ٢ .

(٣) ديوان جرير طبعة الصاوي ص ٤٨٣ .

« ويرى فضلاً عن كليب جريرها »<sup>(١)</sup>

بل كان يتخطاها الى يربوع فيفخر بها في مواضع كثيرة من شعره .  
نشأ جرير بالهامة نشأة بدوية ، فكان يرعى الغنم لأبيه ، وقال الشعر في  
حياة أبيه وجده . ورد في النقائض<sup>(٢)</sup> أن أول شعر قاله جرير أرجوزة يهجو  
بها غسان السليطي أولها :

« لا تحسبني عن صليط غانلا »

وقال محمد بن حبيب بل إن أول شعر قاله قصيدة مطلعها :

ألا حي رهي ثم حي المطالبا فقد كان مانوصاً فأصبح خاليا  
وهي عتاب لجده الخطفتي ، وذلك أنه استنحله من ماله - وكان ذا مال  
كثير - فقال أنحلك كما نحل عميك عطاءً وحزاماً ، وكان ينحل كل واحد  
من بنيه ربع ماله ، وكان الربع في هذا العام قليلاً ؛ فتسخطه جرير وقال :  
قد صرتُ شيئاً من بنيك وأبا عميال ، وعاتبه واستزاده فلم يزدده ، وفي تلك  
القصيدة يقول جرير :

فردي جمال الحي ثم تحملي فمالك فيهم من مقام ولا ليا  
وإني لمفرورٌ أعل بالسنى ليالي أرجو أن مالك ماليا  
فأنت أبي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت أبقت أن لا أباليا

وكان ذلك في خلافة معاوية ، لأن يزيد بن معاوية تمثّل بأبيات منها أمام  
أبيه . أما أبياتها الأخيرة التي يهجو بها الفرزدق فقد روي أن جريراً ألحقها  
بالقصيدة بعد عشرين سنة .

وظل جرير غير مشهور حتى وقعت المهاجاة بينه وبين الفرزدق في أواخر أيام

(١) ديوان جرير ص ٢٩٤ .

(٢) نقائض جرير والفرزدق ص ٢ .

معاوية ، وروي أن جريراً قدم على يزيد في خلافته فاستؤذن له مع الشعراء ، فأصر يزيد ألا يدخل عليه شاعر إلا من عرف شعره ، فقال جرير قولوا له أنا القائل :

فردى جمال الحى ثم تمحلي فمالك فيهم من مقامٍ ولا ليا  
 الأبيات ... وكان يزيد عاب أباه بهذه الأبيات ونسبها الى نفسه لأن  
 جريراً لم يكن شعره شهر حينئذ . فأمر بإدخاله ، فلما أنشده قال يزيد :  
 لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب إلا أني فائلها . وأمر له بجائزة وكسوة<sup>(١)</sup> .  
 على أنه ليس في ديوان جرير المطبوع شيء مدح به جرير يزيد بن معاوية .  
 ولم يرو عن جرير بعد ذلك أنه اتصل بأحد من الخلفاء أو عمالهم الى أن  
 وفد على الحكم بن أيوب الثقفي ابن عم الحجاج وزوج أخته وخليفته على البصرة ،  
 فمدحه بأرجوزة يقول فيها :

... حتى تناهين الى باب الحكم خليفة الحجاج غير المهم  
 فأعجبه ظرفه وشعره ، فكتب الى الحجاج انه قدم عليّ أعرابي شيطان من  
 الشياطين ، فكتب اليه أن ابث به إليّ ، ففعل ؛ فقدم جرير على الحجاج  
 فأكرمه - ولجرير عدة قصائد يمدحه بها - وقدمه الحجاج الى عبد الملك بن  
 مروان بدمشق مع ابنه محمد بن الحجاج ، فحجبه عبد الملك - وكان لا يسمع  
 من شعراء مضر لأنهم كانوا زبيرية - فشفع له محمد وقال إنه لم يكن ممن  
 والى ابن الزبير ولا نصره بيده ولا لسانه ، وما زال به حتى أذن له وسمع  
 قصيدته وأجازها عليها وهي التي يقول فيها :

أستم خير من ركب المطايا وأندى المالمين بطونٍ راح  
 ولجرير في عبد الملك عدة قصائد أيضاً . ومنذ ذلك الحين أصبح من شعراء

(١) الأظاني ج ٨ ص ٥٥ .



بني أمية يفد على خلفائهم ويمدحهم واحداً بعد واحد ، فقد مدح بمد عبد الملك  
أبناءه الأربعة الوليد وصليان ويزيد وهشاماً ؛ ومدح عمر بن عبد العزيز كما مدح  
طائفة من أمراء بني أمية وولاتهم .

وربما كان أعظم حوادث حياته المهاجاة التي وقعت بينه وبين الفرزدق  
واستمرت نحواً من خمسين سنة ، وكان يتاصر الفرزدق جيش من الشعراء  
يتجاوز عددهم الأربعين ، فصمد لم جرير وحده وأسقطهم واحداً بعد واحد ،  
ولم يثبت له إلا الفرزدق والأخطل .

وكان لجرير إخوة ذكر منهم عمرو وكان أكبر من جرير ويقول الشعر ،  
وأبو الورد وحكيم وقد ذكروا جرير في شعره . قال صاحب الأغاني (١) :  
أما أبو الورد فكان يحد جريراً فذهبت لجرير إبل فثمت به أبو الورد ،  
فقال جرير :

أبا الورد أبقى الله منها بقيةً      كفت كل لؤامٍ خذولٍ وحاسدٍ  
وقال بعاب حكيماً وعمراً :

رأيتك يا حكيم علاك شيبٌ      ولكن ما لحلمك لا يثوبٌ (٢)  
وعمرٌ وقد كرهت عتابَ عمرو  
وقد مانا قبه فرثاهما بقوله :

خليبي كم من زفرةٍ قد رددتها      ومن ظلمةٍ وارت عليّ نصحي حجراً (٣)  
إذا مادعا قومٌ عليّ أخامٌ      دعوتُ فلم أسمع حكيماً ولا عمراً  
وزوجات جرير : أم حزره وهي خالدة بنت سمد بن أوس من بني كليب ،

(١) الأغاني ج ٨ ص ٥٠ .

(٢) ديوان جرير ص ٣٨ .

(٣) ديوان جرير ص ٢٢٢ .

كان جرير يحبها كثيراً ويتغزل بها <sup>(١)</sup> ، وتوفيت قبله ودفنت بنصف بئيه <sup>(٢)</sup> فرثاها بقصيدة من حر الشعر مطلعها :

لولا الحياء لعادني استعمارُ ولزرت قبرك والحبيب يزارُ <sup>(٣)</sup>

وكان جرير يسمي هذه القصيدة الجوصاء لنهاها في البلاد <sup>(٤)</sup> .

ومن زوجاته أمانة بنت عمر بن حرام من بني كليب ، ولدت له من البنين عكرمة وموسى ، ومن البنات موفية وجبلة وزيداء وجمادة <sup>(٥)</sup> . وكان يتغزل بها أيضاً من ذلك قوله :

ودع أمانة حان منك رحيلُ إن الوداع لمن تحب قليلُ

وذكرها في عدة مواضع من شعره . ومن زوجاته زرة الدبلمية كانت تكنى

بأم حكيم ولدت له بلالاً ونوحاً وهي مولاة ديلمية ذكرها في شعره فقال :

إذا عرضوا ألفين فيها تعرضتْ لأم حكيم حاجةً في فؤاديا <sup>(٦)</sup>

لقد زدت أهل الري عندي ملاحهً وحببت أضعافاً إلي المواليا

وورد ذكرها أيضاً في ص ٢٢٠ من الديوان . وورد في ص ٥٠٠ من شرح

النقائض أن له امرأة اسمها سلى ولم يزد على ذلك في تعريفها . وقد ورد ذكر

سلى في شعر جرير كثيراً من ذلك قوله :

ألماع على سلى فلم قر مثلها خليل مضافةً 'يزار' ويمدح

أما أولاده وأولاد أولاده فقد بلغوا في حياته عدداً كبيراً حتى كاد جرير

يخطي في إحصائهم قال :

(١) انظر ديوان جرير ص ٦٠ و ٢٥٣ و ٣٦٧ و ٤٤٩ و ٦٩٦ .

(٢) ديوان جرير ص ٢٠٠ .

(٣) ديوان جرير ص ١٩٩ .

(٤) نقائض جرير والفرزدق ص ٢٠٣ .

(٥) ديوان جرير ص ٥٩٩ .

ماذا ترى في عيال قد برمتُ بهم لم تُحصَ عدتهم إلا بعد اد<sup>(١)</sup>  
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية لولا رجاؤك قد قُتلتُ أولادي  
ذكر من البنين منهم حزرة ٦ ولعله أكبر أولاده لأنه كان يكنى به فيقال له  
أبو حزرة ٦ ذكره في شعره فقال :

يا حَزْرًا أشبه منطقي وأجلاد<sup>(٢)</sup> وكتر ياني الأمر بعد الأبراد<sup>(٣)</sup>  
وعدوتي في أول الجمع العاد<sup>(٤)</sup> وحسي عند بقايا الأزواد<sup>(٥)</sup>  
وحسي الضيف الى جنب الزاد<sup>(٦)</sup>

وأم حزرة خالدة بنت صمد ٦ وكان حزرة شاعراً قال جرير :

فإن لآخر الشعراء مني كما للأولين من النكال<sup>(٧)</sup>  
مواسم ما بقيت لهم وبعدي مواسم عند حزرة أو بلال  
ومنهم صوادة توفي قبل جرير بالشام ورثاه بقصيدة أولها :

قالوا نصيبك من أجرٍ فقلتُ لم من للمرين إذا فارقتُ أشبالي<sup>(٨)</sup>  
ومنهم نوح وبلال وأمهما ديلمية وكلاهما شاعر مقل<sup>(٩)</sup> ٦ قال جرير  
يذكر بلالاً :

إن بلالاً لم تشه أمه<sup>(١٠)</sup> لم يناسب خاله وعمه<sup>(١١)</sup>  
يشفي الصداع ريحه وشمه وينهب الهموم عني ضمه  
كان ريح المسك مستحبه

(١) ديوان جرير ص ١٥٦ .

(٢) ديوان جرير ص ١٣٩ .

(٣) ديوان جرير ص ٤٢٦ .

(٤) ديوان جرير ص ٤٣ .

(٥) الفهرست لابن النديم ص ١٥٩ .

(٦) ديوان جرير ص ٥٣٣ .

ولكن بلا لاً هذا خرج عافاً لأبيه ، وقد ترجم له ابن عساكر في التاريخ الكبير<sup>(١)</sup> وروى شيئاً من شعره وذكر أنه ولي بعض الأعمال في اليمامة .  
وورد ذكر نوح في شعر جرير قال :

وتعجب من شحوبي أم نوح . وما قاست رواحي وابتكاري<sup>(٢)</sup>

ومن شعر نوح قوله :

ألا قد أرى أن المنايا تصيبني فإلي عنهن انصرافٌ ولا بُدُّ<sup>(٣)</sup>

فذا العرش لا تجعل بيغداد ميتي ولكن بنجدٍ حبذا بلداً بنجدٍ

بلادٌ نأت عنها البراغيث والتقى بها العين والآرام والعفر والربد

ومنهم عكرمة ومومى وأمها أمامة بنت عمر<sup>(٤)</sup> . ومنهم حجناء<sup>(٥)</sup> .

ومن بناته موفية وجبلة وزيداء وجماعة وأمن أمامة بنت عمر : تزوج

زيداء كسيب بن عمران بن عطاء بن الخطمى فولدت له مسحلاً وأيوب

وكانت تسمى بأم مسحل . قال جرير في زيداء وقد خطبها ناس من

بني كليب فكروهمهم :

تضحُّ زيداء من الخطَّابِ من قطريين ومن ضبابٍ<sup>(٦)</sup>

ومن أبي الدعاء كالصواب ومن مجيبٍ فاتحِ العباب

وقال يذكر جماعة :

لما ارتحلنا ونحو الشام نيتنا قالت جماعةٌ هذي نيةٌ فذُفِّ<sup>(٧)</sup>

(١) ابن عساكر ج ٣ ص ٢٩٧ .

(٢) ديوان جرير ص ٢٢٠ .

(٣) معجم البلدان مائة نجد .

(٤) تقاض جرير والفرزدق ص ٢٠٣ .

(٥) طبقات الشعراء لابن سلام ص ١٥٣ .

(٦) ديوان جرير ص ٥٥ .

(٧) ديوان جرير ص ٣٨٧ .

ومن بناته أم غيلان ذكرها جرير في شعره فقال :

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى وقت وما ليل المطي بنائم<sup>(١)</sup>  
تزوجها الأبلق التيمي وذلك أن جريراً أصابه حمرة فتورم فأُتي له بالأبلق  
وكان يرقي منها وبدادها ، فقال له ما تجعل لي إن داوتك حتى تبرأ ؟ قال  
له جرير أجعل لك حكمك ، فلما برئ احتكم الأبلق أن يزوجه جرير بنته  
أم غيلان ، وكان جرير وفيها فزوجه إياها فقال الفرزدق :

لئن أم غيلان استحل حرامها حمار الفضا من تفل ما كان ريقاً<sup>(٢)</sup>  
فما نال راقٍ مثلها من لعابه علمناه من سار غرباً وشراً قا  
ومن بناته زينب خطبها ابن عم لجرير فلم تزل به زوجته أمامة وهو لا يريد  
تزوجها حتى زوجه إياها فقال :

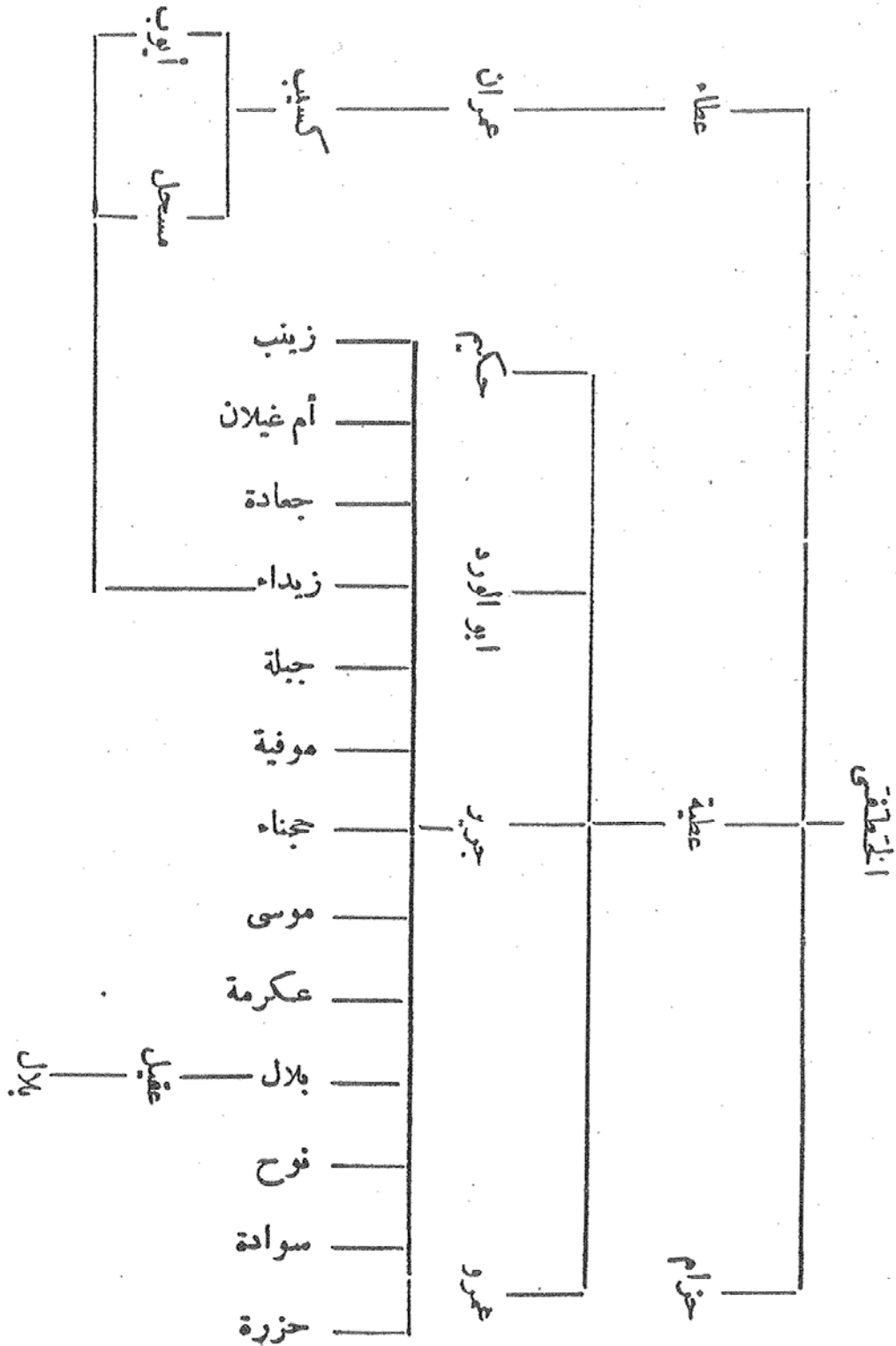
وغرنا أمامة فانتحلنا عصيدة إذ تنجبت الفحول<sup>(٣)</sup>

إذا ما كان فحلك فعل سوء خلجت الفحل أو لؤم الفصيل  
ومن أحفاده عقيل بن بلال كان شاعراً<sup>(٤)</sup> . وابنه عمارة بن عقيل كان  
شاعراً مجيداً أكثراً فضله بعضهم على جرير ، وبقي إلى أيام المتوكل ، وأفرد  
له صاحب الأغاني<sup>(٥)</sup> ترجمة واسعة وقرأه وأثنى عليه . وترجم له الخطيب  
البغدادي في تاريخ بغداد<sup>(٦)</sup> والأخباري في طبقات الأدباء<sup>(٧)</sup> .

ويقول ابن دريد في الاشتقاق<sup>(٨)</sup> « ولجرير عقب بالجماعة كثير » وفيما يلي  
شجرة تحمل أسماء من وقفنا على ذكرهم من بني الخَطَطَى جد جرير :

- (١) النقائض ص ٤٥٤ .
- (٢) النقائض ص ٨٤٠ .
- (٣) نقائض جرير والفرزدق ص ٨٤٣ ودبوان جرير ص ٤١٦ .
- (٤) الفهرست لابن النديم ص ١٥٩ .
- (٥) الأظاني ج ٢٠ ص ١٨٣ .
- (٦) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٨٢ .
- (٧) طبقات الأدباء ص ٢٣٣ .
- (٨) الاشتقاق ص ١٤٢ .





ومن رواية شعر جرير صريح الكلابي <sup>(١)</sup> وفيه يقول :

زعم الفرزدق أن سيقتل مرهباً أبشر بطول سلامة يا صريح <sup>(٢)</sup>

ومنهم آخر اسمه الحسين <sup>(٣)</sup> .

ووفد جرير الى الشام كثيراً يمدح الخلفاء والأمرء ، وأكثر في شعره  
من ذكر الشام وذكر أمكنتها كالموقر باللقاء وبها كانت ينزل يزيد بن  
عبد الملك ، قال :

هل مثل حاجتنا اليكم حاجةٌ أو مثل جاري بالموقر جارٍ <sup>(٤)</sup>

وقال :

أشاعت قريشٌ للفرزدق خزيةً وتلك الوفود النازلون الموقراً <sup>(٥)</sup>

وقال يذكر الرصافة وبها كان ينزل هشام بن عبد الملك :

إن الرصافة منزلٌ لخليفةٍ جمع المكارم والعزائم والتقى <sup>(٦)</sup>

وقال يذكر بردى وتوما :

لا ورد للقوم إن لم يعرفوا بردى إذا تجوّبَ عن أعناقها الدف <sup>(٧)</sup>

صحن توما والناقوس بقرعه قسُّ النصارى حراحيماً بنا تجف

وقال يذكر لبنان :

وتزعم أن البين لا يشمف الفتى بلى مثل بيني يوم لبنان يشمف <sup>(٨)</sup>

وذهب الى مكة حاجاً والى المدينة زائراً ، وكان يذهب الى العراق يمدح الولاة ،  
وفي شعره ما يشير الى ذهابه الى مصر مادحاً عبد العزيز بن مروان قال :

(١) النقااض ص ٩٧٥ .

(٢) ديوان جرير ص ٣٤٨ .

(٣) النقااض ص ٤٣٠ .

(٤) ديوان جرير ص ٢١٨ .

(٥) ديوان جرير ص ٢٤٨ .

(٦) ديوان جرير ص ٤ .

(٧) ديوان جرير ص ٣٨٨ .

(٨) ديوان جرير ص ٣٧٣ .

طلبين ابن ليلي من رجاء فضوله ولولا ابن ليلي ما وردن بنا مصرا<sup>(١)</sup>  
وذكر في شعره النيل فقال :

محالفو اللؤم آلى لا يفارقهم حتى يرد على أدراجيه النيل<sup>(٢)</sup>  
وتوفي جرير باليامة بعد الفرزدق بأشهر سنة ١١٠ وقيل سنة ١١١ وقبره فيها ،  
وعمر نيفا وثمانين سنة .

### صفته وأخلاقه

ولد جرير لسبعة أشهر فظل جسمه نحيفا ، وقد أشار صاحب الأغاني الى  
ما يدل على ذلك مرتين ، مرة شبهه بالفرخ حينما أدخل على الحجاج بواسط<sup>(٣)</sup> ،  
ووصفه مرة أخرى بما يشعر بضالة جسمه لما قرنه عمر بن عبد العزيز بالمدينة  
مع عمر بن لجأ بجبل حين تقاذفا<sup>(٤)</sup> .

وكان جرير أخن كأنما يخرج كلامه من أنفه ، وصفه صاحب الأغاني  
وهو ينشد بيتا من الشعر فقال<sup>(٥)</sup> : « ثم قال بفتنه قولا يخرج الكلام به من  
أنفه وكان كلامه كأن فيه نونا » .

وكان حسن الشعر يرمله<sup>(٦)</sup> كما يرمل لحيته<sup>(٧)</sup> وفي شعره ما يشير الى أنه  
كان يفضيها لما أدركه المشيب قال :

ورأت بلحيتته خضاباً راعها والويل للفتيات من خضب اللحي<sup>(٨)</sup>  
وكان يلبس برنس خز ويضع على رأسه قلنسوة ويرتدي الخلل والجيب التي

- (١) ديوان جرير ص ٢٢٣ .
- (٢) ديوان جرير ص ٤١٩ .
- (٣) الأغاني ج ٨ ص ٧٥ .
- (٤) الأغاني ج ٨ ص ٨٢ .
- (٥) الأغاني ج ٨ ص ٨٢ .
- (٦) الأغاني ج ٨ ص ٣١ .
- (٧) الأغاني ج ٨ ص ١٣ .
- (٨) ديوان جرير ص ٤ .

كانت تهدي إليه <sup>(١)</sup> ، ولكنه لم يكن يلبس العباة بل بهير الأخطل لبسها قال :  
يا ذا العباة إن بشراً قد قضى أن لا تجوز حكومة النشوان <sup>(٢)</sup>  
وجرير على خبث لسانه في الهجاء كان عفيفاً دينياً تقياً وفيما يطيل التسبيح  
والاستغفار ، ويختم مجلسه بالتسبيح فيطيل <sup>(٣)</sup> ، وكان لا يتكلم إذا صلى الصبح  
حتى تطلع الشمس ولو تناحر الحي <sup>(٤)</sup> وكان على فروسيته من أشد الناس فرقا  
من السلطان <sup>(٥)</sup> ، ولعل ذلك هو الذي جعل هواه السيامي مع بني أمية فلم  
ينصر ابن الزبير بيده أو لسانه مع أن جمهرة شعراء مضر كانوا زبيرية ، بل  
كان يمدح بني أمية ويشتم خصومهم كابن الزبير وعبد الرحمن بن الأشعث  
وابن المهلب ، ولم يكن يدخل فيما لا يعنيه ، إلا مرة واحدة مدح الوليد  
ابن عبد الملك وحضه على البيعة لولده عبد العزيز قال :

الى عبد العزيز سمت عيون الرعية إن تخيرت الزعامة <sup>(٦)</sup>  
رأوا عبد العزيز ولي عهد وما ظلموا بذلك ولا أساؤا  
فزحفها بأزفلها اليه أمير المؤمنين إذا نشأ  
وكان على مرارة خصومته مستقيماً ، لم يمدح أحداً فهجاه ، ولم يهيج أحداً  
فدحه ، يتكسب بالمدح ويقنع بما يقيم أوده ، فكانت جائزته من خلفاء  
بني أمية أربعة آلاف درهم وما ينهبها من كسوة وحملان ، ولم يكن عادةً  
يأخذها أكثر من مرة في السنة يتحمل في صيلها مشاق الرحلة من اليمامة الى  
الشام ، فلما شاخ وعجز عن السفر بعث بقصيدة الى هشام بن عبد الملك مع  
ابنه عكرمة <sup>(٧)</sup> ، ولذلك لم يكن في خفض من العيش بل كان عيشه أدنى

- (١) الأغاني ج ٨ ص ١٥ و ص ٢٢ و ص ٤٤ و ص ٦٥ .
- (٢) ديوان جرير ص ٥٧٣ .
- (٣) الأغاني ج ٨ ص ٤٤ .
- (٤) النقائض ص ٨ .
- (٥) النقائض ص ٣٢ .
- (٦) ديوان جرير ص ٩ .
- (٧) ديوان جرير ص ٥٠٢ .

الى الخشونة . اشترى مرةً جاريةً من زيد بن النجار فاستخضت عيشه ووجدته  
عجوزاً ففركته فقال :

تكلفني مبيشة آل زيدِ      ومن لي بالمرقِّ والصَّنابِ<sup>(١)</sup>  
وقالت لا تضم كضم زيدِ      وما ضني وليس معي شبابي

فقال له الفرزدق :

إن تفركك عجة آل زيدِ      وبموزك المرقِّ والصَّنابِ  
فقدما كان عيشُ أيكُ مرًا      يعيش بما تعيشُ به الكلابُ

وهو وإن رحل الى الحضرم كثيراً ، فقد كان في الهمامة يعيش عيش البداوة .  
ولعل من أحسن الشواهد على كرم أخلاقه شفاعته<sup>(٢)</sup> بالفرزدق - خصمه  
اللدود - لما حبسه خالد بن عبد الله الترسري ورثاؤه<sup>(٣)</sup> له لما مات . وهو على  
بداوته وشدة عصبته لقبيلته دمث الأخلاق لبن الجانب مع الموالي فقد كان  
يحبهم ويمدحهم ، والموالي يحبونه ويمحتفلون به . روى صاحب الأغاني بسنده  
عن هرون بن ابراهيم قال : « رأيت جريراً والفرزدق في مسجد دمشق ،  
والناس عنقوا واحداً على جرير ، قيس وموالي بني أمية يسلمون عليه ويسألونه  
كيف كنت يا أبا حزره في مسيرك وكيف أهلك وأسبابك . وما يطيف  
بالفرزدق إلا نقر من خندف جلوس معه ، وذلك لمدح جرير قيساً وقوله في المعجم :  
فيحمننا والفرء أولاد صارة      أب لا نبالي بعده من تعذرا  
وأهديت له يومئذ مائة حلة أهداها اليه الموالي سوى غيرهم<sup>(٤)</sup> » .

خليل مردم بك

(يقيم)

\*\*\*\*\*

(١) المرقق : الحبز المنبسط الرقيق . والصَّناب : إدام يتخذ من الحردل والزبيب .

(٢) ديوان جرير ص ١٧٨ .

(٣) ديوان جرير ص ٤٠٧ و ص ٥٣٥ .

(٤) الأغاني ٨ ج ص ٦٤ .



# حدود العقل عند الغزالي

العقل الانساني عند الفلاسفة يكون في اول أمره عقلاً بالقوة ، ثم يصير عقلاً بالفعل ، وهذا الانتقال من القوة الى الفعل لا يتم إلا بتأثير العقل الفعال . والعقول تتميز بعضها عن بعض بمقدار استعدادها للاتصال بالعقل الفعال الذي تتلقى منه المعرفة . وفي ضوء هذا العقل يستطيع عقلنا أن يدرك الصور الكلية ، وبه يصير الاحساس علماً يقينياً .

فأنتم ترون أن الفلاسفة قد بنوا المعرفة علي العقل ، لأن العقل عندهم يجرد الصور الحسية من اللواحق المشخصة ، وبتزج المعاني الكلية من الصور التخيلية ، ويؤلف هذه المعاني وفقاً لمبادئ كلية ضرورية ، فهو في نظرهم يوصل إذن الى اليقين ، لا بل هو المحك الأخير للحقيقة ، على زنده تقدح كل معرفة ، فلسفية كانت أو دينية أو صوفية .

ما هو موقف الغزالي من العقل ، هل العقل في نظره قادر على إدراك الحقائق بنفسه أم هو محتاج الى معونة خارجية ؟

للإجابة عن هذا السؤال ينبغي لنا أولاً أن نحدد موقف الغزالي من المعرفة على الاطلاق .

ان موقف الغزالي من المعرفة يختلف عن موقف الفلاسفة في مبادئه وغاياته . فهو قد شك في المعرفة شكاً عاماً ، شك في العلم الموروث ، ثم شك في الحسيات والعقليات . بدأ شكه بنقد مذاهب زمانه ، فتبين له أن هذه المذاهب متعارضة ، وان سبب تناقضها يرجع الى فساد الطريقة المتبعة في تكوين العقيدة واعتناقها ، وهذه الطريقة هي طريقة التقليد ، فان التقليد لا يوصل الى الحقيقة ، وبكفي

أن يكون الاعتقاد مبنياً على التقليد حتى يتسرب اليه الشك ، قال : « فإن صبيان النصارى لا نشوء لهم إلا على التنصر ، وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على اليهود ، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام » . لذلك يجب على طالب الحقيقة أن يبتذ التقليد ، وأن لا يبنى بحثه عن الحقيقة على العلم الموروث ، لأن المقلد يتحتم عليه المكوث في الضلال ان كان فيه ، أو التقييد بـمعتقد التقليدي ، والامتناع عن رؤية الحقيقة اذا لاحت له . أما الباحث عن الحقيقة فلا يمتد شئنا أصلاً بل ينظر الى الدليل ويسمي مقتضاه حقاً وتقيضه باطلاً . وهذه هي طريقة الشك بعينها ، فالشك في نظر الفزالي هو اذت الخطوة الأولى للبحث عن الحقيقة ، لأن من لا يشك لا يبحث ، ومن لا يبحث لا يجد ، ومن لا يجد يبقى متخبطاً في غياهب الجهل .

وما كاد هذا الشك يدخل قلب الفزالي حتى امتولى عليه كله . طمع أولاً في اقتباس اليقين من الحسيات ، فحكم عليها بما حكم به على التقليديات ، ثم طمع في اقتباس اليقين من العقليات ، فلم يجد فيها ما ينقذه من الضلال ، لأنه قال : إذا كان حاكم العقل يكذب حاكم الحس ، فلماذا لا يكون هناك وراء إدراك العقل حاكم آخر ، اذا تجلى كذب العقل في حكمه ، كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وأيّد ذلك بقوله : يمكن أن تطرأ على الانسان حالة تكون نسبتها الى العقل كنسبة اليقظة الى النوم وتكون اليقظة نوماً بالاضافة اليها ، فبمّ نأمن أن يكون جميع ما نعتقد في بقظتنا حقاً . فأنتم ترون أن رحاب الشك عند الفزالي تمتد الى التقليديات والحسيات والعقليات ولولا النور الذي قذفه الله في صدره لبقي على مذهب السفطة ، الا أنه استطاع أن ينقذ نفسه من الشك بطريقة الكشف الباطني ، فعادت نفسه الى الصحة والاعتدال ، ورجعت الضروريات العقلية موثوقاً بها على أمن وبقين بالنور الذي أشرق عليه من الجود الإلهي .

ما هو هذا النور الذي قذفه الله في الصدر ؟ إننا لا نجد في تآليف الغزالي جواباً على هذا السؤال . فالغزالي يقول في المنقذ من الضلال إن هذا النور هو مفتاح أكثر المعارف ، وأن من ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيق رحمة الله الواسعة . وأن هذا النور ينبجس من الجود الإلهي في بعض الأحيان ، ويجب التردد له كما قال عليه السلام : إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتمرضوا لها . والذي يستنتج من هذا النص أن الغزالي يقول : إن هذا النور مفتاح أكثر المعارف ، لا مفتاح جميع المعارف ، وأن الكشف ليس موقوفاً على الأدلة المجردة ، بل قد يكون بالأدلة المجردة . وبغير الأدلة المجردة . ومعنى ذلك كله أن للعقل بذاته مبادئ أولية كقولنا ان الكل أعظم من الجزء ، وأن النبي والأوثان لا يجتمعان معاً في الشيء الواحد في وقت واحد ، وأن الشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً ، موجوداً معدوماً واجباً محالاً ، وأن حدوث الشيء بدون محدث محال . فهذه المبادئ الأولية ضرورية وبقينية يقرأها كل ذي عقل سليم لمجرد حضورها في الذهن . وهي فطرية فينا ، لا اختبارية ولا مكتسبة ، لأنها من خواص العقل ، وإذا كان العقل محتاجاً في بعض الأحيان إلى الجود الإلهي للخروج من الشك ، فإن هذا الجود لا يفعل فعله إلا إذا كان مصحوباً بافتناع داخلي ذاتي بصحة مبادئ العقل . وإذا سألنا الآن سائل : إلى أي أصل تستند مبادئ العقل عند الغزالي . هل تفرض نفسها على العقل بنفسها ، أم تفتقر إلى أصل آخر تستند إليه ، وتستمد منه ثباتها ومثابته . وبكلمة أخرى ما هو الملجأ الأخير للمعرفة ؟ قلنا إننا نجد عند الغزالي في هذه المسألة رأيين متعارضين : فهو يعترف أولاً أنه لم يستطع أن يثني نفسه من الشك إلا بمعونة خارجية . وهذه المعونة الخارجية هي النور الذي ينبجس في القلب من الجود الإلهي . وهو يقول ثانياً إن مبادئ العقل ضرورية يقرأها حتماً وبغير برهان كل ذي عقل سليم لمجرد

م (٢)

حضورها في الذهن ، فهي تستمد إذن قيمتها من الوضوح الذي فيها . ومن تصفح كتاب القسطاس المستقيم ، والمنقذ من الضلال ، والمستظري . وجد فيها أقوالاً متعارضة تؤيد هذين الرأيين .

فن النصوص التي يؤيد ظاهرها حاجة العقل الى معونة خارجية :

١ - طرح الباطني على الغزالي هذا السؤال : « فبمَ عرفتَ أن ذلك الميزان (ميزان المنطق) صادق أم كاذب ، أبعقلك ونظرك ، فالعقول متعارضة ، أم بالإمام المعصوم الصادق القائم بالحق في العالم ، وهو مذهبي الذي أدعو إليه » فأجابه الغزالي : « ذلك أيضاً أعرفه بالتعليم ، ولكن من إمام الأئمة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام ، فاني وإن كنت لا أراه ، فإني أسمع تعليمه الذي تواتر إليّ تواتراً لا أشك فيه ، وإنما تعليمه القرآن » (١) . فكان الغزالي يترف هنا بأن صدق الميزان لا يعرف بالعقل بل بالتعليم من النبي .

٢ - ثم إن الغزالي لا ينفك يردد في كتاب القسطاس المستقيم أن الله علم الموازين لجبريل ، وجبريل علمها للأنبيا ، وهؤلاء نقلوها اليها في كتبهم . قال : فان الله هو المعلم الأول ، والثاني جبريل ، والثالث الرسول صلى الله عليه وسلم . والخلق كلهم يتعلمون من الرسل ما ليس لهم طريق الى معرفته إلا بهم (٢) .

٣ - والغزالي يردد على من يسأل ، وكيف وصلت هذه الموازين الى الأمم التي عرفتتها قبل مجيء الرسل والأنبياء (اليونان مثلاً) فيقول : « أما الموازين فأنا استخراجتها من القرآن ، وما عندي أني صيقتُ الى استخراجها ، ولها عند مستخرجيها من المتأخرين أسماء آخر صوي ما ذكرته . وعند بعض الأمم السابقة على بعثة محمد وعيسى صلى الله عليهما وسلم أسماء آخر قد تعلموها من صحف ابراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام » (٣) .

٤ - وهو يترجم أيضاً نشوء جميع المعارف المنتشرة بين البشر الى مصدر

(١) القسطاس المستقيم ، ص - ٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص - ٢٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص - ٥٩ .



إلهي ، أي الى وحي قديمٍ أنزله الله تعالى على أنبيائه ، وعلمهم به كل أنواع الحكمة ، فعلم الطب لم يكن نتيجة اختبار الأطباء وتجاربهم واستنتاجهم العقلي ، بل كان ثمرة وحي أنزله الله تعالى على أنبيائه : « فان أدوية البدن تؤثر في كسب الصحة بخاصية فيها لا يدركها العقلاء بوضاعة العقل ، بل يجب فيها تقليد الأطباء الذين أخذوها من الأنبياء ، الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الأشياء »<sup>(١)</sup> ، وكذلك علم النجوم ، فالسبيل اليه هو إلهام إلهي ، وتوفيق من جهة الله تعالى ، وكذلك أيضاً الرياضيات فإن مبادئها مأخوذة عن نبي مشفوع بالوحي والمعجزة . وهكذا قل في سائر العلوم .

ومن النصوص التي تدل على أن المحك الأخير للمعرفة هو وضوح المعاني وبدايتها قول الفزالي بوجوب الرجوع الى الأوليات عندما تعترضنا قضية غير بينة الصدق : « خذ عياره من العلوم الأولية الضرورية المستفادة إما من الحس أو التجربة أو غريزة العقل ، فانظر في الأوليات هل تتصور أن يتثبت حكم على صفة إلا وبتعدى الى الموصوف ؟ »<sup>(٢)</sup> . وفي كتاب المستظيري بقول الفزالي إن التلميذ إنما يقتنع بصحة ما يلقيه عليه معلمه من المعارف ، لا بمجرد إيمانه بمقدرة معلمه وصدقه ، بل لأنه يرى بنور عقله صواب تلك المعارف .

فهذه النصوص المعارضة تدل كما ترون على أمرين متناقضين الأول هو احتياج العقل في الوصول الى اليقين الى معونة خارجية . والثاني القول بأن المحك الأخير للمعرفة هو وضوح المبادئ العقلية ، وفي هذا كما لا يخفى تناقض ظاهر . ولكننا اذا علمنا أن المعونة الخارجية لا تنفي بداهة العقل بل تقتضيها وتوجبها ، وأن معرفة صحة الموازين بالتعليم من النبي لا تنفي أن العقل يتحقق صحتها أثناء أخذها كما يتحقق التلميذ صحة تعاليم معلمه ، اذا علمنا ذلك كله لم نجد في هذه الأقوال المتعارضة بحسب الظاهر تناقضاً حقيقياً . فالله قد أنزل الموازين

(١) المقذ من الضلال ، ص - ٨٢ .

(٢) القسطاس المستقيم ، ص - ٣٣ .



في كتبه ، ثم أتى طالبو العلم ، وأجالوا النظر فيها فتحققوا صحتها بنور عقولهم .  
يقول الغزالي : « والقوة العقلية كأنها القوة الباصرة في العين ، ورؤية  
الجزئيات الخيالية كتحديق البصر الى الأجسام المتلونة ، وإشراق نور الملك  
على النفوس البشرية يضاهي إشراق نور السراج على الأجسام المتلونة أو إشراق  
نور الشمس عليها ، وحصول العلم بنسبة تلك المقدرات يضاهي حصول الأبصار  
بإتلاف ألوان الأجسام ، ولذلك شبه الله تعالى هذا النور على طريق ضرب  
مثال محسوس بمشكاة فيها مصباح » ( معيار العلم ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ) ،  
فلو لم يكن في العين استعداد للأبصار لما رأت شيئاً بالرغم من إشراق نور  
الشمس عليها ، فحصول الأبصار ناشئٌ إذن عن شرطين أحدهما داخلي ذاتي  
والآخر خارجي . وكذلك حصول العلم في النفوس البشرية ، فهو تابع لشرطين  
أحدهما استعداد القوة العقلية ، والثاني إشراق نور الملك عليها .

ومما يؤيد ذلك أن العلوم في نظر الغزالي إنما تثبت في القلب بطريقتين  
أحدهما طريق الاستدلال والتعليم والثاني طريق الإلهام ، وهو بفضل العلم  
الذي يحصل في القلب بطريق الإلهام على العلم الذي يحصل فيه بطريق التعلم .  
ومن أحسن الأمثلة الدالة على إدراك الحقائق العقلية بطريقي الاستدلال  
والإلهام مثال ذكره الغزالي في كتاب ميزان العمل . قال ( ص ٤٧ ) :  
« إن أهل الصين والروم تباهاوا بحسن صناعة النقش والتصوير بين يدي بعض  
الملوك . فاستقر رأي الملك على أن يسلم اليهم صفةً ينقش أهل الصين منها  
جانباً وأهل الروم جانباً ، ويُروى بينهم حجاب بحيث لا يطلع كل فريق على  
صاحبه ، فاذا فرغوا رفع الحجاب ، ونظر الى الجانبين ، وعرف رُجحان  
من رَجَحَ من الفريقين ، ففعل ذلك ، فجمع أهل الروم من الأصباغ الغريبة  
مالا ينحصر ، ودخل أهل الصين وراء الحجاب من غير صيغ وهم يجلبون  
جانبهم ويصقلونه ، والناس يتمجبون من توانيهم في طلب الصيغ . فلما فرغ  
أهل الروم ادعى أهل الصين أننا أيضاً قد فرغنا . فقبل لهم كيف فرغتم ،

ولم يكن معكم صبغ ولا اشتغلتم بنقش ، فقالوا ما عليكم ، ارفعوا الحجاب ،  
 وعلينا تصحيح دعوانا ، فرفعوا الحجاب واذا يجانبهم وقد تلاآت فيه جميع  
 الأصابع الرومية الغربية إذ كان قد صار كالمراة لكثرة التصفية والجللاء ،  
 فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفاء وظهر فيه ما سعى في تحصيله غيرهم .  
 وهذا المثال أيضاً يدل على أن تحصيل المعرفة طريقتين أحدهما تحصيل عين  
 النقش كطريق أهل الروم ، والثاني الاستعداد لقبول النقش من خارج . ومعنى  
 ذلك أن النفس مستعدة في نظر الغزالي لأن تتجلى فيها حقائق العلوم مباشرة ،  
 وذلك بالتعرض للنفحات الإلهية .

يقول الغزالي : « إذا فرضنا مرآة صدئة قد ستر الخبث صفاها ومنع انطباع  
 صورتها فيها ، فكامل المرآة أن تستعد لقبول الصور فتجلبها كما هي عليها ، وعلى  
 مكملها وظيفتان إحداهما الجللاء والصقل وهي إزالة الخبث الذي ينبغي أن  
 لا يكون ، والثانية أن يجاذى بها نحو المطلوب حكاية صورته ، فكذلك  
 نفس الآدمي مستعدة لأن تصير مرآة يجاذى بها شطر الحق في كل شيء  
 فتنتطبع به كأنها هو من وجه وان كانت غيره من وجه آخر كما في الصورة  
 والمرآة » ( ميزان العمل ، ص ٣٩ - ٤٠ ) .

وجملة القول ان للمعرفة طريقتين أحدهما طريق الاستدلال والآخر طريق  
 الإلهام أي طريق التعرض للوجود الإلهي والترصد له . والعقل لا يحتاج الى  
 هذه المعونة الخارجية في المنطق والرياضيات والطبيعات ، ولكنه يحتاج اليها  
 في الإلهيات . واذا احتاج الى معونة خارجية في مسائل التجربة فان هذه المعونة  
 لا تنفعه إلا على سبيل الدعم والتثبيت ، وما صب النور الإلهي على مبادئ العقل  
 ليكسبها وضوحاً وبداهة ، ولكن ليزيل عنها مداخل السفسطة ، ويعيد النفس  
 الى الصحة والاعتدال . ولولا مداخل السفسطة لما احتاج العقل الى هذا النور .  
 فالغزالي يؤمن بصلاح النظر ومنفعته ، وصدق العقل في حكمه على أمور

التجربة ، ولكنه لا يؤمن بأن العقل المجرد عن الشرع وعن الوحي والإلهام يصلح للخوض في مسائل ما بعد الطبيعة . نعم إنه يصرح بأن من وزن الذهب ميزان يمكنه أن يزن به الفضة وسائر الجواهر . ولكن هذا القول لا يدل على قدرة العقل على إدراك الحقائق الإلهية ، لأن الفضة وسائر الجواهر هي والذهب من جنس واحد ، أما الصفات الإلهية ، وقدم العالم ، وبقاء النفس بعد الموت ، ومسائل الحشر والنشر ، فهي من الأمور التي لا يحكم العقل فيها إلا بظن وتخمين من غير تحقيق وبقين .

واليك بعض النصوص التي تدل على عجز العقل عن إدراك أسرار الأمور الإلهية .

١ - قد يكون أكثر هذه النصوص دلالة على عجز العقل عن إدراك الأسرار الإلهية ما ذكره الغزالي في معرض حديثه عن الفلاسفة وقولهم : إن الله لا يعرف إلا نفسه . قال : « وهكذا يفعل الله بالزائغين عن صبيه ، والناكبين لطريق الهدى ، المنكرين لقوله : ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ، ولا خلق أنفسهم ، الظانين بالله ظنّ سوء ، المعتقدين أن الأمور الربوبية تستولي على كنهها القوى البشرية ، المغرورين بقولهم ، زاعمين أن فيها مندوحة عن تقليد الرسل وأتباعهم . فلا جرم اضطروا إلى الاعتراف بأن باب مقولاتهم رجعت إلى ما لو حكي في المنام لتعجب منه » (التهافت ، ص ١٢٠ - ١٢١) .

٢ - ومن هذه النصوص قوله في معرض الكلام عن صفات الله : « فجميع ما ذكره من صفات الأول أو نفوه لاجحة لهم عليه إلا تخمينات وظنون تستنكف الفقهاء منها في الظنيات . ولا تغرو لو حار العقل في الصفات الإلهية ولا تعجب . إنما العجب من تعجبهم بأنفسهم وبأدلتهم ، ومن اعتقادهم أنهم عرفوا هذه الأمور معرفة يقينية ، مع ما بها من الخبط والخيال » (تهافت ، ص ٥٣) .

وقال أيضا : « فني الناس من يذهب إلى أن حقائق الأمور الإلهية لا تنال بنظر العقل . بل ليس في قوة البشر الاطلاع عليها . ولذلك قال صاحب الشرع تفكروا في خلق الله ، ولا تتفكروا في ذات الله . فما إنكاركم على هذه الفرقة المعتقدة صدق الرسول بدليل المعجزة ، المقنصرة من قضية العقل على إثبات ذات المرسل ، المحترزة عن النظر في الصفات بنظر العقل ، المتبعة صاحب الشرع فيما أتى به من صفات الله ، المتفتية أثره في إطلاق العالم والمريد والقادر والحلي ، المنتهية عن إطلاق ما لم يؤذن فيه ، المعترفة بالمعجز عن دركه بالعقل . » ( التهاافت ص ١٨٠ - ١٨١ ) .

٣ - ومن هذه النصوص اعتراضه على محاولة الفلاسفة شرح كيفية خلق العالم وصدوره كثرته عن الواحد الأول . قال : « وما المانع من أن يقال : المبدأ الأول عالم قادر صريد ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، يخلق المختلفات والتجانسات كما يريد وعلى ما يريد . فاستحالة هذا لا تعرف بضرورة ولا نظر . وقد ورد به الأنبياء المؤيدون بالمعجزات ، فيجب قبوله منهم . وأما البحث عن كيفية صدور الفعل من الله بالإرادة ، ففضول وطمع في غير مطمع . والذين طعموا في طلب المناسبة ومعرفة رجع حاصل نظرهم إلى أن المعلول الأول من حيث أنه ممكن الوجود صدر منه فلك ، ومن حيث أنه يعقل نفسه صدر منه نفس الفلك . وهذه حماقة لا إظهار مناسبة فلتقبل مبادئ هذه الأمور من الأنبياء وليصدقوا فيها ، فإن العقل لا يجملها وليترك البحث عن الكيفية ، والكمية ، والماهية فليس ذلك مما تتسم له القوى البشرية . ولذلك قال صاحب الشرع تفكروا في خلق الله ، ولا تتفكروا في ذات الله . » ( التهاافت ص ١٣١ - ١٣٢ ) .

٤ - ومن هذه النصوص قول الفزالي مجيباً الفلاسفة الذين يزعمون أنهم توصلوا بطريق العقل إلى معرفة الغرض من حركة الأجرام السماوية . قال :



« ان هذه خيالاتٌ لا حاصل لها ، وإنَّ أمرارَ ملكوتِ السمواتِ لا يُطَّلَعُ عليها بأمثال هذه الخيالات ، وإنما يُطَّلَعُ اللهُ عليها أنبياءه وأوليائه على سبيل الإلهام لا على سبيل الاستدلال » (تهافت : ٢٥٢) .

وقال أيضاً : « وأنَّ هذا إنَّ كان صحيحاً فلا يطَّلَعُ عليه إلاَّ الأنبياء بالهام من الله أو وحي . وقياسُ العقل ليس يدل عليه » (تهافت : ٥٧) .  
وقال في مكان آخر : « وما ذكرتموه ، وإن اعترف بامكانه ، فلا يُدْرِك وجوده ، ولا يتحقق كونه ، وإنما السبيلُ فيه أن يُتَّصَرَفَ من الشرع لا من العقل » (تهافت : ٦٢) .

وقال أيضاً : « ومن الأشياء ما تُعَرَّفُ استحالةً ، ومنها ما يُعَرَّفُ إمكانه ، ومنها ما يقف العقل عنده ، فلا يقضي فيه باستحالة ولا إمكان » (تهافت : ٦٩) .

٥ - ومن هذه النصوص أخيراً ، قول الفزالي إنَّ العقل عاجز كل العجز عن تمييز الخير من الشر ، وإنَّ الوسيلة الوحيدة لمعرفة ذلك هي الوحي . قال : « إنَّ العقل لا يهدي إلى الأفعال المنجية في الآخرة ، كما لا يهدي إلى الأذوية المعبدة للصحة » (الرسالة القدسية أصل ٩ ورقة ٣) .

وقال أيضاً : « ان العقل لا يرشد إلى النافع والضار من الأعمال والأقوال والأخلاق والمقائد ، ولا يُفَرِّق بين المشقي والمسعد » (الاقتصاد في الاعتقاد : ٨٠) .  
وقال أيضاً : « وندعي أنه لو لم يرد الشرع لما كان يجب على العباد معرفة الله وشكر نعمته » (الاقتصاد في الاعتقاد : ٧٧) .

وقال أيضاً : « ان في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها أمراراً ولطائفَ ليست في سمعة العقل وقوته الإحاطةُ بها ، كما أنَّ في خواص الأجر أموراً وعجائبَ غاب عن أهل الصنعة علماء » (الاحياء ج ١ ص ٢٠) .



وفي وسعنا أن نذكر نصوصاً أخرى غير هذه .

أفلا تكفي هذه النصوص التي أوردناها للدلالة على أن العقل عاجز عن الإحاطة

بأسرار الأمور الإلهية .

وإذا أردنا الآن أن نلخص موقف الغزالي من العقل قلنا ان أحكام العقل

عنده صادقة في العلوم المنطقية والرياضية والطبيعية ، وفي كل ما يتعلق بأمور

التجربة ، فهو لم يشك في مبدأ الهوية لأن هذا المبدأ أساس المنطق والرياضيات .

ولولاه لما صدق عندنا قياس ، ولا ثبت استنتاج ، وهو لم يشك في مبدأ السببية

من حيث هو مبدأ عقلي ، بل شك في ارتباط حوادث الطبيعة بعضها ببعض ،

ارتباطاً حتمياً ، فأرجع قانون السببية الطبيعية الى الاعتياد ، وجعل الطبيعة

مسخرة لله تعالى ، لا تعمل بنفسها ، بل هي مستعملة من جهة فاطرها . والسببية

الحقيقية ترجع عنده الى علاقة إرادية بين الله والعالم ، أما ارتباط الأسباب

والمسببات الطبيعية بعضها ببعض فلا قيمة له بنفسه ، ولا معنى له إلا إذا استند

الى إرادة الله ، فالغزالي لم يشك إذن في أحكام العقل إلا شكاً عاماً موقفاً ،

فلما وجد نفسه على شفا جرف هار التجأ الى الله تعالى ، فأثقفه الله من الشك ،

فهو بالرغم من شكه في كل شيء لم يضع ساعة واحدة ثقته بالألطف الإلهية ،

وهذا النور الذي قذفه الله في الصدر لا نعرف له تأويلاً إلا قولنا بأنه اقتناع

داخلي بصدق أحكام العقل ، فالعقل لا يحتاج إذن الى معونة خارجية إلا في

حالتين : الأولى لشفائه من الشك إذا ما انتابته آفته ، والثانية لتنبهه وإرشاده

الى الأمور الإلهية التي لا يمكنه الاطلاع عليها إلا بالوحي والإلهام . أما فيما

عدا ذلك فالعقل في نظر الغزالي آلة سليمة صالحة مفيدة وضرورية لاقتناص

المعرفة ، أساسه الضروريات العقلية ، وسبيله النظر ، وميزانه قواعد المنطق ،

ومحكه الأخير الوضوح والبداهة .

جميل صليبا



# العرب والهندسة المستوية

أخذ اليونان الهندسة عن الأمم التي سبقتهم وقد درسوها درساً عميقاً وأضافوا إليها إضافات هامة وكثيرة جعلت الهندسة عملاً يونانياً . وأول من كتب منهم فيها اقليدس ، وعُرف كتابه باسم « كتاب اقليدس » . وفي هذا الكتاب قسم اقليدس الهندسة الى خمسة أقسام رئيسية ووضع قضاياها على أساس منطقي عجيب . لم يسبق إليه جعل « الكتاب » المعتمد الوحيد الذي يرجع إليه كل من يريد وضع تأليف في الهندسة .

وما الهندسة التي تدرس في المدارس الثانوية في مختلف الأنحاء إلا هندسة اقليدس مع تحوير بسيط في الاشارات وترتيب النظريات ونظام التمارين .

وحيثما نهض العرب نهضتهم العلمية أخذوا كتاب اقليدس وترجموه الى لغتهم وتفهموه جيداً وزادوا على نظرياته ووضعوا بعض أعمال عويصة وتفتنوا في حلها .

ويقول ابن القفطي عن كتاب اقليدس « . . . وسماه الاسلاميون ( الأصول ) ، وهو كتاب جليل القدر عظيم النفع ، أصل هذا النوع ، لم يكن لليونان قبله كتاب جامع في هذا الشأن ولا جاء بعده إلا من دار حوله وقال قوله . وما في القوم إلا من سلم الى فضله وشهد بفضله . » وقال ابن خلدون في مقدمته : « . . . والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة ( الهندسة ) كتاب اقليدس يسمى كتاب الأصول أو كتاب الأركان وهو أبسط ما وضع للمتعلمين وأول ما ترجم من كتب اليونانيين في الملة أيام أبي جعفر المنصور . ونسخه مختلفة باختلاف المترجمين فمنها لحين بن اسحق وثابت بن قرة

وليوسف بن الحجاج ويشتمل على خمس عشرة مقالة : أربع في السطوح وواحدة في الأقدار المتناسبة وأخرى في نسب السطوح بعضها الى بعض ، وثلاث في العدد ، والعاشر في المنطقات والقوى على المنطقات ومعناه الجذور وخمس في المحميات . وقد اختصره الناس اختصارات كثيرة كما فعل ابن سينا في تعاليم الشفاء وأفرد له جزءاً أخصه به . وكذلك ابن الصلت في كتاب الاقتصار وغيرهم . وشرحه آخرون شروحاً كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية باطلاق « ٠٠٠ » وألف العرب كتباً على نسقه وأدخلوا فيها قضايا جديدة لم يعرفها القدماء . فقد وضع ابن الهيثم كتاباً من هذا الطراز يستحق أن يعتبر واسطة بين كتاب القواعد المفروضة والبراهين الاستقرائية لافليدس وكتاب المحال المستوية السطوح لابولونيوس وبين كتابي سمسون Simson وستوارت Stewart فإنه يمثل تلك الكتب كال هندسة الابتدائية المعدة لتسهيل حل الدعاوى النظرية . ويعترف ابن القفطي بفضل ابن الهيثم في الهندسة فيقول : « إنه صاحب التصانيف والتأليف في علم الهندسة . وكان عالماً بهذا الشأن متقناً له ، متفتناً فيه ، قيماً بفوامضه ومعانيه ، مشاركاً في علوم الأوائل ، أخذ عنه الناس واستفادوا » (١)

وألف محمد البغدادي رسالةً موضوعها تقسيم أي مستقيم الى أجزاء متناسبة مع أعداد مفروضة يرسم مستقيم وهي اثنان وعشرون قضية : سبع في المثلث ، وتسع في المربع ، وست في الخمس . ولقد طبق العرب الهندسة على المنطق وألف ابن الهيثم كتاباً في ذلك « ٠٠٠ » كتاباً جمعت فيه الأصول الهندسية والعديدية من كتاب افليدس وابولونيوس ، ونوعت فيه الأصول وقسمتها وبرهنت عليها يبراهين نظمتها من الأمور التعليمية والحسية (٢) والمنطقية حتى انتظم ذلك مع انتقاص توالي افليدس وابولونيوس .

(١) ابن القفطي : اخبار العلماء ، ص ١١٤ .

(٢) طبقات الأطباء : ج ٢ ص ٩٣ .

وابن الهيثم هذا من الذين اشتغلوا بالبصريات فكان أنبغ علماء العرب والمسلمين فيه . وقد ترك تراثاً ضخماً مليئاً بالابتكار والموضوعات الجديدة كانت أساساً لبحوث علماء القرون الوسطى ، كما كانت أساساً لكتاب Peckhan في البصريات ، وهذا الكتاب يُعدُّ من أجل الكتب التي أحدثت أثراً بعيداً في العلم المذكور<sup>(١)</sup> ، وقد أتى على مسائل أدت الى استعمال الهندسة . ومن هذه المسائل ما هو صعب ويحتاج حله الى وقوف تام على الهندسة والجبر وبراعة في استعمال نظرياتها وقوانينها . ومن المسائل التي وردت في نظريات ابن الهيثم المسألة الآتية : « . . كيف ترسم مستقيمين من تقطعتين مفروضتين داخل دائرة معلومة الى أي نقطة مفروضة على محيطها بحيث يصنعان مع المماس المرسوم من تلك النقطة زاويتين متساويتين . . . » وللعرب مؤلفات عديدة في المساحات والحجوم وتحليل المسائل الهندسية واستخراج المسائل الحسائية بجمتي التحليل الهندسي والتقدير العددي وفي التحليل والتركيب الهندسين على جهة التمثيل للمتعلمين ، وفي موضوعات أخرى كتقسيم الزاوية الى ثلاثة أقسام متساوية ، ورسم المضلعات المنتظمة وربطها بمادلات جبرية وفي محيط الدائرة وغير ذلك مما يتعلق بالموضوعات التي تحتاج الى استعمال الهندسة . ويتجلى من نتاج علماء العرب أنه كان يسود بعض مصنفاتهم مسحة عملية واتجاه لتطبيق النظريات الهندسية والحسائية والجبرية على الأغراض العملية من شؤون حياتهم ولوازم مجتمعهم . فلقد وضع ابن الهيثم (مثلاً) مقالة ( في استخراج سمت القبلة ) ومقالة ( فيما تدعو اليه حاجة الأمور الشرعية من الأمور الهندسية ) ومقالة ( في استخراج ما بين البلدين في البعد بجملة الأمور الهندسية ) . وكذلك وضع ابن الهيثم كتاباً طابق فيه بين الأبنية والحفور بجميع الأشكال

(١) راجع كتاب تراث العرب العلمي لقدري حافظ طوقال : فصل ابن الهيثم في قسم التراجم .



الهندسية . وقد قال في ذلك « ٠٠٠٠٠ » مقالة في إجازات الحفوز والأبنية طابقت فيها جميع الحفوز والأبنية بجميع الأشكال حتى بلغت في ذلك الى أشكال قطوع المخروط الثلاثة المكافيء والزائد والناقص « ٠٠٠٠٠ »  
 وبين العرب كيفية إيجاد نسبة محيط الدائرة الى قطرها . وبين من كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي ان القيم التي وردت فيه للنسبة التقريبية هي :

$$\frac{22}{7} \text{ و } \sqrt{10} \text{ و } \frac{62832}{20000} \text{ (١)}$$

وان أهل النجوم كانوا يستعملون القيمة الأخيرة وهي بالكسر العشري ٣١٤١٦ . وورد في الكتاب الحاشية الآتية ، وهي كما يعلق عليها الأستاذان مشرفة ومرسي احمد ( تستحق الذكر والاهتمام ) « ٠٠٠٠٠ » وهو تقريب لا تحقيق ، ولا يقف أحد على حقيقة ذلك . ولا يعلم دورها إلا الله . لأن الخط ليس بمستقيم فيوقف على حقيقته ، وإنما قيل ذلك تقريباً كما قيل في جذر الأهم انه تقريب لا تحقيق لأن جذره لا يعلمه إلا الله . وأحسن ما في هذه الأقوال أن تضرب القطر في ثلاثة وسبع لأنه أخف وأصرح . والله أعلم .  
 ولم يقف العرب في النسبة التقريبية عند أهل النجوم بل أوجدوها الى درجة من التقريب كانت محل دهشة العلماء . فلقد حسبها الكاشي فكانت ٣١٤١٥٩٢٦٥٣٥٨٩٨٧٣٢ . ولم نستطع أن نتأكد من استعمال علامة

(١) جاء في كتاب الجبر وللتأبلة للخوارزمي ما يلي :

« ... وكل مدورة ( أي دائرة ) فان ضربك القطر في ثلاثة وسبع هو الدور ( المحيط ) الذي يحيط بها وهو الاصطلاح بين الناس من غير اضطراب . ولأهل الهندسة فيه قولان آخران : أحدهما أن تضرب القطر في مثاله ثم في عشر ثم تأخذ جذر ما اجتمعت . فما كان فهو الدور . والقول الثاني لأهل النجوم منهم وهو أن تضرب القطر في اثنين وستين ألفاً وثمانمائة واثنين وثلاثين ثم تقسم ذلك على عشرين ألفاً فما خرج فهو الدور . وكل ذلك قريب بفضه من بعض .. »

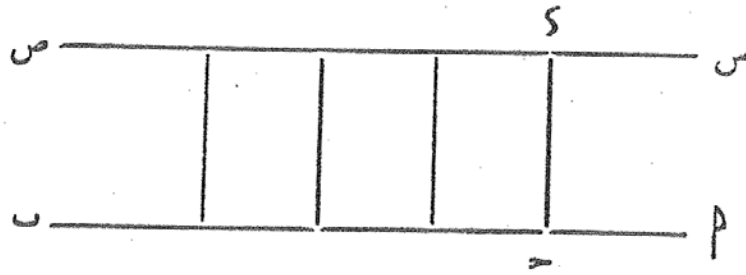


الكسر العشري ( الفاصلة ) . ولكن لدى البحث تبين أنه وضمها على الشكل الآتي :

صحيح

٣ ١٤٥٩٢٦٥٣٥٨٩٨٧٣٢

وهذا الوضع يشير الى أن المسلمين في زمن الكاشي كانوا يعرفون شيئاً عن الكسر العشري ، وانهم بذلك سبقوا الأوربيين في استعمال النظام العشري . وامتاز العرب في بعض البحوث الهندسية فدلت على إحاطتهم بالمبادئ والقضايا التي تقوم عليها الهندسة ولا سيما فيما يتعلق بالمتوازيات . فلقد تنبه الطوسي لنقص اقليدس ( في قضية المتوازيات ) وحاول البرهنة عليها وبني برهانه على فرضيات



إذا كان  $S > 0$  عموداً على  $M$  في نقطة  $>$  . وإذا كان الخط (  $S > ص$  ) يصنع مع الخط (  $S >$  ) زاوية حادة كزاوية (  $S > ص$  ) فحينئذٍ جميع الخطوط العمودية على (  $M$  ) والموجودة بين (  $S > ص$  ) و (  $M$  ) والمرسومة من جهة (  $S > ص$  ) تقصر تدريجياً . أي أنه كلما بمد الخط العمودي على (  $> م$  ) عن (  $S >$  ) زاد النقص في الطول .

فلقد كان لهذا البرهان أو الاتجاه في معالجة قضية المتوازيات وللبحوث الأخرى التي وردت في كتاب ( تحرير اصول اقليدس ) وفي الرسالة الشافية للطوسي أثر في تقدم بعض النظريات الهندسية . وقد نشر جون واليس John wallis

هذه البحوث في اللاتينية سنة ١٦٥١<sup>(١)</sup> وبهذه المناسبة لا بد لنا من الاشارة الى أن (تحرير أصول اقليدس) قد طبع في روما بالعربية سنة ١٥٩٤<sup>(٢)</sup> والرسالة الشافية طبعت بمطبعة دار المعارف العثمانية بعاصمة حيدرآباد الدكن سنة ١٣٥٨ هـ .

وسنخر بعض علماء العرب (ولا سيما ابن الهيثم) الهندسة بنوعها المستوية منها والمجسمة في بحوث الضوء وتعيين نقطة الانعكاس في أحوال المرايا الكروية والاسطوانية والمخروطية المحدبة منها والمقعرة . وابتكروا لذلك الحلول العامة وبلغوا فيها الذروة . فقد استغل ابن الهيثم الهندسة الى أبعد الحدود في حلول كثير من القضايا المعقدة المتعلقة بالضوء وتناول دراسة (تعيين نقطة الانعكاس) على أساس منطقي سليم ، فعني أولاً بوضع بضع عمليات هندسية هي في ذاتها على جانب من الصعوبة ذكرها وييسر كيفية إجرائها ، ووضع لها البراهين المضبوطة ، وذلك كله على أساس هندسي صحيح ، ثم اتخذ هذه العمليات الهندسية مقدمات الى الحلول التي أرادها لتعيين نقطة أو نقاط الانعكاس . ولم يقف عند هذه الحدود بل ساق لتلك الحلول براهين الهندسية . وعلى هذا فبحوثه ( كما يقول الأستاذ مصطفى نظيف ) يجب أن تراعى كوحدة واحدة تتكون من قسمين أحدهما المقدمات الهندسية ، والثاني الحلول العامة المبينة على تلك المقدمات<sup>(٣)</sup>

(١) كاجوري : تاريخ الرياضيات ، ص ٢٢٨ ، راجع سارطون مج ٢ ص ١٠٠٣

(٢) كاجوري : تاريخ الرياضيات ، ص ١٢٧ .

(٣) راجع كتاب الحسن بن الهيثم لمصطفى نظيف مج ٢ ص ١٩٢ :

أما للمقدمات فهي ست . وقد أورد ابن الهيثم لكل منها وبرهن عليها ببرهان هندسي صحيح . ومن دراسة هذه المقدمات يتبين أن اللقمتين الأولى والثانية متشابهتان ، بل هما في الحقيقة صورتان لعملية هندسية واحدة . وكذلك للقمتان الثالثة والسادسة متشابهتان وهما أيضاً صورتان لعملية هندسية واحدة . ولهذا -

وبين من هنا أنه ما كان لابن الهيثم أن يتذكر في علم الضوء ولا أن يتوفق في شرح بعض طرقه وعملياته ونظرياته لولا استماتته بالهندسة وتطبيقها في مسائل الضوء وجلاتها مما جعل لبحوث ابن الهيثم قيمة عالية وعملية كانت ولا تزال محل تقدير الباحثين والعلماء في الشرق والغرب على السواء .

قد يستغرب القاري إذا علم أن الأوروبيين لم يعرفوا الهندسة إلا عن طريق العرب . فلقد وجد أحد علماء الانكيز في أوائل هذا القرن ( حوالي سنة ١٩١٠ م ) مقالين هندسيين قديمتين في مكتبة كنيسة وستر : الأولى كتبها

- جمال الأستاذ مصطفى نظيف من مقدمات ابن الهيثم الست أوجه عمليات هندسية تشملها جميعاً وهي :

١ - المعلوم نقطة  $P$  على محيط دائرة قطرها  $a$  . ويراد إخراج مستقيم من  $P$  يقطع محيط الدائرة في  $S$  والقطر  $b$  ( هو او امتداد ) في نقطة  $h$  بحيث يكون  $S$   $h$  يساوي طول مستقيم معلوم .  
[ وقد استعمل ابن الهيثم أثناء حله هذه العملية التقطع الزائد ] .

٢ - المعلوم مثلث  $APB$  قائم الزاوية في  $B$  . ونقطة  $S$  على الضلع  $a$  ( هو او امتداده من جهة  $B$  ) . ويراد من النقطة إخراج مستقيم يقطع الضلع الثاني  $BP$  ( هو او امتداده ) على نقطة  $K$  ويقطع الوتر  $AP$  ( هو او امتداده ) على نقطة  $T$  بحيث تكون النسبة  $\frac{TK}{PT} =$  نسبة معلومة وليكن  $L$  .

٣ - المعلوم دائرة مركزها  $h$  وقطرها  $a$  .  $b$  . ونقطة  $h$  مفروضة . والمطلوب إخراج مستقيم من نقطة  $h$  يقطع محيط الدائرة في نقطة  $S$  والنظر  $AP$  على نقطة  $S$  بحيث يكون  $AS = a$  .

٤ - المعلوم دائرة مركزها  $h$  ونقطتان  $h$  ،  $S$  حيثما اتفق . ويراد إيجاد نقطة  $P$  على محيط الدائرة بحيث إذا وصل للمستقيمان  $hP$  ،  $SP$  احاط أحدهما مع الآخر بزاوية . وكانت الزاوية التي يحيط بها أحدهما والمماس من نقطة  $P$  مساوية الزاوية التي يحيط بها الآخر وهذا المماس .

(جريرت) الذي صار بابا سنة ٩٧٩ م باسم البابا صلفستر الثاني . ولم يكن كتاب اقليدس في الهندسة معروفاً حينئذٍ إلا في العربية . والثانية يرجع تاريخها الى أوائل القرن الثاني عشر للميلاد وكاتبها راهب اسمه ادلرد اوف باث Adelard of Bath ، فكان قد تعلم العربية ودرس في مدارس غرناطة وقرطبة واشبيلية . والمقالتان باللاتينية من نسخة ترجمت عن ترجمة اقليدس العربية . وبقيت هذه الترجمة تدرس في جميع مدارس أوروبا الى سنة ١٨٥٣ م حينما كشف أصل هندسة اقليدس اليوناني <sup>(١)</sup> .

واشتغل العرب في المربعات السحرية التي هي من أصل صيني . وقد أخذ بها علماء الهند والعجم وغيرهم وتوسعوا فيها .

وقد رأى العرب فيها جماعاً بين بعض الأعداد وبعض الأشكال . وأول من بحث فيها ثابت بن قرة <sup>(٢)</sup> وتبعه في هذا بعض علماء العرب . وقد ظهرت كثيراً في مؤلفاتهم وأطلقوا عليها اسم (الأشكال الترابية) .

ورأى فيها أصحاب الطلامس والذين يعنون بالسحر والتدجيل منافع وفوائد يمكن استعمالها في الولادة وتسهيلها ، والمرامح والشربات وأفعال الترياقات وألحان الموسيقى وتأثيراتها في الأجساد والنفوس .

وجاء في هذا الشأن أن : « . . . ما من شيء من الموجودات الرياضية والطبيعية والإلهية خاصة ليست لشيء آخر . ولجموعاتها خواص ليست لمفرداتها من الأعداد والأشكال والنور والمكان والزمان والعقائير والطعوم والألوان والروائح والأصوات والكلمات والأفعال والحروف والحركات فاذا جمعت بينها على النسب التأليفية ظهرت خواصها وأفعالها . . . » <sup>(٣)</sup> . ولستأبجاجة الى القول

- (١) راجع المتطاب مج ٣٨ عدد فبراير ١٩١١ ص ٢٠٢ .  
 (٢) راجع ثابت بن قرة في كتاب ثمرات العرب العلمي لقدري حافظ طوقان في قسم التراجم .  
 (٣) رسائل اخوان الصفا ج ١ ص ٧١ .

م (٣)



ان كثيرين من رياضي العرب لم يعتقدوا أن هناك منافع أو فوائد تأتي عن هذه المربعات بأعدادها وأشكالها بل كانوا يرون فيها تسلية فكرية ومنتمة عقلية لا أكثر .

ولا بدءاً لنا قبل الانتهاء من هذا المقال من التعرض لآراء علماء العرب في فوائده الهندسة ، فقالوا ان الهندسة على نوعين : عقلية وحسية . فالحسية هي معرفة المقادير وما يعرض فيها من المعاني اذا أُضيف بعضها الى بعض ، وهي ما يرى بالبصر ويدرك باللمس . والعقلي بصد ذلك وهو ما يعرف وبفهم . وقد بحث العرب هذا كله بالتفصيل في مؤلفاتهم ورسائلهم ، وكانوا يرون أن في الهندسة فوائد وأدركوا اتصالها بالحياة العملية وتماذوا في تقدير أثر الهندسة على الانسان من الناحية الروحية :

فالنظر في الهندسة الحسية « . . . يؤدي الى الخلق في الصنائع كلها وخاصة في المساحة ، وهي صناعة يحتاج اليها العمال والكتاب والدهاقين وأصحاب الضياع والمقارنات في معاملاتهم من جباية الخراج وحفر الأنهار وعمل البريدات وما شاكلها . . . »

والنظر في الهندسة العقلية يؤدي الى الخلق في الصنائع العلمية « . . . لأن هذا العلم هو أحد الأبواب التي تؤدي الى معرفة جوهر النفس التي هي جذر العلم وعنصر الحكمة . . . »

وكان بعض علماء العرب يرى أن الهندسة العقلية هي أحد أغراض الحكماء الراسخين في العلوم الإلهية المرتاضين بالرياضيات الفلسفية ، وإن تقديم علم المدد على علم الهندسة هو تخريج المتعلمين من المحسوسات الى المقولات ، وترقية من الأمور الجسمية الى الأمور الروحية .

قدري حافظ طوقان

( نابلس )

www.alukah.net



# محمد كرد علي<sup>(١)</sup>

## حياته وآثاره

تحرير  
حياة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي حافلة شاملة ؛ وقف  
دون تسجيلها كتابنا ، وحرار فيها المترجمون ، فلم يبدؤوا  
ولم يبيدوا . لذلك خلت صحفنا العربية ومصادرنا الأدبية والتاريخية من ترجمة  
له أو حديث نافع فيه . ولذلك كانت مهمتنا عسيرة ، فليس لنا من معين  
إلا كتبه وآثاره ، وما ترك قلمه في ترجمة حياته ، وما وقع له ؛ فعملها  
اعتمدنا ومنها اقتبسنا ، وبعبارتها الحرفية أخذنا ، لئلا نعيد عن خطة الدارس  
التزيه ؛ ونحن لا ندعي الإحاطة والتوفيق في رسم سيرته أو تعداد كتبه ومقالاته .  
وكيف ندعي الإحاطة في سيرة رجل طوى سبعاً وصبعين سنة في عمل مستمر ،  
وبقظة عجيبة ، لا يكاد يستقر في بلد حتى ينتقل الى غيره ، فيطوف في بلاد  
كثيرة يزور بعضها مرات عدة ، فيسافر الى لندن ، وبرلين ، وباريس ، ومدريد ،  
ورومة ، وبودابست ، والآستانة ، والقاهرة ، والمدينة المنورة . ولا يكاد يقر  
قراره في مسلك واحد ، فهو في الصحافة والجامعة والوزارة والمجمع العلمي العربي  
بدمشق ، والمجمع اللغوي بمصر ، ومع الشرقيين والمستشرقين .  
لقد كان - رحمه الله - حركة لا تهدأ في الكتابة والتأليف . وكان

(١) لمناسبة الذكرى الثانية لوفاته رحمه الله .

لسانه لا ينقطع عن حديث عذب متصل ، ونكتة بارعة تسبق نكتة بارعة ،  
 وضحكة يطلقها لتلحق بضحكة تسبقها ، وقهقهة لطيفة تبيل لها جسمه ، وتنفرج  
 أساريره ، فكان عفيفه الشهاويين تبسمان من وراء نظارتيه ، ووجهه الأبيض  
 المشرق يحمر بالسرور والنضرة . ذلك أنه يحب الطرب والموسيقا والجمال ،  
 ويمشق الحكاية والنقصة والنكتة ، ويهيم بالمجلس اللطيف والعشرة الصافية ،  
 فيفيض بالسحر الحلال من جمل الدعابة والتعجب ، وتنقلب نفسه الكبيرة في  
 دقائق الى براءة الطفل وسحر السذاجة ، فيخيل اليك أنه أول مرة يضعك فيها  
 بعد طول عبوس ، وتستطيع حينذاك أن تطالب فتجاب ، وأن تقول فيستمع  
 اليك ، على أن تتلطف في الحديث ، وتبتعد عن السفاسف في القول ، فان  
 كنت لا تملك شيئاً من هذا فاصكت .

ذلك لأن كلمة عابرة ونكتة مافرة ، تؤذي سمعه وذكاؤه ، فينقلب المجلس  
 الى كدر ، وتسمع ما لا قبل لك به ، وتعرف حينئذ أن ليس لك معه لقاء ،  
 وان تملك معه الصفاء ، وخير في هذا ، أن تزايل المكان وتبرح المجلس ،  
 فالرجل أدب فنان لا يرتضي لجليسه غير الرقة في الأملوب والدقة في الحديث .  
 وأما إذا كنت تحدث في الجهد والسعي والصبر على العلم ، فهو شديد  
 الإقبال على المستغلين ، كثير التحمس للمجتهدين ، يحب النظام ويمشق  
 التدقيق والتحقيق ، وبكره الفوضى ويجارب الرباه ، لا يفرق بين دين ودين  
 لأنه يمتنع التعصب ، وطبقة وطبقة لأنه يرى الناس أخوة . وانما هم أن يرى  
 من يميل فيجيد ، وبقراً فيفهم ، لا يؤخذ بالشهادات ولا يخدع بالألقاب ،  
 فاذا كان لك سعي حميد الى جانب ذلك رفعك فوق مكانتك ، وأحبك فوق  
 رتبك ، ومال إليك بسمعه ، ودعا لك في مجالسه ، فانت تطير بينناحين من

مدحيه ، ذلك لأنه أدب عاطفي يحب ويكره ، ويدم ويمدح ، فإذا ارتسنت صورة من حب لم يطمسها واش ، وإذا ارتسنت صورة من كره لم يمحها مادح ، إلا إذا رأى بالتجربة وخبر بنفسه ، وقرأ بعينه ، فأنت حيث يضعك أدبك وقلبك وعلمك .

دخلت عليه كثيراً في بيته ، والعباءة على كتفيه ، بـ « جسرين » أو في دمشق ، فرأته يذبح نور عينيه في صحيفة أجنبيته وصلت منذ أيام ، يقرأ فيها عن رأي الغربي في الشرق أو مجلة مستشرقة تنشر في أدبنا وثقافتنا ، فهو شديد التببع لما يقع وراء الحدود وفي الآفاق العليا ، وهو شديد النهم لمعرفة أخبار المطبوع والمخطوط ، عاش عمره لها وقضى في سبيلها .

كانت المقالات والكتب تعرض عليه فيتولاها بالنقد والتجريح والاصلاح والتبديل قبل النشر ، لا يسكت عن خطأ ولا يخشى في الحق لوماً . بل يقول في صراحة ما يعتلج بقلبه ويلج في صدره ، كأنه يستريح بعد القول ، لا يستطيع أن يكتم بفضاً أو تقدماً ، وهذا الخلق كثر أعداءه وجمع الخصوم عليه . وهو عصامي يعتز بأنه صمد كثيراً للحياة والمبغضين ، ويفخر بأن كتبه أوصلته الى الوزارة ورئاسة المجمع ، وقد بلغها عن كفاية وعلم ، وبلغ كثير غيره عن ضعة في النفس ، وذلة في الحياة ، وتمسح بالسلطان .

رأته يبكي حين دخل عليه عالم أجنبي ، كان يسى إلى يدي رئيسنا ليقبلها ، فهاله إكبار الغرباء لسعي العلماء ، وقنع من جدته بهذا الجزاء . ولا تسأل عن ذاكرة عجيبة ومقدرة في الوصف غريبة ، حين سأله العالم عن أمور عني عليها الزمان منذ بعيد ، فقد كانت ذاكرته تزداد مع الشبخوخة ، وتقوى كلما نحل جسمه وذهبت عيناه .

كان في عشر الثمانين من عمره يعمل لكتاب « البيرة » في مخطوطة مصحفة ، فما نزلت مخطوطتها من يده ، ولا ملء صحيفة سطورها ، فهو يستلذ العمل في

سبيل المجمع العلمي : مطبوعاته شاهدة على قوة ، ومجته دلالة على استمرار ، لأنه رأى ولادة المجمع العلمي بدمشق ، ووقف حياته في الدفاع عنه ، فاستهدف لفضب الطامعين في دخوله ، والفاضين لوجوده ، والحاسدين لجهوده . وبعض الناس لا يريد أن يعمل ولا يريد لغيره أن يعمل . وقد شب كثير مع الرئيس وشابوا ، فأصبح في سدة العلماء المشهورين ، وما يزالون من دمشق في شهرة فقيرة ، وعدة من العلم يسيرة ، وهو في بحر من رسائل المديح تأتيه من الغربيين والشرقيين .

يعمل الموظفون في دوائره ، وحولهم من يعينهم أو يكتب لهم ، ويعمل الرئيس في كتبه وحده ، يكتب بخطه ، ويصحح بقلمه ، ويراصل بيده ، ولا معاون بكل إليه الأمر ، أو بكتب له السر ، وقد يخط عشرات الرسائل ، ويصحح عشرات الصفحات يحققها ، وينظر في مقالات غيره من الأعضاء والأدباء والعلماء ، وهو لا يشكو ولا يتدسر ، لأن الخلود يكلف التوابغ جزية يسيرة : هي أن تصمد قلوبهم لهذا السعي المتواصل ، ولو دلفوا إلى الثمانين <sup>(١)</sup> .

رحم الله محمد كرد علي ، إنه لم يرحم قلبه ، ولم يشفق على عينيه ، ولم يحرص على صحته ، وإنما أتق ذلك في سبيل هذا الوطن وأبنائه ، فله من الوطن الأكبر والتخليد ، ومن المجمع العلمي العربي دمع لا ينفد ، وحسرة لا تنقضي ، ومكان لا ينسى .

ولقد أراد مجعنا العلمي بدمشق أن يرسل في ذكره سطوراً موجزة ، تصف حياته وتمدد آثاره ، بقدماً إكليلاً إلى ضريحه الخالد ، فكلفني وشرفني بهذه المهمة ، فبذلت ما وصفت ، وهذا جهد المقل ، داعياً إلى الله أن يطر ضريحه بوابل رحمته ، وأن يسكنه فسيح جنته .

(١) رسم الملائمة المرحوم أخلاقه وحياته وما أتى خلال عمره ، في مقال جميل تنصح الذين يمشقون الأدب أن يقرهوه ، فهو من أطيب ما خطته أنامله ، وهو فيه كأنه ينمي نفسه ويلخص ما عدته الأيام من دروس ، وكان علينا أن ننقله هنا ولكن المجال ضيق ، فنحيل القاري إليه في مذكراته ٦٤٩/٢ - ٦٥٣ .



## أيام الحداثة والدراسة

« ١٨٧٦ - ١٨٩٢ »

ولادته قدم جده «محمد» من السليمانية<sup>(١)</sup> بشمال العراق ، وهو تاجر كردي من الأيوية ، فالتصل بالشام ورحل الى الحجاز والأستانة ثم عاد الى دمشق واستقر فيها<sup>(٢)</sup> . ونشأ أبوه «عبد الرزاق» في الخياطة أول الأمر ، ثم عمل في التجارة فربح<sup>(٣)</sup> ، واشترى مزرعة في الفوطة بقرية «جسرين» ، وتزوج امرأة شركسية أصلها من قفقاسيا<sup>(٤)</sup> ، فولد له منها غلام ، في أواخر صفر سنة ١٢٩٣/١٨٧٦ ، سماه «محمدًا» ولقبه بـ «فريد» .

الدراسة الابتدائية ودبّ الطفل «محمد فريد» في بيت أبيه ، في زقاق البرغل ، وأحاطته أمه بصنابة فائقة ، ومنحه أبوه عطفًا غاليًا ، ثم أسلمه في السادسة من عمره الى مدرسة كافل صيبي الأميرية الابتدائية «وهي المدرسة النباهية»<sup>(٥)</sup> ، يتعلم فيها خلال العام ، فاذا كانت العطلة الصيفية استسلم الصبي الى البيت ، يسرح ويمرح ، يطوف

- (١) بلدة قائمة على سفح جبل مارمير ، تبعد عن كركوك ٧٢ ميلاً .
- (٢) قص هلامتنا الراحل في خطط الشام ما وصل اليه من أن خلافاً وقع بين جده ومحافظ الحج ، سافر له الجد شاكيًا الى الأستانة ، وخاب في سميهِ فافتقر وهلك - خطط الشام ٤١١/٦ .
- (٣) قصّ علينا كذلك من أسر ابيه وسفره الى الأستانة واتصاله بكبار القوم هناك وفي دمشق ما نخبج به التاريخ الى المذكرات ، بالصفحات ١٧ ، ٢٠ ، ٢٤٣ .
- (٤) يقول الرجل في مذكراته ص : « فأنا على رغم من آمن وكفر من جنس آري لا يقبل الزواج » .
- (٥) انظر تمار المقاصد ليوسف بن عبد الهادي ، وتعليق الدكتور احمد طلس ، بحاشية الصفحة ٩٩ .



الماء عصر كل يوم في صحن الدار ، ويسبح في الحوض حتى يتبرد . فاذا سار الى « جسرين » ركب مع أبيه على فرسه ، واجتاز الفوطة ، ورأى الظل والنور بتلاعبان طول الطريق على رأس أبيه ، ويمر بان أمامه في خطوط عرضية تعرض وتدق ، ورأى الانسان والحيوان يمشان في خدمة المدينة وأهلها ، وشهد الحصاد والرجاد ، والبيادر والنواطير ، فكان يقضي « نهره » في الحقول الواسعة ، يطير طيارته في الهواء ، أو يسبح في ماء النهر ، أو يعبث ساعات من نهار بالأرجوحة مع أخته تقذفه ويقذفها (١) .

لذلك كان الصيف حلاً من أحلام الصبي ، وكانت القرية سكناً ومرتماً خصباً خياله وآماله ، يستمتع بالصفادج في مناقمها ، ويطرب لأصواتها ، ويأنس بالفلاح ويسرُّ لدعابته ، فأحبَّ القرية وعشقها ، ووقعت « جسرين » من نفسه موقفاً خالداً ، عاش فيها أحلى حياته ، وسجل فيها أجمل مؤلفاته . وترعرع الطفل في كنف الرعاية والعناية عند النساء كذلك ، وأحسن بذلك منذ نعومة أظفاره ، فحُفَّ في نفسه حساً دقيقاً راعياً ، ابث يصحبه بعد السنين والسبعين ، إذ يقول بعد نصف قرن :

« شمعتُ أول ما وعيت على نفسي بعطف النساء ، وكنت أحبُّ الاجتماع اليهن ، وأفضله على الاجتماع الى أترابي ، وأحبُّ سماع كلام من يختلف منهن الى دارنا في القرية ودارنا في المدينة ، ومنهنَّ من أرضعتني فصرتُ ابنتهنَّ من الرضاع ، وغدا أولادهنَّ أخواتي وإخوتي . وكان الكهلات والشابات والعجائز من أولئك النسوة ، الفلاحات منهنَّ والبلديات يضمنني إلى صدورهنَّ ، ويقبلني ، وأضمننَّ وأقبلنَّ » (٢) .

(١) المذكرات ١٢ .

(٢) المذكرات ١٤ .

وهكذا كان لطفولته المرحية ، وحياة الطبيعة وعناية النساء به أثر كبير في حياته ، فقد كان يقول : « وبقيت بعد ذلك أوتر مجلس النساء مها كان لونه علي مجالس الرجال الي أن شبيت وشبت » . ورافق النساء والطبيعة ، شعور بالموسيقا والطرب ، فقد كانت أمه تصحبه الي حفلات الاعراس لذلك الزمان ، فيشهد « التخت » ويسمع الي المغنيات ، وينظر الي الجمال والفتنة فيما يرى وفيما يسمع ، فنشأ عنده حسن الفن ، ونما حتى عشق الألوان والأصوات . واحتل ذلك من نفسه موقفاً كبيراً ، وأثار في أدبه وكتابته سطوراً لا تحصى ، ظهر أثرها فيما كتب وفيما سطر ، فهو يذكر بعد سنين عاماً لون هذائه للعيد ، وما يقدم من حلوى في البيوت ، وما يقوم من ملاعب في الشوارع .

كل هذه المشاهد الفاتنة ، في المدينة والقريبة ، أثرت في عقل الصبي واشتركت في تفكيره وذكائه ، فقد قرأ في كتاب الطبيعة ، وسبح في مفاتها منذ صباه ، وتفتحت عيناه على أجمل ما يسر العيون ، فأشرقت في نفسه ألوان الفهم ، وأشربت روحه حب النكتة والقصة والخيال .

فما كان في السادسة زار مع أمه بيت الشيخ محمد الطنطاوي بالقيصرية ، ووقع بصره على رفوف للكتب ، فشيق لمراها ، وسأل عنها فأجابته : « إنها كتب يقرأ فيها العلماء » فأحب ألوانها وطريقة ترتيبها ، ودعا ذلك الي أن يقول في لسان الصبي الساذج : « أنا أحب أن أتعلم هذه الصنعة » ؛ ودفعه أبوه الي الكتب ، ودفعته أمه الي حبها ؛ واندفع هو بسائق وعده الي هذه الصنعة ، مع أنه يقول في أبيه : « ووالدي كان عامياً يقرب من الأمية ، أتفق عن سعة ليعلمني ، فكان مدة سنين يدر الرواتب علي أساتذتي ، وقد ابتاع لي مكتبة »<sup>(١)</sup> . ولهذا المكتبة وهؤلاء المعلمين أثر في تربيته وثقافته وتفوقه علي أقرانه .

(١) خطط الشام ٤١٣/٦ .

ولما أتمّ الدراسة الابتدائية حوالي سنة ١٨٨٦ م ،  
 انتقل الى الدراسة الرشدية ، وسمي «محمد تعديل»  
 نسبة الى حيّ كان يسكنه أبوه على عادة ذلك الزمن . وراح في هذه الحقبة  
 يقرأ ويقرأ حتى هام بالمطالعة ، وأصبح يسهر الليل حتى الهزيع الثاني منه ،  
 في قراءة جريدة أو كتاب . فضفف بصره ، وصامت صحته ، ونصح له  
 الأقارب والأصدقاء في الاعتدال ، ولكنه مع ذلك ما كان يذعن إلا حين  
 يُطفيء أهل المصباح لينام ويستريح .

وأنتى لنفسه المتيقظة أن تستريح ، وهو في كل يوم يقع على ألوان من  
 الإغراء في المطالعة والجد ، فقد دخل على صفّه ذات يوم ، رجل في عمامة  
 وجبة ، يتحدث في طجة مغربية ، فدهش الطفل لما رأى ، ولما سأل عنه قيل له :  
 إنه المفتش العلامة الشيخ طاهر الجزائري ، وهو أئمن من شيخه وأستاذه ، وأنه  
 يستطيع أن يعزل الأستاذ ، فقال في نفسه : «يا ليتني أكون مثله !» .

وهكذا أعجب وهو صغير بالكتب الجميلة المصنوفة والعلماء المهيين المحترمين ،  
 فأحب أن تكون له الكتب في بيته حين يكبر وأن يكون في العلماء المهيين  
 لعصره ، فاستزاد من الكتب ، وأطاعه أبوه فابتاع له جملة منها في التركات .  
 وكانت تباع التركات في الجامع الأموي بعد صلاة الجمعة - وصحب الكتب  
 وقرأ فيها ، وراح يعبّ من الصحف ، وهو في الثالثة عشرة من عمره :  
 «بدأت أقرأ الجرائد اليومية في الثالثة عشرة من عمري ، وأنا في السنة الأخيرة  
 من المدرسة الابتدائية ، وبعد حين اشتركت بجریدتين : بيروت الأسبوعية  
 ولسان الحال نصف الأسبوعية» . ووصف لنا ما كان يقرأ فيها : «أولمت  
 بمطالعة لسان الحال لأن فيها أخباراً طريفةً مرعبةً عن الانكليزية ، واشتركت  
 لما كنت في السنة الثانية من المدرسة الثانوية بجريدة افرنسية أسبوعية تصدر

في باريز اسمها « صديق الريف » ، وأطالع بعض الصحف التركية الصادرة عن الأستانة ، ولا سيما المجلات الأدبية والتاريخية» (١) .

وبذلك أنتقل من كتاب الطبيعة المفتوح في صباح الى كتب مطبوعة في شبابه ، ومال الى الصحف والمجلات يقرأ فيها حتى عشق المطالعة ونال منها حظاً وافراً في ثقافته ولغته وأسلوبه ، ونالت من صحته وعينه . وهذه الثقافة لم تقف على لغة واحدة ، وانما اشتركت فيها ثلاث لغات ، كان يقرأ عن آدابها في صحفه ، وهي العربية والتركية والفرنسية (١) فسبق اخوانه ، وفاقهم ثقافة في الحياة ، ونشأ فيه ميل عميق الى الخيال والأدب والصحافة والثقافة العامة ، وصنرى أثر ذلك في حياته المقبلة ، حين أصبح صحافياً وغدا منشئاً مترسلاً ، يعمل للثقافة الغربية الجديدة والثقافة العربية القديمة ، يشرك هذه وهذه معاً في جهده ، ويتخذ الطبيعة مصدر وحيه ، ومن الرحلات مادة كتابته ، ومن الآثار والكتب مجموع دراسته وتآليفه .

ولن نستغرب قوله : « وما بلغت السادسة عشرة حتى أخذت أكتب أخباراً ومقالات في الجرائد » ، بل هو يعجب لهذا الأثر فيقول : « ما كنت أظن أن هذه البداية تنتهي بي الى الغرام بالصحافة » (١) .

وتعلق الشاب في دراسته الثانوية بالشعر العربي وبالسجع المنسق وشارك في الأسلوب القديم ، وعكف على شيوخه بعبد من علمهم وأدبهم ، وهم من مشهوري عصره لبلده : السيد سليم البخاري ، والشيخ محمد المبارك ، والشيخ طاهر الجزائري . وأخذ منهم حب الكتب القديمة ، وعشق هذه الثروة الكبيرة ، فجمع في نفسه حباً عارماً لكنوز الأجداد وآثارهم وكتبهم ، ففضى صحبتهم أكثر عمره . ومن العجيب أن يتجاوز القديم والحديث في نفس هذا الشاب وأن تنصاحب

(١) المذكرات ٥١ .



الثقافة الصحفية الجديدة والثقافة العربية القديمة ، وأن يهيش في قلبه شعوران عميقان أحدهما يدفعه الى أن يأخذ بحظه الكبير من قراءة هذه الكتب الصغرى المثقلة بالهوامش والتعليقات لعله يفهم العقل العربي على أربعة عشر قرناً فيه التاريخ والأدب ، وثانيهما يدفعه الى أن يأخذ بحظه الواسع من قراءة هذه الصحف الجديدة المصوّرة والمبوّبة التي لا تمتُّ الى القديم بشيء ، وإنما تحمله الى أجواء البوسفور والسين .

لذلك عاش في مدرسته الثانوية ، وقد ثقف من العربية على شيوخه ، وأخذ من الفرنسية بالمدرسة المازارية ، حتى ترك دراسته الثانوية ، وهو على شيء كثير من الثقافة العامة كما كانت زمنه ، والقرن التاسع عشر يشارف الاحتضار . والذين يعرفون القرن التاسع عشر في الشام يشهدون بأن الأمية كانت ضاربة بجرانها في هذا البلد ، وأن الكتب المطبوعة نادرة عزيزة ، وأن المعلمين أندر من الكتب ، لذلك سبق الشاب زمانه ، وكان «فريداً» حقاً ، كما لقبه أبوه .

\*\*\*

### في غمار الصحافة

« ١٨٩٢ - ١٩١٨ »

بعد أن قضى الشاب في دراسته الثانوية سنوات من عمره ، دخل غمار الوظيفة على عادة أقرانه ، وهو في السابعة عشرة ، فكان موظفاً كاتباً في قلم الأمور الأجنبية ، سنة ١٨٩٢ ، وكان يجيد الفرنسية والتركية والعربية . ولسنا نعلم مدى رضاه عن عمله هذا خلال ست سنوات ، وما كان يمترضه أثناءه ، وإنما عرفنا أنه كان معتزاً بفرنسيته : «ومعرفة المسلم لهذه اللغة أمر مدهش آنذاك» . ويبدو أن اللغة



أعانه على الوظيفة ، ودفعته الى الترجمة فشرع بنقل رواية فرنسية هي « قبعة اليهودي ليفان » أعانه في سبكها أستاذه الشيخ محمد المبارك .

في التحرير وشرع بعد ذلك يرسل في الصحف مقالات باسمه يصفها بقوله : « لم تصل الى أكثر من أقوال مبتدي » ، وقوله : « لم أكن يومئذ أكثر من طائر لا زغب له ، أمام بواشق كامرة » (١) . وشجته هذا الى أن يدخل في تحرير الصحف ، سنة ١٨٩٢ ، وهو في الثانية والعشرين : « ويبلغ بي الحال الى أن أحرر أول جريدة ظهرت في دمشق ، واطرد صدورها مدة ، واسمها الشام ، وكانت تصدر أسبوعية لصاحبها مصطفى أفندي واصف الشقلاي ، مدير مطبعة الولاية ، ومدير إطفاء الحريق . وفي مطبعة الولاية كان يطبع جريدته ، ولم يكن يحسن الكتابة بالعربية فانكل على صهره أديب أفندي الطناحي المصري ، وكان هذا يلقى بين حمل يحفظها لبعض الكتاب المحدثين ، ومنها عبارات لأديب اسحق ، ويصوغ من عنده بعض حمل . واتكل أيضاً على اسماعيل أفندي التابلسي من أبناء الأعيان ، وكلا الرجلين لم يدرس آداب اللغة العربية الدرس المطلوب » (٢) .

ثم قال : « مل صاحب الشام ، على ما قال ، من إعانت هذين المحررين له ، فهد إلي بتحرير جريدته ، ولما أخذت بالنقل عن التركية والفرنسية شعرت بخطورة العمل الذي وسد إلي ، وأشد ما كان يؤلني كابوس المراقبة ، وما ألقاه من الغيظ حتى يؤذن للجريدة بالطبع » .

ولبت الشاب يحرر في هذه الجريدة ثلاث سنوات ، على الرغم من كل ما كان يعترضه فيها ، فقد رضع لبان الصحافة قارئاً صغيراً على مقاعد الدرس ، وغذاها شاباً وهو لما يبلغ الخامسة والعشرين ، فظهر في حياته أول أثر من

(١) المذكرات ٢١ .

(٢) المذكرات ٥١ .

آثار نشأته وثقافته وقراءاته . ولم يقف عند هذا ، بل راح يكتب لكبرى الصحف المصرية آنذاك ، وهي مجلة «المقتطف» وذلك لأن صاحب المقتطف شكى الى الأمير شكيب أرسلان شدة الإرهاق الذي يلاقه من تحرير صحيفته كلها بنفسه ، وهي في حجم يزيد على مئة صفحة في كل شهر ، فأحاله على صديقه الشاب محمد كرد علي ، وقبيل هذا مفتبطاً ، فأرسل اليها أولى مقالاته : « أصل الوهاية » ، وأصبح ذلك صيله الى الشهرة ، حيث يقول في مذكراته : « وبكتابي في هذه المجلة امتدت شهرتي » (١) .

بهذا خرج الشاب من نطاق إقليم ضيق محدود هو الشام ، الى إقليم واسع كان معدن الصحافة وموضع الثقافة ومصنع الكتابة ، وهو مصر . وهذا الذي نقل الشاب من ميدانه الاقليمي الى جوار الأعلام المشاهير .

ولا شك في أن آفاق سوريا ضاقت في عيني محمد كرد علي **في مصر** فطمح الى آفاق كبرى ، وخلق خياله في سماء الغرب ، لما كان يقرأ منذ طفولته عن أخباره وآثاره ، فأحب أن يزوره ليعب من ثقافته ، وأعرب عن هذه الأمنية في صدر كتابه « غرائب الغرب » : « كان من أعظم أماني النفس منذ بضع سنين أن أرحل الى أوروبا رحلة علمية أقضي فيها ردياً من الدهر ، للتوفر على دراسة حضارة الغرب من منبعها ، وامتنطاع طلع المعاهد التي منها نشأ المخترعون والمكتشفون والفلاسفة المنزهون ، والعلماء العاملون ، والساسة المستعمرون ، والقادة الغازون ، والتجار والصناع والزراع والماليون وهم على التحقيق مادة تلك المدنية وهيولاهها » (٢) .

ولذلك قرأه عليه على مغادرة بلاده الى باريس لقضاء بضعة أشهر للدرس والنظر ، ولا عجب في أن يقصد باريس دون غيرها من المواسم ، فقد تأثر بما قرأ في

(١) المذكرات ٥٢ .

(٢) غرائب الغرب ٤ .

الفرنسية من غير شك ، وأخذ يجالها وروعتها بما تلقنه في العازارية وغيرها عن أساتذته . وسافر سنة ( ١٩٠١ ) وهو في السادسة والعشرين .

ودخل مصر ، ونزل بها أياماً يرحل بعدها الى عاصمة الفرنسيين ، ولكن أصحابه في القاهرة عرضوا عليه البقاء ، وحدثه صديقه الأستاذ السيد محمد رشيد رضا<sup>(١)</sup> صاحب المنار أن يحرر في جريدة «الرائد المصري» لصاحبها نقولا شحاده ، وهي نصف أسبوعية فقبل . وكانت هذه الجريدة تنال من أصحاب المقطم بتشجيع المؤيد ، وكان صاحبها جاهلاً بالعربية ، ومع ذلك ظل محمد كرد علي ، يحرر فيها ، فقد كان يستمتع بصحبة المصريين من العلماء ، وينتفع بالكتاب من النازلين في أرضها ، فتعرف الى محمد الموبلحي وابنه ابراهيم - وكانا يحرران «مصباح الشرق» - والى الشيخ محمد عبده ، وكان يدرس في الرواق العباسي بالأزهر ، فحضر الشاب دروسه في التفسير مرتين في كل أسبوع ، وغشي مجلسه الخاص بـ «عين شمس» مرة في الأسبوع ، فتعرف الى جماعة من الفضلاء والعلماء ، وانتفع في الاستماع اليهم ، كما انتفع بذلك الشاعر محمد حافظ ابراهيم . وقد سجل في مذكراته هذا الاعتراف فيما بعد قائلاً : « وكان يوم الاستقبال في داره بعين شمس أعظم واسطة لمعرفة طبقات من أعيان الأمة وعلمائها وقضاتها ورجال سياستها وغيرهم »<sup>(٢)</sup> . وكان الفضل في تقديمه الى الفضلاء من المصريين لصديقيه : رفيق العظم والسيد محمد رشيد رضا .

وقد ذكر كثيراً من المصريين والسوريين تعرف اليهم ، وكلهم في الأعلام المشهورين ، خلفوا صفحات نيرة في حياة العصر الفكرية والأدبية ، أمثال : قاسم أمين ، وفتحى زغلول ، ابراهيم اليازجي ، يعقوب صروف ، فارس نمر ، حافظ ابراهيم ، خليل مطران ، عبد العزيز فهمي ، جرجي زيدان ، علي يوسف ،

(١) المذكرات ٥٥ .

(٢) المذكرات ٢٥١ .

مصطفى كامل ، سليمان البستاني ، أحمد تيمور ، أحمد زكي ، ولي الدين يكن ، شبلي شميل ، وغيرهم كثير من المعاصرين .

ونحن إنما بسطنا هذه الأسماء ، وأفضنا بعض الافاضة في تعدادهم لنتهي الى أن الرجل دخل جامعة أدبية فكرية واجتاز المرحلة الأولى فيها ، فتكونت ثقافته ، وقويت معرفته ، وأخذ من كل طرف ، فعوضت عليه سني الدراسة المالية - كانسبها الآن - وكفته مؤونة الشهادة العليا والألقاب الجامعية وما إليها من تهيؤ ومحاضرات ، ولا ريب في أن هذه المحاورات والمجالس كانت أشبه بالمحاضرات العامة ترهف العقل وتغني الثقافة .

ولعل مشاهدة الأعلام والاجتماع اليهم تزيد في ثقافة القارئ ، وتكسبه بالحسنة تجربة ومعرفة . والرجل نفسه يعترف بهذا الأثر في مذكراته : « ومن أعظم ما استفدته من رحلتي هذه الأخذ عن عالم الإسلام والإصلاح الشيخ محمد عبده وحضور مجالسه الخاصة والعامة »<sup>(١)</sup> .

ولسنا نتطرق الى وصف البيئة في مصر ، وحال السياسة والخطابة ، وقيام الدعوة الى الوطنية والاستقلال ، وما كان في الصحف المصرية الكبيرة من أدب وبيان ، لنشير الى أثرها في أدب الشاب وفي روحه ، فلذلك كتب يحسن الرجوع إليها<sup>(٢)</sup> في فهم المصر والمصر والأثر .

وعلى كل ، لم يطل مقام الرجل في مصر ، عودته الى دمشق فقد سلخ عشرة شهور فحسب ، قام بعدها وباه في القطر ، اضطر محمد كرد علي إلى الرجول عنها فهجرها الى دمشق ، وعاد الى وسطه الضيق ، يتحمل عن الحكام ، وجهل الجبهة ، وحسد الحاسدين ،

(١) خطط الشام ٤١٣/٦ .

(٢) نضرب لذلك مثلاً كتاب أنيس المتدسي في الموامل النعمالة في الأدب للدربي الحديث ، وكتاب صهر الدسوقي في الأدب الحديث ، وكتاب عبد الرحمن الرافعي « مصطفى كامل » مصر سنة ١٩٥٠ .





الأستاذ الرئيس محمد كرد علي  
(١٨٧٦ - ١٩٥٣)



ولعله صرح إثر عودته ببعض الآراء الإصلاحية التي حملها معه من مصر ،  
وثر بعضاً من الأفكار الاجتماعية ، فحملها الجوايسيس والوشاة ، عن يتصيدون  
الغائب بعد أوبته بتصريح أو تلميح ، وانتقلت الى آذان السلطة الحاكمة ،  
فضايقتة وراقبته ، ورأت أن تتخلص منه بالسجن أو بالإبعاد .

لذلك ألصقت به تهمة الطعن على أحد الأعيان ، أو كتابة المناشير ضد  
الوالي ، وشرّده عن داره أياماً ، فضاها مختبئاً في قرى الغوطة ، في خوف  
وذعر ، وصفها صديقه الأمير شكيب أرسلان <sup>(١)</sup> بقصيدة طويلة نروي منها :

فكم في الزوايا تخبئاً فتي طريد الكتاب شريد القلم

وتحو « المليحة » رام الخفا وكم بالمليحة من متهم

وكم ذاب « جسرين » من ليلة على مثل حجر الفضا في الضرم <sup>(٢)</sup>

وزاد هذا التضييق حتى ذاع في الأسماع أنه منفي الى رودس أو الى فزان ،  
فسم الخفي ، وتحمل ثانية الى مصر ، وهو في الثلاثين من عمره تقريباً .

دخول مصر ، فتولى تحرير جريدة « الظاهر » <sup>(٣)</sup> ،

في مصر

وهي يومية صاحبها السيد محمد أبوشادي ،

سنة ١٩١٥

وأصبح بعد قليل رئيس تحريرها . وأصدر معها مجلة « المقتبس » الشهرية ،

وطبعها بمطبعة الظاهر ، وراجت المجلة في الناس . وحين توقفت جريدة الظاهر <sup>(٤)</sup>

ظفق بترجم روايات عن الفرنسية لمجلة « مسامرات الشعب » وصاحبها خليل صادق .

(١) قامت بين الراحين صداقة متينة ، وشابها بعض الكدر حين رشعت بعض  
المراجع الأمير شكيب أرسلان الى رئاسة المجمع ، كما في المذكرات ٢١٨ -  
وفي مذكراته ١٠١٦ يقول : إن المجمع قرّر أن يستأض عن تأييد الأمير  
شكيب بكتاب يؤلفه أحد الأعضاء في سيرته السياسية والأدبية . ولكن هذا  
الكتاب لما يصدر بعد ، على شدة وفاء الأمير للراحين من أصدقائه كأحمد شوقي ،  
ورشيد رضا ، ونحن في سبيل انجاز كتاب عنه يصدر قريباً .

(٢) انظر بقية آياتها في خطط الشام ٤١٤/٦ .

(٣) المذكرات ٥٦ : « لحمد بك أبي شادي » .

(٤) توقفت جريدة الظاهر لمجزأ عن دفع الرواتب - المذكرات ٥٩ .

م (٤)

ودعاه بعدها صاحب « المؤيد » الشيخ علي يوسف للتحرير في جريدته ، وعليها قامت شهرته ، فهي الدعاة الثانية بعد المقتطف في تعريفه الى المصريين ، فدخل في صميم حياتهم ، وأصبح يعرف ما تقف عليه الخاصة فحسب . وشغفته البلاد حباً حتى قال : « وأصبحت في مصر كأني في بلدي تهمني من وراء الغاية سياستها وسيادتها » (١) .

وظل يحرر في « المؤيد » ، وتنتشر مقالاته فيها ، وكانت لسان حال العالم الاسلامي الواسع ، فعرفه القاصي والداني ، وعندما ملء الأسماع وموضع الرعاية ، وحقق حلماً من أحلامه .

وجاري في « المقتبس » ما كان عليه الغرييون من نشر البحوث العلمانية والأدبية والتحقيقات التاريخية ، فكانت ينقل عن مجلات العالم أبناء في العلم والحضارة والتقدم والاختراع . وبكتب في أعلام المشاركة والمغاربة ، وبعرّب روايات عدّة عن الفرنسية ، وينشر الى ذلك كتباً قديمة عن مخطوطات قديمة نادرة ، فهو بذلك جمع بين القديم والحديث ، وهذا أثر آخر من آثار دراسته الأولى ، فقد تتقف على الشيوخ فأحب المخطوطات والكتب القديمة ، وأخذ من الصحف خلاصات الأنباء والآراء الغربية .

ومجموعة مجلة المقتبس من أنفس ما تنخر به مكتبتنا العربية الحديثة في علوم اللغة والأدب والتاريخ ، إلى مقالات في الرحلة ووصف المخطوطات في عواصم الشرق العربي ، وقد بلغت تسع مجلدات في ( ٦٥٠٠ صفحة ) صدر ثلاث منها في مصر وصائرهما في دمشق .

ومن أراد أن يعرف الموضوعات التي طرقها الرجل في جريدة « الظاهر » و « المؤيد » و « المقتبس » يستطيع أن يرجع إلى كتبه فإنه واجد فيها نصوص

(١) المذكرات ٥٩ .

أكثر هذه المقالات ، وبها يحكم على ذوقه في النقد ، وسميه في الإصلاح الاجتماعي وجهه للقديم من تراثنا ، ووقوفه على كتب الفريين في الاجتماع والرواية والقصة .

في سوريا لبث محمد كرد علي في مصر حتى سنة ١٩٠٨ ، فلما أعلن القانون الأساسي ، وسقطت دولة الاستبداد ، ظن الناس خيراً بالدولة العثمانية ، فحمل الرجل الى وطنه ووصل دمشق ، فأنشأ فيها مطبعة ، وأصدر «المقتبس» اليومي ، وهي أول جريدة يومية صدرت في دمشق (١) وهو في الثالثة والثلاثين من عمره تقريباً .

وكانت هذه الجريدة تكتب في الثقافة العامة ، والأدب ، والسياحة ، والشعر ، وتنشر مقالات في وصف المدن السورية ، ورسائل من الغرب . وتجيد فيها آثار الأعلام في الشام والعراق ومصر كرفيق العظم ، وعبد القادر المبارك ، ومعروف الرصافي ، والزهاوي ، وشوقي ، وغيرهم من رجال لبنان والمهجر ، في صفحات أربع واسعة كأنها من جرائد اليوم قوة في التحرير ، ومثانة في التعبير ، وسمعة في الأخبار . وهي تنقل عن أختها المقتبس الشهرية وعن غيرها ، أو تعبر بعض مقالاتها للمقتبس الشهري ، وكانت يمينه في إدارتها أخوه الأستاذ أحمد كرد علي .

وقد عانت الجريدة كثيراً من جراء الصراحة والحرية ، والنقد (٢) ، فقامت السلطة لإيقافها أو تخفيف حدتها ، فحاولت ذلك بالين حيناً والتهديد أحياناً ، وأقامت الدعاوى المختلفة ، وقد عرفنا أن الأستاذ فارس الخوري كان يرافع عن زميله وصديقه محمد كرد علي ، ورأبنا من أخبار هذا الدفاع في جريدة المقتبس .

(١) المذكرات ٦١ .

(٢) في خطط الشام ٤٢٣/٦ يقول الملامة محمد كرد علي : « كان مذهب المقتبس مساومة الحكومة بالقبول ، وانتقادها عند الاقتضاء ، وفتح الصدور للمدنية القريبة » - وكذلك المذكرات ٦٣ .



واشتدت السلطة بعد ذلك ضد الرجل<sup>(١)</sup> ، فهددته بالاغتيال ، ثم عمدت الى إغلاق جريدته ، وترصد الوالي في القبض عليه .

في الغرب  
سنة ١٩٠٩  
لذلك هرب الرجل من دمشق ، وبلغ لبنان<sup>(٢)</sup> ،  
وركب منها البحر الى فرنسا ، وقد بسط تفصيل  
الرحلة في كتبه ، فكانها أقرب الى الخيال لشدة مالاتي من عذاب ، وهول  
ما صادف من تحف ، حتى لكأنه ، وهو يروي خبرها ، كان يرى في كل  
شخص عيناً ، وفي كل زاوية رصداً .

وبلغ باريس - وهو في الرابعة والثلاثين - فزار معالمها التاريخية ومؤسساتها  
الثقافية ، وخص المجمع العلمي الفرنسي فيها بوصف مسهب قال فيه :  
« وحدثني النفس ببلادنا الشرقية ، وقلت : هل يكتب لنا المستقبل  
تأليف مثل هذه الجامع ، فنعمل فرادى ومجتمعين كالغربيين ، أو نظل كما نحن  
لا نعمل فرادى ولا مجتمعين »<sup>(٣)</sup> .

ونحن نرى في هذه الجملة نواة لتفكيره بإنشاء المجمع العلمي العربي بدمشق ،  
فقد صرّح في تقاريره بعد عشر سنوات ، أن المجمع في دمشق وضع على غرار  
المجمع في باريس . فالرجل كان يرى لبلاده أن تأخذ أحسن ما عند الغرب ،  
ولعله حين سمى جريدته ومجلته بـ « المقتبس » كان يؤمن بالافتباس من العرب  
القدماء والغربيين المحدثين على السواء ، فجمع على صعيد واحد أمجادنا القديمة  
الموروثة وأمجاد الغربيين المكتسبة .

- (١) دخل محمد كرد علي في جمعية الاتحاد والترقي قبل الانقلاب المماني بنحو اثنتي عشرة سنة،  
ثم فهم أن سرايم الاتحاديين تتريك العناصر ، فألف كتلة من العرب والترك  
سماها « حزب الحرية والائتلاف » ثم حل الحزب - خطط الشام ٤٢٢/٦ .
- (٢) المذكرات ٨٦ - ويتحدث الكاتب أمين الريحاني عن زيارة الملاّمة كرد علي  
وهربه الى الفريكة في كتابه ملوك العرب ١٠/١ فيقول : « أقام مجلّ كرد علي  
عندنا أسبوعاً عدده من شوارذ الزمان » .
- (٣) غرائب الغرب ١٠٦/١ .

ورأى في هذه الرحلة مكثبات ومثاقف وكنائس ودور تمثيل ، وعاد من باريس الى الأستانة ودمشق فوصلها سنة ١٩١٠ ، وهو يحمل في صدره صوراً للحرية ، وعلى أطراف قلمه آيات للعمل والسعي ، فأطلق الاتحاديون جواسيسهم وأعوانهم ، يهدّدونه ليكفّم قفّه ويسكت عن هذه الثورة الفكرية التي كانت تضطرم في قلبه . ولعله ملّ ذلك كله ، وسئم الصحافة ورأى أنّ مهجرها الى غيرها من الصناعات وقد جاوز الخامسة والثلاثين من عمره .

قبل الهجرة  
حدثنا الرجل من قبل أنه حين قصد مصر  
سنة ١٩١٣  
سنة ١٩٠٦ ، نصحه صديقه جرجي زيدان

بأن ينقطع عن السياسة إلى مجلته يعمل للعلم والبحث ، وحدثنا كذلك أنه حين زار مصر سنة ١٩٠٨ نصحه صديقه بمقرب صروف أن يقتصر على المجلة وأن لا يدخل في السياسة . والرجلان على قدر عظيم من العلم والدكاء والبحث والتحقيق ، وقد أدركا أن الأستاذ محمد كرد علي لم يخلق للصحافة اليومية والعمل السياسي ، وإنما هو بالبحث أئزم وبالتحقيق أحقّ . وكانما عرفا من خلق الرجل في عصبية وصراخه وشدة ذكائه ما يجب أن يمدّ لمستقبله وما يتخذ لعمله .

وقد حاول أن يكون صحافياً خلال عشرين عاماً يعبش من قله ، في حكومة تحارب القلم ، ويروج بطلمه في سلطة تقتل العلم ، لذلك ضاقت نفسه بحياته : تهديد إثر تهديد ، ورحلة بعد رحلة ، فما يظهر إلا ليختفي ، وقومه في تباغض وتحاسد ، والنوافذ مغلقة على النور ، والحياة أشبه بالسجن . لذلك آلى على نفسه أن يستمع الى هذين الصوتين القديمين ، وأن يعتمد على البحث والتحقيق ، فهو يزحف نحو الأربعين من عمره ، وله أن يكتب في تاريخ بلاده وخطتها ومعالمها القديمة والحديثة وأنظمتها وحضارتها .

لذلك فكر في أن يرحل باحثاً لتأليف هذا الكتاب ؛ وقد وضع قبالة عينيه ما صنع الأمير « ليوني كابتاني » مؤلف تاريخ الاسلام الكبير ، ورأى أن يسافر اليه ، فمنده مكتبة منقطعة النظير في الغرب كله ، جمع فيها مصادر الاسلام

والعرب من مخطوط ومطبوع ؛ وصور لها كل ما في العالم من مخطوطة ترشده الى بحثه ، فلماذا لا يشد اليها الرحال ، ويضع كالمستشرقين والغربيين ؟ !  
وعلى هذا سافر من بيروت على باخرة نقله الى رومة ، وقد  
عرجت على الاسكندرية في طريقها ، فنزل في مصر ،  
ولما وصل رومة ، قصد الى مكتبة البرنس كاتاني وراح ينهل منها ، ويجمع  
مادة كتابه « خطط الشام » .

وتنقل بعد ذلك من ايطاليا الى سويسرة فالجر ، ووصف أجمل ما في هذه  
الربوع في كتابه « غرائب الغرب » وخص بها أكثر الجزء الأول ، ثم عاد  
الى الأستانة ، فجنح الى وطنه <sup>(١)</sup> ، وآب الى دمشق ، لعله يستريح من سفر ،  
أو يستجم من تعب .

وأين الراحة وأين القرار ؟ وقد دخلت الدولة  
الحاكمة في الحرب ، واسترخصت أرواح الناس في  
رمات الدعابة  
وجنّدت المفكرين للدعابة لها ، وجمعت من الشام طبقة من العلماء والأدباء  
ورجال الدين وجعلتهم وقدماً الى الأستانة ليروا ويصفوا . وكان سفر الوفد ،  
أواخر سنة ١٩١٤ ، فخطب أعضاؤه ، ونظموا الشعر خلال الرحلة . فلما عادوا  
كلّف القائد جمال باشا أربعة منهم بتأليف رسالة عن الرحلة ؛ وهم : محمد كرد علي  
عن المقتبس ، ومحمد الباقر عن البلاغ ، وحسين الحبال عن أبييل ، وعبد الباسط  
الأنسي عن الإقبال . وصدر الكتاب الصغير .

ثم رحل أنور باشا الى الحجاز ، وطلب الى محمد كرد علي أن يؤلف في الرحلة  
ففعّل <sup>(٢)</sup> وهو يقول بعد ذلك في الكتابين إنهما : « من كتب الدعابة السمجة في

(١) قبل نشوب الحرب للمامة بيضة أشهر أوقف والي دمشق المقتبس ، وضابته  
السلطة حتى أعلنت الحكومة النمائية النفي المام - انظر خطط الشام ٤١٨/٦ .  
(٢) سافر الملامة الى المدينة المنورة ونفى فيها ثلاثة وعشرين يوماً - انظر اللذكرات  
٨٩ ، وارجم الى زبدة رحلته في اللذكرات ٧٨٤ بعنوان : « في مدينة  
الرسول » ، وقد عدد فيها المخطوطات ووصفها .

الحرب المفقوتة» ، ويقول كذلك : « وأنا غير راضٍ عن أكثر ما فيها وهما كتابان لغيري لالي » .

وقامت في الشام جريدة «الشرق» وهي كذلك للدعابة في سبيل تركيها وألمانيا فتولى رئاسة تحريرها مدة<sup>(١)</sup> ، وكان يكتب فيها نقر من الأدب والكاتب .

ولعلّ الرجل ملّ من الحرب ومقالات الدعابة السياسية ، ففكر في التجارة<sup>(٢)</sup> والسفر الى الأستانة . ولما بلغ عاصمة العثمانيين حال الاتحاديون بينه وبين العمل بإيماز من أحمد جمال باشا ، وقال : « ومنعوني من معاطاة أعمال لا أعرفها في الحقيقة » ، ولكنه اطلع في استانبول على خزائن دار السلطنة ومخطوطاتها النفيسة . ولما سقطت دمشق بيد الحلفاء سنة ١٩١٨ ، عاد إليها بعد ثلاثة شهور من سقوطها ، لعله يصدر «المقتبس» ثانية ، لكن الحاكم العسكري أراد أن يصرفه عنها ، فجعله في رئاسة «ديوان المعارف» - وهو في الثالثة والأربعين تقريباً - .

وهكذا عاد الرجل موظفًا كما كان منذ خمس وعشرين سنة ، على أنه تسلّم منصبًا في الثقافة يُخدم

### ديوان المعارف

به معارف أمته ، والمستوى العلمي في بلاده ، ومع ذلك « قبله متكارهاً »<sup>(٣)</sup> كما قال ؛ وقد كان يرأس جملة من الشيوخ تعمل لتفتيح المفردات والنظر في المؤلفات - على حد تعبيره - .

وبذلك طلق الصحافة ، وفارق هذه المهنة التي ألفها صبيًا ، وأحبها شابًا ، وعمل لها خلال ربع قرن ، يتمرّس بها في أرفع الصحف العربية بدمشق

(١) في خطط الشام ٤١٩/٦ : « عهدت إليّ برئاسة تحريرها فوليته مدة » .  
 (٢) في خطط الشام ، بالصفحة نفسها : « وقصدت الى الأستانة للتجارة فانمني الاتحاديون هناك » .  
 (٣) خطط الشام ٤٢٠/٦ .



والقاهرة ، وفي أرقى الأوساط الفكرية والأدبية ، فقد كانت له مدرسة رفيعة ، وجامعة راقية ، جمعت إلى صدور المشاركة والمغاربة ، فأفاد من مجالسهم ، وانتفع بكتاباتهم ، ولكنه رأى آخر الأمر أنها حرفة شاقة ، ورأى أن السياسة مثقلة ، فأثر أن ينصرف إلى التأليف والكتابة في المجالات العلمية (١) ، وأن يختم حياته الصحفية ، فقد أصبح صاحب رسالة فكرية سامية ، فيما يرى ، وقد جاوز الأربعين من عمره منذ سنوات .

\* \* \*

### في المجمع العلمي العربي

« ١٩١٨ - ١٩٥٣ »

هذه الرسالة التي كان ينهض لها ويدعو إليها هي رسالة التأليف والتحقيق ، أحبها منذ تعرف إلى شيوخه الجزائري والمبارك والبخاري ، وعرف تعلقهم بالقديم ونشره ، وأكبرها حين رأى المصريين ينشرون الكتب العلمية والنصوص القديمة ، ثم عشقها حين اختلف إلى مكتبة الأمير كابتاني ومكتبات المستشرقين ، وتعلق بها حين زار المجمع العلمي الفرنسي بباريس .

ورأى أن تحقيق الكتب لا يكون في المجالات والصحف ، وإنما يجب أن تقوم بها هيئة رسمية ، أو مجمع علمي كجامع الغرب ، فقد آن أن يعمل العرب للحفاظ على لغتهم ، بعد أن جلا العثمانيون عن سوريا ، وأشرق على البلاد فجر جديد ، وأصبحت الأمة في أعياذ الاستقلال ، أمراؤها من العرب وضباطها من العرب ، فيجب أن تكون معارفها عربية ، ودروسها قومية ؛ فلم لا يكون لسوريا مجمع علمي عربي ينتج المفردات ، وينشر المؤلفات ،

(١) المذكرات ٦٣ .

ويرسل المحاضرات ؟ وأبدى الرجل رغبته فوافق الحاكم العسكري في دمشق رضا باشا الركابي على ذلك ، في ٨ حزيران ١٩١٩ ، وانقلب « ديوان المعارف » برئيسه وأعضائه مجتمعا عينا مرتبطا بالحاكم العام مباشرة<sup>(١)</sup> ، وكانت عدد الأعضاء ثمانية<sup>(٢)</sup> .

وقام المجمع بنصيبه في تقدم العربية ونشر الثقافة ، برئاسة محمد كرد علي ، وانبرى أعضاؤه يحاضرون الجمهور في مختلف الموضوعات ، ويحققون المؤلفات ، ويسهرون على جمع المخطوطات ودراستها ووصفها . وعادت الى العادلية والظاهرية أمجادهما القديمة ، فشهدتا من جديد علماء الشام في القرن العشرين ، يعملون كأجدادهم لإعادة التاريخ الزاهر ، والمجد الفابر ، فما يزال يرن في سمع الزمان ما وقع فيها من أمجاد خلال ستة قرون ، من القرن السابع الى القرن الثالث عشر . ففي العادلية وضع المقدمي تاريخه كتاب الروضتين ، وعمل ابن خلكان تاريخه المشهور ، ونزل ابن خلدون ، ودعا ابن مالك النحوي الى دروسه ومحاضراته . وهذا الزمان يعيد نفسه ، فقد استيقظت الأمة بعد رقاد ، وهبت بعد الاستعباد ، ونشطت من عقابها لتنتشر في العالم دواوين الشعراء وكتب العلماء وآثار النخبة والفقهاء ، وقام المجمع العلمي في جد ونشاط خلال ثلاثين عاما ما قدر ولا وهن يطبع النفائس ويجلو عرائس الفكر .

ومرت بالبلاد ثورات وسقطت وزارات ، وقامت حكومات مختلفة ، والمجمع قائم لا يتأثر إلا باللغة ، ولا يعمل إلا للثقافة يحاضر ويحقق وينشر ، ولسانه

(١) المذكرات ٢٧٧ .

(٢) لن تبيض في وصف المجمع العلمي هنا ، وإنما نحيل القاري المستزيد الى رسالته بالفرنسية ، ألفناها في المجمع وآثاره ومقالاته وكتبه ، يحسن الرجوع اليها ، وهي بالاشتراك مع للمشرق الأستاذ هانري لاووست عضو المجمع العلمي بدمشق ، ونشرت سنة ١٩٥١ .

مجلة راقية تحمل الخير والنور ، منذ ثلاثين عاماً حتى اليوم<sup>(١)</sup> ، وقد ماتت صحف أدبية ، وقضت منتديات خطافية ، وحلّت جمعيات ثقافية ، والمجمع ما يزال يبعث الإيمان بالماضي القديم ويرسل الإضاءة للمستقبل القريب .  
وإذا كنا بسطنا القول في المجمع ، فذلك لأننا نرى فيه جهد الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ونشاطه ، فقد كان واسطة العقد وموضع الحركة<sup>(٢)</sup> ، يرسل المستشرقين وبكاتب المصريين ، في سبيل المجمع ، فكأنه قطعة من حياته ، أو كأن حياته قطعة من المجمع ، يدوي صوته فيه كل صباح ، وتنقذ حوله الحلقات ، وتتصل فيها الأحداث والنكات ، وتبرم فيها المشاريع والقرارات .  
ولن نترسل فيما وقع للرئيس خلال هذه السنين ، فقد حدثنا عن ذلك في صرارة وأسى ، حين رأى منافسين ومبغضين وحساداً ، من الأفراد والهيئات ، فنجّم له الزمان حيناً وهشاً له أحياناً ، ولقد قال في مذكراته : « لقيت الأتقي من الحكومات السورية في هذا المجمع العلمي كأنه كان بعض ملكي »<sup>(٣)</sup> .

وقد اختير مرتين للوزارة ؛ أولاً في ٧ أيلول ١٩٢٠ ،  
**في الوزارة** فزار خلالها أوروبا للمرة الثالثة ، وطاف ببلجيكا وهولاندا وانكلترا واسبانيا وألمانيا وسويسرا . وثانيتهما في ١٥ شباط ١٩٢٨<sup>(٤)</sup> ، فسافر خلالها كذلك الى أوروبا للمرة الرابعة وطاف انكلترا وفرنسا وبلجيكا ، وقد أربى على الخمسين يسافر بين العواصم ، ويتصل بالمستشرقين والعلماء ويزور المكتبات والمتاحف ، ويفيض في المحاضرات والمؤتمرات<sup>(٥)</sup> .

- (١) حللنا أم للفتالات التي جاءت في المجلة . في رسالتنا السابقة بالفرنسية .  
(٢) بدأ المجمع بثمانية أعضاء ، وم اليوم يلفنون التسعين : أعضاء عاملين ومراسلين .  
(٣) للذكريات ٢٨٤ .  
(٤) يقول في مذكراته ١٠١٥ : إن الكنتة الوطنية أبعدهت فيما بعد عدة سنين عن منصبه لأنه قبل بدخول وزارة الحسني ، وقد طاد الى رئاسة المجمع سنة ١٩٤١ .  
(٥) سافر الملامة الى مصر سنة ١٩٢٨ ، وقد اتدبه المجمع ليثله في حفلة تكريم احمد شوقي بمصر - للذكريات ٢٩٧ .

وخلال هاتين الوزارتين أرضى أناساً وأغضب آخرين على عادة الحكم في ربوعنا ، فزاد في خصومه ، وهو يرى في الوزارة آنذاك رأياً بثبته في مذكراته ونقل بعضه : « وزارتنا وزارة متواضعة لبس لها من الروعة في الحقيقة ما الوظيفة مأمور المركز »<sup>(١)</sup> في مصر .

وقد قام الرجل سنة ١٩٢٤ ، وهو في الخمسين من عمره تقريباً ، بتدريس الأدب العربي ، واللغة العربية نحوها وصرفها في معهد الحقوق بدمشق ، ولكنه انصرف عن التدريس لما وقع من دسائس ضده . وأنشأ خلال وزارته مدرسة الآداب العليا ، وهيا الأسباب لافتتاح كلية الإلهيات ، فدأل على فهم ، وسعة أفق ، وعظيم اهتمام بالجيل الصاعد .

وكان الأستاذ الرئيس<sup>(٢)</sup> حين يستريح من سفر أو ينصرف من الوزارة ، يقبل على كتبه وصحفه ، يحقق آثار السلف الصالح وينشرها ، أو يجمع منها تاريخاً لبلاده ، أو جغرافية لبعض أقاليمها ، أو يصحح ما يرسل الى المجلة ، أو ينظر فيما يقدم الى المجمع من كتب ، وما يُهدى اليه من مطبوعات ، لا يقف ولا يتوانى ، حتى أنقل كاهله الجد والتأليف ، وأسقم عينيه تقاب المداد ، وكل قلبه من الآثار والأسفار ، فقد أشرف على قسمة من الكتب أخرجها للناس ، ومحاضرات جلاها للناشئين ، ومقالات ديجها في المجلة .

وقد انتخبه المجمع اللغوي بمصر عضواً فيه ، فكان يسافر خريف كل عام ، يناقش ويحاضر ، ويزور ، ويكتب ويؤلف ، حتى منعه أطبأؤه من السفر ، فتحيل بينه وبين إخوان في مصر أحبههم وأكبرهم ، رغم صهي السعاة ووشاية الواشين ، وزاد في ذلك فعوده عنهم وبعده منهم ، فتألم وتحسر ، وذكر مرتع صباه ومصنع عبقريته وجهده ، في حنين موجع وأسى بالغ .

(١) للذكرات ٤٥٤ .

(٢) كان احب الالقباب اليه لقب الأستاذ الرئيس ، انظر للذكرات ص ٧ .



وكان قلبه خلال السنوات العشر الأخيرة - وهو يزحف الى السبعين - يناثر بالعلم ، وبأبي أن يتحمل فوق ما حمل ، يريد أن يقف ويريد له صاحبه أن يسير في الطريق ليعمل في الثقافة والتأليف ونشر كتبه المخطوطة وإعادة ما طبعه منقحاً مزيداً فيه ، ولكن القلب أبي أن يستعمل ، فوقفت نبضاته يوم الخميس في ٢ نيسان ١٩٥٣ وهو في السابعة والسبعين .

وشيمته البلاد ، وبكاه الكتاب والنقاد ، وأبنته على قبره الأديب القانوني معالي الدكتور منير المجلافي باسم المجمع العلمي العربي فقال : « إن ثمة امارتين في العالم العربي : امارة الشعر وكانت معقودة اللواء للمرحوم احمد شوقي ، و امارة العلم وكانت معقودة لفقيدنا العلامة محمد كرد علي » ، ثم قال : « إن الفقيه كان رائداً وقائداً ومعلماً ومرشداً ، وله أوليات خالدة ، فهو أول من أنشأ مجلة أو جريدة في الشام ، وهو أول من أنشأ المجمع العلمية » .

ودفن الفقيه العالي في مقبرة الباب الصغير بجوار قبر معاوية بن أبي سفيان في دمشق التي أحبها وعمل لها ، ورفع منارتها عالياً ، وسيّر ذكرها بين الناس في القرن العشرين .

وافقده المجمع العلمي العربي بدمشق ، وقد ربّاه الرئيس الراحل جنيّاً ، ورعاه خمسة وثلاثين عاماً ، لم ينقطع عنه إلاّ نائماً ، فقد كان بيته وكان كهنته .

\* \* \*

### ثقافته وأسلوبه

كف محمد كرد علي منذ صباه بمطالعة الصحف ، وتمتق باللغة الفرنسية في شبابه ، فنظر في الكتب الغربية ، ثم أخذ على شيوخه فقرأ الكتب القديمة ، وقد بسطنا ذلك من قبل . ولكننا لم نتقص خبر هذه الكتب التي قرأها لنقف على مبلغ دراسته ومدى ثقافته ، فليست الدراسة في عدد السنين على مقاعد الدرس ، وليست الثقافة في صورة الشهادة ورنين اللقب ، وإنما هي في قراءة

الكتب الأمهات التي تكون العقل ، وفي مبلغ هضمها واستساغتها والافادة منها .  
والأستاذ الراحل وصف لنا ثقافته وعدد لنا قراءاته فكفانا مؤونة الحدس ،  
قال : « وأهم ما أولتُ بمطالعتة - بعد درس المطبوع من كتب الأدب العربي ،  
وجانب من المخطوط الذي عثرتُ عليه - كتب الفلاسفة وعلماء الاجتماع وأحوال  
الشعوب ومدنياتهم . وطالمتُ بالفرنسية أهم ما كتبه فولتير ، وروسو ، ومونتسكيو ،  
وبنتام ، وصنسر ، وفوليه ، وتين ، ورنان ، وسيمون ، . . . وتدارستُ  
المجلات الفلسفية والاجتماعية والتاريخية والأدبية باللغة الفرنسية - وجريتُ منذ  
نشأتُ على قاعدة مطردة لم أتخلف عنها قيد شبر ، وهي أن أقرأ أكثر مما  
أكتب ، وقلما دونتُ موضوعاً لم أدرسه في الجملة ولم تنشره نفسي » (١) .  
ذلك ما قرأ من كتب الغرب ، نقلنا بعضه كأنموذج على سبيل المثال  
لا الحصر والاستقصاء ، ومنه ندرك صعة أفقه ، ومسرح خياله ، فهو قد أطل  
على الفلسفة الغربية وعلم الاجتماع من خلال الكتب الفرنسية ، وزادته الرحلة  
الى الغرب فهماً واطلاعاً .

أما الكتب العربية التي قرأ فيها ، فقد ذكر جانباً منها قال : « وإني لا أزال  
أذكر ما كنتُ أكثر من مطالعته واستظهاره ، أيام ولوعي بالأدب من مقامات  
الحريري ، ورسائل الخوارزمي والصابي ، وتاريخ اليميني للعتبي ، والزنجشري  
والأصفهاني . . . ولما كتب لي الاطلاع على الآداب الفرنسية والتركيبية  
أنشأتُ أبحث عن كتب كتبت بلا تكلف وتعملُ ، ككتابات الجاحظ  
وابن المقفع ، وعبد الحميد الكاتب ، وسهل بن هرون ، وأبي حيان التوحيدي » (٢) .  
ثم أفاض في ذلك فرسم لنا قراءاته ، يريد أن بدلنا على الطريق التي سلك  
والكتب التي تأثر بها أسلوبه وكتابه ، قال :

(١) خطط الشام ٤١٣/٦ .

(٢) مجلة المقتبس ، المجلد الرابع ، سنة ١٩٠٩ ص ٥١٠ .

«إني أتلو القرآن بتدبير ، قرأته على أصاليب مختلفة لتفهيمه وتمثل بلاغته ، وإني طالمتُ طرفاً صالحاً من كتب الحديث كالبخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنة ، وحفظت الملتقات السبع وطرفاً صالحاً من دواوين العرب ، وحفظت نحو نصف ديوان المتنبي ، وعدة قصائد لعمربن أبي ربيعة ، والبحتري ، وأبي تمام ، والرضي ، وابن الرومي ، والطغرائي ، والأرجاني ، والمرعي ، وعلي بن عبد العزيز ، وغيرهم من الشعراء المحدثين والمخضرمين .

«وتدارست الكامل للمبرد ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والتاريخ البيهقي للعتبي ، والمثل السائر لابن الأثير ، واستظهرتُ أشياء كادت تفسد علي ملكتي مثل مقامات الحريري ، ورسائل الحمذاني ومقاماته ، ورسائل الخوارزمي ، وبدعية النابلسي .

«وما أخرجني من تكلف النسيج على منوال المتأخرين كالفاضي الفاضل ، والصابي ، وابن الأثير ، إلا الولوع بعد حين برسائل عبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ والتوحيد . أما ما وصل إلي مما كتبه وأشلم من السهل الممتنع ، فقد قرأته مرات ، ولا أزال أقرؤه» (١) .

هذا ما سجله الرجل في كتاب صدر قبيل وفاته ، جعل فيه زبدة قراءاته وخلاصة أدبه ، ليشير في وضوح الى عزوفه عن الأسلوب المنقح وكتابة السجع ، وتعلقه بالسهل الممتنع ، وهو يقول في محل آخر : «وعمدتُ الى الكتابة المرصلة بدون تكلف الأسمجاع والازدواج» (٢) .

وقد روينا أمثلة كثيرة من أسلوبه خلال حديثنا عنه ، نستشف منها الرقعة في الأسلوب من غير تفخيم ، والسهولة في التعبير من غير تكلف ، فهو يتحدث حديث الراوي والفاصل ، ويكتب كتابة المترسل المحدث ، فلا يزدوج بين الجمل ولا يتكلف الكتابة والاستمارة والجناس والسجع ، وإنما يرسل نفسه على

(١) للذكريات ١١٩٣/٤ ، سنة ١٩٥١ .

(٢) للذكريات ٣٠٧ ،

سجيتها ، يكتب في جمل تطول حيناً وتقصّر حيناً ، تُعنى بالمعنى أكثر من اعتدادها بالمبنى حتى لتشبه الأحاديث المبسوطة والرسائل المكتوبة .  
وقد يشتط الخيال وتجمع الذكرى وببيض الشمور ، فينشيء في جمل مقتضبة وعبارات متراسة ، وذلك حين يذكر الشباب ، أو يرسم الشيخوخة ، أو يأمرى للعمر ، أو يصف الفوطة .

والأستاذ الرئيس قد يتخير اللفظ ويسمى له وذلك حين يكتب في تحليل الأدب فحسب ، فيؤثر بعضه على بعض . وأقرب الألفاظ الى نفسه ما وقع في كتب القدماء ، أو ما سهل على الأذن ورق على السمع ، يريد له نفسه ، ويطلبه لزملائه . وما أذكر أنه قرأ مقالة للمجلة أو بحثاً للنشر إلا أعمل قلمه في إصلاح بعض المفردات والتراكيب مما لا يروقه أو لا يستحسنه . وقد يزيد في التهذيب حتى يحذف المدح الفائض ، لا يخاف ولا يتردد ، ولا يحسب للكاتب في ذلك حساباً مما علت مكانته وصمت مرتبته ، فهو تقاد جريء لا يخاف في اللغة لومة لائم .

وتغلب على مقالة الرئيس ومحاضراته فكرة الاستقصاء ، فيسترسل في ذكر المصادر والكتب والمؤلفين ، فكأنه يستوعب في فكره كل شيء ، أو كأنه يريد أن يذكر كل ما يعلم ، فيتدفق بفيض غزير وعلم كثير ، بعرض خلاصة ما رأى وما قرأ وما سمع .

وقد نشرت في مصر كتب اختارت من أسلوبه ، وجملته بين « مشهوري أدباء الشرق » ، وقرنته في صعيد واحد الى العقاد ، وطه حسين ، ومطران ، ومحمد عبده ، وجمال الدين الأفقاني ، والمنفلوطي ، والرافعي ، وولي الدين يكن ، وقاسم أمين<sup>(١)</sup> . . . وروت من شره ونثره ، فهو وحده بين جبهة المصريين يمثل الشام ، وهو وحده رفع لواءنا في دولة الأدب .

(١) انظر « أشهر مشاهير أدباء الشرق » ، وضه محمد عبد الفتاح ، ونشره في مصر ، بغير تاريخ ، على جزءين اثنين - وانظر كذلك في « الأدباء الخمس » جمه اسماعيل عبد الحميد ، ونشره في مصر ١٩٢٥ .



## كتبه ودراساته

بهذا الأسلوب أنشأ الأستاذ الرئيس كتبه ، وقد درج مع الزمن فسار صمداً ، واتبع سنة التطور . ونحن نستطيع أن نقسم آثاره الى أربعة أقسام :

أ - كتب مترجمة ومعربة .

ب - أدب المقالة .

ج - دراسات تاريخية وأدبية .

د - تحقيق الكتب .

أ - كتب مترجمة ومعربة :

كلف الشباب بالعربية والفرنسية معاً - كما قلنا - وبدأ أول الأمر بترجم روايات برمتها عن الفرنسية ، فنشر « قبعة اليهودي ليفان » سنة ١٨٩٤ ، ثم بعضها وأعانه في صنع قسم منها أستاذه السيد محمد المبارك وصماها « يتيمة الزمان » ، وقد تناوفا بعض النقاد بكلام جازح ، نشره في الصحف .

ثم ترجم في مصر « الفضيلة والذيلة » تأليف (جورج أونيه) الفرنسي المعاصر ، ورواية « المحرم البريء » وذلك في سنة ١٩٠٧ ، وعرب تاريخ الحضارة لشارل سنيوبوس بمصر سنة ١٩٠٨ .

وهذه الكتب تعد في عبث الشباب ، تمرن بها على طريقة الترجمة ليفيد من اللغتين ويزيد من ثروة مفرداتها ، وقد كان المترجم لا يعتد بها ، فقال في أحدها : « ياليتني نبذت رواية يتيمة الزمان في زنبيل سقط المتاع » . وقد عرب كتباً أخرى في الحربة لجول سيمون ، ونشر فصولاً منه في المؤيد بمصر ، وترجم الأسماء التركية لرضا باشا ثم طواه .

ولولا أمانتنا في إيراد كل ما كان لحياته لأهملنا ما وقع من قلمه في الترجمة ، فهو نفسه يقول : « ولبس لي يد في القصص التي نشرتها أول أمرى لأنهم مترجمة »<sup>(١)</sup> .

(١) للدكرات ١٠٤٦ .

## ب - أدب المقالة :

نشر كاتبنا مقالاته في الصحف اليومية والأسبوعية ، بمصر والشام ، وأرسل محاضراته في مصر وسوريا والأستانة ، ثم جمع بعض ذلك <sup>(١)</sup> في كتبه ، كما فعل الكتاب المصريون المحدثون كالمقاد والمازني والزيات والرافعي وأحمد أمين ومحمد حسين هيكل ، وهو في هذا لا يختلف عنهم ولا يختلفون عنه ، فقد نبغ فيهم وعاش معهم ، وفعل مثلهم .  
وقد جعل كتبه على الموضوعات ، في الرحلة أو الاجتماع ، أو حياته الخاصة ، وطبعها بالعناوين التالية :

١ - غرائب الغرب <sup>(٢)</sup> (١٩٢٣) جمع فيه وصف رحلاته الثلاث الى أوروبا ، وهو طريف في أسلوبه ، يجمع المشاهدة والعيان الى القول والمصادر والوثائق . فهو يصور فيها ما رأى وما سمع وما قرأ ، في إنشاء جميل يحوي الأدب والاجتماع والتاريخ والاقتصاد ، ويشمل في أوصافه القصور والمؤسسات والجامع والمتاجر ، والأخلاق والتقاليد ، ويوازن أبدأ بين الغرب والشرق ، يمتني لقومه خير ما يرى عند الغربيين .

٢ - القديم والحديث <sup>(٣)</sup> (١٩٢٥) : وفي هذا الكتاب مقالاته التي نشرها في المقتطف والمقتبس والمؤيد والظاهر ، يجمع بينها حديثه عن العادات والآداب والتقاليد ، ينهل من مصادرنا القديمة وينقل عن الكتب الغربية وصحف أوروبا . وقد كان الأستاذ الرئيس يرضى عن هذا الكتاب .

(١) ما تزال بعض مقالاته ومحاضراته مخطوطة لم تطبع ، وكان ينتظر أن يعدّ في اجله ليطبعا بنفسه ، فكان يملن عنها في ختام كتبه ، وهي : «اللقاءات ، المحاضرات ، الكناش» وأعلن عن بعضها الآخر في خطط الشام ٤٢٤/٦ وهي : « حرية الوجدان ، الحرية للدين ، الحرية السياسية معرفة عن جول سيمون » .  
(٢) جزءان في ٦٤٠ صفحة ، نشر بمصر سنة ١٩٢٣ .  
(٣) جزء واحد في ٣٤٦ صفحة ، نشر بمصر سنة ١٩٢٥ .

م(٥)

٣- أقوالنا وافعالنا <sup>(١)</sup> (١٩٤٦) : وصف فيه الأخلاق والعادات التي تعيش بيننا ، وانتقد أخطائنا وأعرب عن سوءات عيوبنا ، ورسم لنا سبل الإصلاح . ووازن بين حاضرنا وحاضر الغرب ، فهو صورة للشرق العربي في صدر القرن العشرين ، كتبه على شكل بحوث قصيرة ومقالات ، تم عن خبرة وتجربة وسعة قراءة وعظيم اطلاع . ويبدو أنه فكر فيه قبل عشرين عاماً تقريباً ، فأراد له عنواناً : « أخلاق المعاصرين » <sup>(٢)</sup> .

٤- المذكرات <sup>(٣)</sup> (١٩٤٨ - ١٩٥١) : راج أسلوب المذكرات في العصر الحاضر على غرار الآداب الغربية ، مما كتبه روسو وغيره ، فأصدر الدكتور طه حسين « الأيام » ، والملازمي رسم حياته في كثير من فصول كتبه ، وأنشأ أحمد أمين وغيره في تقليد هذا الطراز . أما الأستاذ كرد علي فقد عاش في بيئات مختلفة ، ورأى دولاً عدة وأقطاراً متباينة ، فرسم حياته وما وقع له خلال هذه الحياة في الشرق والغرب على شكل مقالات ، لا يربط بينها إلا أنها من ذاكرته . وقد تحدث فيها عن أسفاره ووزارته ، وهجرته من الشام وموقف الحكومات التركية والفرنسية والانكليزية وعملائها منه ، وما صنمه في سبيل بلاده ، وما يؤخذ عليه من أخطاء .

والكتاب صريح جريء يصف ما للرجل وما عليه . وهو شبيه بمذكرات الغربيين لولا أنه غير مرتب على التاريخ وليس مبوباً على الموضوعات ، فكأنه مجموعة أفكار تعرض له فيملئها ويرسلها الى المطبعة . وقد فضح الكتاب أسماء كثيرة ، ومدح شخصيات عجيبة ، وغابت عليه العاطفة ، فقد بدأ بتدوين هذه المذكرات حوالي سنة ١٩٣٨ ، ومنه قد زادت على الستين ، وذاكرته ما تزال قوية تسجل دقائق الأشياء ومنسي الألوان ، وشئت التفاصيل والملاحظات .

(١) جزء واحد في ٤٢٧ صفحة ، نشر بمصر سنة ١٩٤٦ .

(٢) انظر خطط الشام ٤٢٤/٦ .

(٣) اربعة اجزاء في ١٣٢٠ صفحة ، نشر بدمشق سنة ١٩٤٨ - ١٩٥١ .

وقد انقسم الناس في هذه المذكرات الى محبذ ومستنكر ، لغلبة الهجوم فيها على بعض السياميين والحزبيين من رؤساء ومرؤوسين ، ولكنها تنفع المؤرخ وتفيد الباحث ، فتفصل ما أهمل تاريخه الكبير ، وتتوسع في تصوير العصر ، فكأنها تيمة لخطط الشام ، وتاريخ لصدر القرن العشرين على أسلوب المذكرات . أما الهجاء فيذهب مع الريح ، وتبقى الصور الحقة في أمور الدولة العثمانية وأسرار الانتداب ومزايا الاستقلال ، وفي موقفه من هذه الأمور جميعاً ، وقد نلخص ذلك بقوله : « ولا أمثل لما يدعوني الى معاناة ما أعاني إلا بمسألتي ، صرفت فيها جانباً من اهتمامي منذ وعيت على نفسي ، وهما الاستثمار التركي ببلاد العرب ، والاستعمار الافرنسي في بلاد الإسلام » .

وظل يكتب في المذكرات حتى أواخر أيامه ، ووعد أنه لا ينثني عنها قائلاً : « مادمت أتمكن من مسك القلم ، وأصبر على التمديق في الخطوط التي أخطها » . وكان وفيماً للوعد ما وفت له الأيام ، وكان على أن يظهر الجزء الخامس أو السادس بهذه لو عاش لها ، ولكن العمر قصير والزمان غادر ، فسكت لسانه عن إكمال ما بدأ به ، ووقف بيانه عن كشف سائر المؤامرات التي حيكمت ضده خلال حياته الطويلة .

٥ - البعثة العلمية الى دار الخلافة الإسلامية ( ١٩١٦ ) (١)

٦ - الرحلة الأنورية الى الأصقاع الحجازية ( ١٩١٦ ) (٢)

وهذان الكتابان صورة من صور الدعاية للدولة الحاكمة ، كتب فيها الأستاذ كرد علي مقالات تملأها المناسبات الحربية ، لا ترتفع الى مستوى أدبه ، ويبدو عليها طابع خاص يرى فيه هو نفسه : « دعابة صمجة » فهذان الكتابان لا يقمان من مؤلفاته موقع الحب والاصالة .

(١) تأليف : محمد الباقر ، ومحمد كرد علي ، وحميد الحبال ، وعبد الباسط الأنسي ،

بيروت ١٩١٦ في ٢٩٦ صفحة .

(٢) طبع في بيروت سنة ١٩١٦ في ٣٠٠ صفحة .



## ج - دراسات تاريخية وأدبية :

أنشأ الأستاذ كتباً في الأدب والتاريخ ، تعدُّ مصدراً للشادين في مطلع القرن العشرين ولا تزال وحدها دلالةً على إنتاجنا في هذا الباب .

٧ - خطط الشام ( ١٩٢٥ ) : أراد المؤلف أن يكتب تاريخاً سياسياً ومدنياً مطولاً للديار الشامية على عادة المستشرقين والعلماء الغربيين ، فسافر إلى خزائن الأمير كابتاني برومة ، ولبث فيها يبحث خلال شهر كامل مدة ثلاث ساعات في الصباح ، يتزود من مصادرها حتى كانت له مادة واسعة . وسافر بعدها إلى ربوع القرب يطوف مكباتها لاستكمال بحثه ودرسه ، حتى أتقن في ذلك قرابة ألف وخمسمائة ليرة عثمانية ذهباً ، وعمل له خمساً وعشرين سنة ، طالع خلالها زهاء ألف ومائتي مجلد<sup>(١)</sup> باللغات العربية والتركية والفرنسية . وقد أخرجته في ستة أجزاء واسعة .

وقد بحث في هذا الكتاب تاريخ الشام . ونظمه الاسلامية ، والحضارة القائمة فيه على مرّ الأزمان ، والدول التي تعاقبت على الأرض ، والحالة الأدبية والاقتصادية خلال هذه الحقبة . ولما انتهى منه تبادت لجنة من فضلاء الشام<sup>(٢)</sup> جمعت لطبعه ألف ليرة عثمانية ، ونشرت منه ألفي نسخة . وقد كان وحده مصدر التاريخ في بلادنا ، فهو يحوي ما تفرق من المصادر والكتب ، ينقل عنها أحياناً نصوصاً كاملة ، وأحياناً يختصر منها ، فكانه جمع المؤرخين على صعيد واحد . وقد كلف زملاءه بالكتابة عن خطط مدنهم ، وسجل لهم يدهم في ذلك فأشركهم في عمله . وما يستطيع أن يقوم فرد وحده لهذا العبء

(١) قلنا هذا الإحصاء عن كتابه خطط الشام بقله . وقد بلغت الخطط ١٩٤٠ صفحة .

(٢) هذه اللجنة كانت تسمى نفسها لجنة طباع الخطط : « بدر الداغستاني ، خليل مردوم بك ، سامي العظم ، فخري البارودي ، فوزي النزهي ، لطفي الحفار » ، وقد فتحت باب الاشتراك منذ أول أيلول ١٩٢٥ ، وكانت للمفاوضة مع السيد لطفي الحفار بدمشق .

ويكتب له النجاح ، لذلك رأى النقاد أنه لم يسجل في ذبول الصفحات <sup>(١)</sup> مصادر أقواله وأحكامه ، يعين الكتاب والصفحة وصنة الطبع ، كما يفعل الغريون ليومنا هذا ، وأغفل الفهارس والمصادر <sup>(٢)</sup> .

وفي صدر الكتاب ، وضع الرجل قائمة كبيرة لكتب عربية مخطوطة ومطبوعة ، الى قائمة كبيرة بالكتب الغربية وصحف الاصحاح ، تدل على جهد وعناية ودقة ؛ وتصور نشاط الرجل وصميه خلال ثلاثين عاماً أنفقها من عمره لخطط بلاده .

وفي سنة ١٩٤٤ ، اختصر الرجل جزءاً من كتابه ، وجمله في عبارة موجزة ، وأصوب حديث ، وعنون له : « دمشق مدينة السحر والشعر » ونشرته دار المعارف في مصر ، لسلسلة « اقرأ » <sup>(٣)</sup> .

٨ - الاسلام والحضارة العربية (١٩٣٤) <sup>(٤)</sup> : سافر الأستاذ الرئيس الى

أكسفورد سنة ١٩٢٨ ، ليمثل الجمع العلمي بدمشق في مؤتمر المستشرقين ، وعاد منه بآراء ومقالات عن المستشرقين ونظرتهم الى الدين الاسلامي .

ثم دُعي ثانية الى مؤتمر المستشرقين بليدن (هولندا) سنة ١٩٣١ ، وفكر في موضوع بلقيه بالمؤتمر ، فكان أن اقترح أحد الأعضاء بدمشق أن يرد علي علي أكاذيب بعض المستشرقين ، ودسائس المغرضين ضد الدين الاسلامي <sup>(٥)</sup> .

(١) وعدت اللجنة بأن تشرع في طبع معجم خطط الشام ، وهو يدخل في ثلاثة او اربعة مجلدات مشفوعاً بالمصورات ، ولكنه لم يظهر .

(٢) قرأتها في الكلمة التي ألقاها الأمير مصطفى الشهابي لخل استقباله عضواً بمجمع اللغة العربية في مصر ، إشارة الى هذا الكتاب يقول فيها عن الأستاذ الرئيس : « وقد ذكر لي مرة أنه لم يبق له في الحياة إلا أمنية واحدة وهي أن يتاح له طبع هذا الكتاب طبعة ثانية متقنة » .

(٣) اقرأ ، في ١٥٢ صفحة ، نيسان ١٩٤٤ .

(٤) في جزئين ٣٦٣ + ٥٧٨ صفحة ، ص ١٩٣٤ - ١٩٣٦ .

(٥) كان حلم للرحوم كرد علي أن تلتأ مجلة تفتي باللغة الفرنسية والانكليزية لبيان حقائق الإسلام - انظر للذكرات ٣٧٩ .

فتعهد الرجل بذلك ، وراح يهيئ دراسته وورده ، وطال الأمر ، وقعد الأستاذ عن السفر الى المؤتمر لعذر طاري ، ولكنه ظل يكتب في الموضوع ، ويفصل الأمر فيه ، ولبث على ذلك ثلاث سنين ، يعمل كل يوم ثماني ساعات حتى انتهى منه . فكان في المحاماة عن الاسلام والذود عن حياضه ، وأصبح مهية طيبة في التعريف به والدعاوة له ، وبيان أغراضه وأهدافه ، وفضله على المدنية الحاضرة ، وأفضليته على غيره في نظم الحياة ، يبحث في ادارة المسلمين وحياتهم وأصاليب عيشهم ، ويعتمد في ذلك على نصوص وآها ، وقراءات كانت له . واذا كان للمعري أن يتأخر وأن يصف جنته ( في رسالة القرآن ) ، لجعل الأستاذ الرئيس فيها ليد في هذا الميدان ، وقد غفر له ربه ، ما تقدم من ذنبه وما تأخر بفضل هذه الصفحات المشرقة ، التي تعد من أوسع المراجع في الحضارة الاسلامية لكاتب مسلم متبحر مخلص .

وقد سلخت من الكتاب عدة محاضرات نشرت في مصر بعنوان : « الإدارة الاسلامية في عن العرب » ، طبعت بنفقة السيدة قوت القلوب الدمرداشية .  
٩ - أسراء البيان ( ١٩٣٧ ) (١) : كان المؤلف يكتب في صدر شبابه بمجلة

المقتبس مقالات في الأعلام عنونها : « صدور المشاركة والمغاربة » ، ثم رأى أن ينوسع في أعلام الأدب العربي ، بعد أن وقع على كتبهم ، وطبع رسائلهم ، فأرسل دراسة واسعة عن عشرة منهم : عبد الحميد الكاتب ، عبد الله ابن المقفع ، سهل بن هرون ، عمرو بن مسعدة ، ابرهيم الصولي ، أحمد بن يوصف الكاتب ، محمد عبد الملك الزيات ، الجاحظ ، التوحيدي ، ابن العميد . وقد جاء كتابه هذا في أسلوب مشرق وعبارة بليغة ، ومنهج واضح ، فبلغ بدراسته لهؤلاء الأدياء مكاناً رفيعاً ، جعل الكتاب محل التقصد في الجامعات ، وخاصة بمصر . وما يزال الى اليوم أوسع ما كتب عن هؤلاء الأعلام باللغة العربية .

(١) نشر في ٥٧٨ صفحة ، بمصر سنة ١٩٣٧ ، ولله ففكر في جمه قبل سنة ١٩٢٥  
جعل اسمه في خطط الشام ٤٢٤/٦ : « أسراء الانشاء » .

١٠ - كنوز الأجداد (١٩٥٠) <sup>(١)</sup> : وهذا الكتاب في الأعلام كذلك ، ولكنه لم يقف عند المترسلين والشعراء ، وإنما تجاوزهم الى كثير من خدم الثقافة الاسلامية ، ففصل فيهم القول كما وسعه ، وتحدث عن طالت عشرته لم واغترافه من معين أسفارهم بين رجال الاسلام . فكتب في الأشعري ، والأصهباني ، والبليوي ، والتنوخي ، والبيروني ، والمواردي ، والجرجاني ، والفزالي ، والحريري وغيرهم ٠٠٠ وهم يزيدون عدداً على الخمسين ، ترجم لكل منهم في صفحات ، فجعله نواة لكتاب في تاريخ الأدب العربي ، على مفهوم يبين غربي ، وفي مقياس واسع ، وقد رتبهم على الوفيات .

وقد قدم بين هذه التراجم ترجمة مطولة لأستاذه <sup>(٢)</sup> الشيخ طاهر الجزائري ، وقد عرفه منذ صغره - كما رأينا - ، وأكبره منذ نشأته ، وصار على خطاه ، وانتفع بعلمه ، فوفاه حقه ، وأدى نحوه دينه ، وجعله في الأجداد الذين خدموا تراث الإسلام وكانوا في الأعلام ، لكن الزمن بيند بينه وبينهم ، فتوَّج به صفحات الكتاب ، وافتتح التراجم به .

١١ - غوطة دمشق (١٩٤٩) <sup>(٣)</sup> : أحب المؤلف الغوطة حباً جماً خالط

لحمه ودمه ، فقد ورث فيها قطعة من أرض «جسرين» عن أبيه - كما قلنا - سكن الى ظلها ، وارتوى بمائها ، وعاش مع أبنائها ، واختلط برجالها ، فكانها بلده وحكومته ومجتمعه ، فيها مجلس شورا ، وبها أعمارهم ونوادره ؛ ألها حتى حسب نفسه فلاحاً من فلاحها <sup>(٤)</sup> ، وشاطر أهلها عواطفهم في فرح وحزن ، فقال :

(١) نشر في ٤٣٦ صفحة ، بمصر سنة ١٩٥٠ .

(٢) لعل الأستاذ الرئيس جعل هذه الترجمة في مجلة ما كان يترجم نشره عن المحدثين لمصره كاليازجي ومحمد عبده وتيمور باشا ، لكن الاجل لم يفسح له في تحقيقه وهذا الكتاب سيكون عنوانه : « مكنشفات الأحناف » - انظر خطط الشام ٤٢٤/٦ وترجم المصارعين في مجلة المجمع العلمي ظل ينشر منها حتى قبيل وفاته .

(٣) طبع الكتاب اول مرة سنة ١٩٤٩ ، ثم أعيد سنة ١٩٥٢ بدمشق على تنقيح وزيادة .

(٤) نلذ كرات ٧٤٩ .



« حزنٌ على الفوطي عبداً ، وفرحت له حرّاً ، آلمني عبوسه وتشاؤمه ، وصرفني ضحكته واستبشاره »<sup>(١)</sup> .

عاش في الفوطة قرابة ستين سنة حتى أصبحت « أحب بقعة الى قلبه في الأرض »<sup>(٢)</sup> ، فدرس أخلاقها ، وعاداتها ، ومدنيتها ، وخبر كلامها ، ووقف على الفصيح والدخيل ، والحديث والقديم من تاريخها ، فسجل ما سكت التاريخ عنه ، وأرخ للفوطة على منهاج لطيف ، سيكون في تواريخ القرى الحافلة ، بين تاريخ داريا والمزة وغيرهما . وقد كتبه في عاطفة الحب ، وشوق الودود ، وإخلاص الشاعر الوفي ، والأديب البليغ ، فكسا الفوطة ثوباً من حياة ، وردّها اليها الجليل ، لما قدّمت من خير الى دمشق ، فقد أحالتها من صحراء قاحلة الى واحة ساحرة .

د - تحقيق الكتب :

فتحت مجلة المقتبس صدرها منذ السنة الأولى لتحقيق الكتب القديمة عن مخطوطاتنا الخبوءة ، بعنوان « صحف منسية » فنشرت كتاب الأشربة لابن قتيبة ، والمقامات اللزومية ، وتذكرة ابن العديم ، ورسائل كثير من البلغاء . وعُنت كذلك بوصف الخزائن الخطية في الأستانة والمدينة والقاهرة ، ولا شك في أن صحة الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري<sup>(٣)</sup> دفعت الأستاذ الرئيس الى حبة المخطوطات والعناية بها ، فعمل على تحقيقها وهو في الثلاثين من عمره ، وظلّ على ذلك حتى أسلم أنفاسه .

وقد أخرج عدداً من النفائس ، وشجع الشباب والأقران على إخراج مثلها ، واقتنى للمجمع العلمي من صورها ما يشهد له أبد الدهر ببعده النظر ، وعمق الفهم ، وسعة المعرفة .

(١) الفوطة ٢٥١ ، اقرأ ١٥١ .

(٢) مجلة المقتبس ٤/٤٦٥ .

(٣) نقل في مقدمة « حكايا الاسلام للبيهقي » ص ٩ : « وقال أستاذي السيد محمد المبارك : تصحيح الكتب القديمة أولى من الاحتفال بتأليف كتب جديدة » .

١٢ - رسائل البلغاء (١٩٠٨) <sup>(١)</sup> : نشرت المقتبس - كما قلنا - أكثر هذه الرسائل بعناية المستشرقين والشرقيين ، ثم جمعها الرجل ونشرها في مصر ، فكانت المصدر الفذ لهؤلاء البلغاء ، وما تزال . واليها يرجع الباحثون لدراسة رسائل عبد الحميد الكاتب ، وابن القارح ، والمعري ، وابن شرف القيرواني وابن قتيبة ، والوطواط ، وابن طاهر البغدادي ، وابن المدير . . . وغيرهم وقد هذبت الطبعة وتفتحت عدة مرات حتى قاربت الكمال .

١٣ - سيرة أحمد بن طولون (١٩٣٩) <sup>(٢)</sup> : كتب هذه السيرة أبو محمد عبد الله البلوي ، وفصل الأمر في حياة آل طولون ، وزاد على ما في التواريخ المتداولة ، فهو أوسعها وأهمها في هذا الباب . وكانت مخطوطة السيرة من أوراق الدشت بالظاهرية ، وهي في خط قديم ، صعب القراءة ، لكن جهد الأستاذ الرئيس ذلل العسير ويسر النص ، فوضع أيدينا على صلات الشام ومصر للقرن الرابع الهجري كما صورها المؤلف . وفي صدر هذه السيرة مقدمة علمية لبحثها الطابع النقدي ، كما عرف به الأستاذ الراحل .

١٤ - الاستجداد من فعلات الأجواد (١٩٤٦) <sup>(٣)</sup> : وهذا مصدر ثمين ألفه الحسين التنوخي ، في القرن الرابع ، وضمنه أخبار الكرماء في الجاهلية والإسلام ، على أدب جم ، ونكت مستفيضة ، تقف لأخبار الجاحظ في البخلاء ، وتصور الحياة الاجتماعية في العصور الإسلامية الأولى ، تصويراً لا يخلو من مقالة وامراف . والنسخة التي اعتمد عليها علامتنا في طبع الكتاب أخذها من الظاهرية .

١٥ - تاريخ حكماء الإسلام (١٩٤٦) <sup>(٤)</sup> : لظهير الدين البيهقي ، وهو من أعلام القرن السادس ، جمع فيه أخبار العلماء والحكماء والأطباء ، وصور

- (١) طبع أول مرة سنة ١٩٠٨ ، وثانية سنة ١٩١٣ ، وثالثة سنة ١٩٤٦ بمصر .
- (٢) طبع في دمشق ١٩٣٩ ، وهو في ٤٠٠ صفحة .
- (٣) طبع في منشورات الجمع العلمي بدمشق ١٩٤٦ .
- (٤) طبعه الجمع العلمي في منشوراته بدمشق سنة ١٩٤٦ .

لنا عيشتهم ودراساتهم ، وما أثر لهم من حكم ، وما وصل عنهم من تفكير .  
وهو مصدر هام في الفكر الاسلامي ، يترجم للرجال في إيجاز لا يتجد بمضه في  
المطولات . ونسخة الأصل جاءت من مخطوطات برلين .

١٦ - كتاب الأشربة (١٩٤٧) <sup>(١)</sup> : لابن قتيبة ، يجمع الأدب والفقہ  
في لغة مشرقة ، وأخبار لطيفة ، وقد طبع الكتاب من قبل 'المستشرق أرتوري  
ونشره سنة ١٩٠٧ ، وأعاد علامتنا طبعه على ثلاث نسخ مخطوطة ، جاء وافيًا  
بالتدقيق والتحقيق .

١٧ - البيزرة (١٩٥٣) <sup>(٢)</sup> : وهذا الكتاب في الصيد وآلاته ، والحيوانات  
وأضرارها ، وما قيل فيها من أدب طريف وشعر لطيف ، وقد نسب الى كشاجم  
حينما والى بازيار العزيز بالله الفاطمي حينما آخر ، صححه علامتنا الفقيه وكتب  
مقدمته ، وكان آخر كتبه ، انتهى بعد موته ، فقد كان يراجع فيه خلال  
مرضه الأخير ، ولعله قضى وهو يصحح كتابه ، وحشرج وهو بفكر في  
الفاظه ، فأسلم الروح وبين يديه كتاب جديد ينفع به العربية ، وعمره قد أربى  
على السابعة والسبعين أنفقها في السعي والجد من غير أن تعرف حياته معنى للراحة  
أو مغزى للاستقرار .

فكان إمامًا في الصحافة ، وحجة في التحقيق ، وعلما في الكتابة والتأليف ،  
ورئيسًا جليلًا ، وزعيمًا من زعماء الفكر في القرن العشرين .  
رحمه الله رحمة واسعة ، وألهم الشباب ان يقتدوا بجده وسعيه .

\*\*\*

(١) من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ١٩٤٧ .  
(٢) طبع في المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٣ .

## مؤلفات الأستاذ الرئيس

السنة	الصفحات	
١٨٩٤ مصر		١ - قبعة اليهودي ليفان ( بنيمة الزمان )
١٩٠٧ مصر	٢٦٧	٢ - الفضيلة والرهبة
١٩٠٧ مصر	٨٠٠	٣ - المجرم البريء ( أربعة أجزاء )
١٩٠٨ مصر	٢٢٠	٤ - تاريخ الحضارة (شارل سنيوبوس) (جزء)
١٩٠٨ مصر	٥٢٢	٥ - رسائل البلغاء
١٩١٠ مصر	٦٤٠	٦ - غرائب الغرب ( جزءان )
١٩١٦ بيروت	٢٩٦	٧ - البعث العلمية الى دار الخلافة الاسلامية
١٩١٦ بيروت	٣٠٠	٨ - الرحلة الأتورية الى الأصقاع الحجازية
١٩٢٨-١٩٢٥ دمشق	١٩٤٠	٩ - خطط الشام ( ستة أجزاء )
١٩٢٥ مصر	٣٤٦	١٠ - القديم والحديث
١٩٣٤ مصر	٩٤١	١١ - الاسلام والحضارة العربية
١٩٣٧ مصر	٥٧٨	١٢ - أمراء البيان ( جزءان )
١٩٣٩ دمشق	٤٠٠	١٣ - سيرة أحمد بن طولون
١٩٤٤ مصر	١٥٢	١٤ - دمشق مدينة السحر والشعر
١٩٤٦ دمشق	٢٨٤	١٥ - المستجاد من فمات الأجراد
١٩٤٦ دمشق	٢٠٤	١٦ - تاريخ حكماء الإسلام
١٩٤٦ مصر	٤٢٧	١٧ - أفوانا وأفعالنا



السنة	الصفحات	
دمشق ١٩٤٧	١٢٧	١٨ - الأشربة
دمشق ١٩٤٨ - ١٩٥١	١٣٢٠ (أربعة أجزاء)	١٩ - المذكرات
دمشق ١٩٤٩	٣٥٨	٢٠ - غوطة دمشق
دمشق ١٩٥٠	٤٣٦	٢١ - كنوز الأجداد
دمشق ١٩٥٣	٢١٢	٢٢ - البيرة

(بلغ مجموع هذه الصفحات ١٠٣٥٤ تقريباً ٦ عدا مجلته)  
 (المقتبس وقد صدرت في تسعة أجزاء وتبلغ ٦٤٧٦ صفحة)  
 (وجريدة المقتبس أصدرها مع أخيه خلال سنين عدة)

الدكتور سامي الدهان

www.alukah.net

# في اللغة أبناء علات

كما في البسر

كما يكون في العائلات البشرية بنو علات أي أولاد لأبٍ واحد ولدوا من أمهات شتى كذلك في اللغة العربية «أبناء علات» أو نقول «مشتقات علات» . نرى طائفة من الكلمات ذات وحدة في مادتها وحروفها فإذا تقبّبت عن أصل المادة التي اشتقت منها أو تولدت منها مجموعة تلك الكلمات رأيت أن ذلك الأصل تارة يكون عربياً من وضع العرب الأفحاح فولد ألفاظاً عربية فحة وتارة تجده من لغة الفرس مثلاً وقد ولد الألفاظاً فارسية استعربت بلسان العرب وأصبحت مع الألفاظ العربية المشاركة لها في المادة إخوة مندجحة في أسرة لغوية واحدة : متجدة الأب مختلفة الأم . ولا يتضح هذا في النفس ما لم نلتم ببعض الشواهد عليه :

- ١ -

«مرج»

مادة مرج : قد تكون أما عربية لعدة كلمات اشتقت منها أو تولدت منها ، نرى في كتب اللغة أن تلك المادة أي مادة «مرج» تدل في أصل معناها على القلق والاضطراب كما في اللسان ويلزم من اضطراب الشيء وقلقه فساده وعدم صلاحيته للانتفاع به . فكان الفساد من معاني المرّج . ولا شيء من أقوال اللغويين يدل على أن «المرج» بهذا المعنى فارسي الأصل فهو إذن عربي محض ، وقد اشتق منه مشتقات عربية كثيرة :

- ٢٥٣ -

١ - صَرَجُ الخاتمِ في إصبعي صَرَجًا قَلِقٌ . وكذلك السهمُ يُقلقه الدم اللاصق به فتختلُّ حركته ويطيش ويسقط يقال سهمٌ صَرِيجٌ . وإذا كان السهمُ أعوجَ ملتوباً قيل فيه أيضاً سهمٌ صَرِيجٌ . ولا غرو فإن «المرج» يكون بمعنى الفساد كما صرَّ وأعوجاج السهم والتواؤه فساد فيه . وما يدل على أن معنى الفساد في كلمة المرَج مأخوذ من معنى القلق في الخاتم قولُ صاحب النهاية « صَرَجَ الدينُ فسد وقلقت أسبابه » . وكذا الأمر والمهد والأمانة يقال فيها صرجت إذا فسدت .

٢ - ومن مشتقات «المرج» العربي قولهم « صَرَجَ فلانٌ أمره يبرُجه » إذا ضيعه : فهو منه في قلقٍ واضطراب . ورجلٌ صراجٌ يبرُجُ أموره ولا يُحكما فهي قلقة مضطربة .

٣ - ومن صلالة « صَرَجَ » العربية أمرجت الناقة فهي ممرجة إذا ألت ولدها قبل تكوُّنه جنيناً . فهذا من «المرج» العربي الذي معناه الفساد .

مادة صَرَجُ الفارسية : هي أمُّ أعجمية لطائفة من الكلمات العربية اشتقت منها أو تولدت منها : جاء في المخصص لابن سيده (جزء ١٠ ص ١٢٢) مانصه : « وأمرج الأرض المغيضة الواسعة التربة المشاب . وأصله فارسي . وقد جرى في كلام العرب وُصِرْفٌ . قال المعاج - ووصف عييراً وإثناً - « وقد رعى صَرَجٌ ربيعٌ ممرجاً » . « والممرج المرعي » انتهى قول ابن سيده . والأصل الفارسي الذي عرَّب العرب منه كلمة « صَرَج » هو « صَرغ » يفتح الميم وسكون الراء والنين المعجمة . وقد فسر شمس الدين صاهي في قاموسه التركي كلمة « المرغ » بكلمة « چار » التركية . وتفسر المعاجم التركية كلمة « چار » بالمرج وبالمرعي . فلم يبق شك في أن « صَرَج » العربية التي معناها صرعى الدواب معرفة من « صَرغ » الفارسية . عرِّبت في زمن الجاهلية . واستعملت في كلامهم كسائر ألفاظهم الفصحى العربية الأصل . ثم إن « صَرَج »

الفارسية هذه ولدت أولاداً ومشتقات عدّة : قال صاحب الصحاح في تفسير معنى « المرّج » الفارسية مانصه « المرّج الموضع الذي ترعى فيه الدواب » وزاد عليه صاحب اللسان قوله « مرّج الدابة يرّجها إذا أرسلها ترعى في المرّج » . فدلّ بقوله « ترعى في المرّج » على أن فعل مرّج الذي هو بمعنى أرسل إنما اشتق من كلمة « المرّج » الفارسية . وزاد هذا القول تثبيتاً الشيخ الفيومي المصري<sup>(١)</sup> في مصباحه : ونصه « المرّج أرض ذات نباتٍ ومرعى . ومرّجت الدابة رعت في المرّج ومرّجتها أنا أرسلتها ترعى في المرّج » فانظر كيف أن كلمة « المرّج » الفارسية دخلت في تفسير معنى فعل « مرّج » الدابة المرّب الذي كادوا يجمعون على أن معناه إرسالها في المرعى .

وليس هذا فقط بل إن « مرّج » بمعنى أرسل الدابة استعمله العرب في معنى مجازي وقد جاء بهذا المجاز الوحي الإلهي : ففي التنزيل في سورة الرحمن : « مرّج البحرين يلتقيان » قال الإمام الطبري شيخ المفسرين : « يقول تعالى ذكره : مرّج ربّ المشرقين وربّ المغربين البحرين يلتقيان : يعني بقوله مرّج أرسل وخلق من قولهم مرّج فلان دابته إذا خلاها وترّكها » وذكر سند هذا التفسير فأوصله الى ابن عباس . ثم انتقل الطبري الى تفسير المراد من إرسال البحرين . فقال إن معنى إرسالها إطلاقها يجريان حتى إذا التقيا وقف كل واحد منهما عند حدود برزخه فلا يبقى أو يطفى على الآخر » . فرّج

(١) قال بعض الاخوان ان الفيومي صاحب المصباح ليس مصرياً وانما هو عراقي . والفيوم التي نسب اليها هي مدينة في العراق مسماة باسم الفيوم المصرية : جاء في معجم البلدان عند ذكر فيوم العراق ما حصله: طاح أهرابي « أي ضل في البلاد » فرض فقصد الفيوم للاستشفاء فوصفوا له دهن البنفسج فقال :  
 « عجبت لمطاراً أظننا يسومنا بدسكرة الفيوم دهن البنفسج »  
 « فويحك يا مطار هلا أتيتنا بفضت خزاي أو بخوصة هرفج »  
 يريد انه إنما يشبهه عقاقير بلده لا دهن البنفسج « البنفشه » الفارسي .



البحرين في الآية بمعنى أرسل . وهذا إرسال مجازي . أما الإرسال الحقيقي  
ففي إرسال الدابة طليقة في المرعى كما لا يخفى .  
فقد تحصل معنا أن كلمة «سراج» التي معناها المرعى فارسية الأصل وأن  
من أولادها اللواتي اشتقت منها سراج الدابة إذا أرسلها في المرج لترعى  
وسراج البحرين أرسلها تعالى فيلتقيان ولا ينفيان . على ان اللسان يقول أيضاً:  
«والمرجُ الخلطُ وسراجُ الله البحرين خلطهما حتى التتيا» فيكون للمرج في الآية  
معنى غير الإرسال . لكنه مأخوذ أيضاً من الأصل الفارسي أعني اختلاط  
الدواب في المرعى .

٢ - ومن مشتقات «سراج» الفارسية قول العرب «سراج الناس» إذا  
اختلطوا اختلاط الدواب التي تختلج في المرعى فنسرح حيث شئت .  
٣ - ومنها «رجل سراج» قال صاحب اللسان: معناه أنه يزيد في الحديث .  
وهذه الزيادة خلط بين شينين: فلا جرم أن يكون «سراج» هذا من «سراج»  
الفارسية التي تختلط فيها دواب الرعاة في المرعى . ويقولون أيضاً فلان سراج  
سراج أي كذاب (١) .

### مشتقات أخرى

يحتمل أن تكون من نتاج «مرج» العربية

أو «مرج» الفارسية

١ - مرج الأمر مرجاً اختلط والتبس على الناس فلم يعودوا يعرفون وجه  
الصواب فيه «فهم في أمر مريج» كما في التنزيل . ويقال «غصن مريج»  
ملتمو مشبك قد التبت شناغيبه . وبلازم من التباسه على هذا الشكل فساده  
وعدم الانتفاع به . فالمرج بهذا المعنى مأخوذ من الأصل العربي الذي هو بمعنى

(١) وهنا يصح السؤال عما إذا كانت كلمة «سراج» تصلح ان تقوم مقام كلمة شارلانال

«charlatant» الفرنسية أولاً؟

«القلق والاضطراب» . أو يقال هو من الأصل الفارسي الذي معناه «تخلية الدواب في المرج مختلطةً تسرح كيفما شاءت» إذ أن التباس الأمر واختلاط وجهات النظر فيه يشبه اختلاط الدواب في المرعى وتسربها أنى شاءت : فلا يعود النظر يقدر على تعيين وجهة كل منها ، أو أن الرعاة لا يكادون يميزون بين دوابهم بعضها من بعض : ففعل «مرج الأمر» بمعنى التبس واشتبه يحتمل أن يكون متولداً من الأصل العربي بمعنى الفساد والقلق ، أو من الأصل الفارسي وهو اختلاط الدواب في المرعى .

٢ - «المرج» بمعنى الفتنة يحتمل أن تكون من مَرَجَ الدواب في المرعى مختلطةً تفعل ما نشاء ويذهب كل منها أنى شاء لا راعي لها ينظم حركاتها كما يحتمل أن تكون من قلق الخاتم في الإصبع واضطرابه . وكذلك الناس في الفتنة مضطربون في أعمالهم قلقون في معايشهم ومشاكل حياتهم .

٣ - «مارج من نار» يحتمل أن يكون من «مرج» العربية بمعنى القلق والاضطراب : فقد فسروا المارج بالشملة الساطعة ذات اللهب الشديد «فهي دائماً في قلق وارتعاش بالطبع» - ويحتمل أن تكون من «مرج» الفارسية بمعنى المرعى الذي يختلط فيه الدواب . وكذلك المارج الذي قيل في تفسيره أيضاً «مارج النار لها المختلط بسوادها» كما في اللسان ، فالمارج يختلط فيه النور بالدخان كما تختلط الدواب في المرعى .

\*\*\*

وكانني بقائل يقول : إذا صح ما نقل عن ابن سيده من أن كلمة «مرج» فارسية الأصل وقد عرّبها العرب وصح من جهة أخرى أن هناك كلمات من مادتها لم تجمل مشتقة من هذه الأم الفارسية بل من أم عربية - فلماذا هذا الجمل والتفريق ما دمنا نرى في هذه الكلمات المنسوبة إلى الأم العربية معنى م(٦)

الاختلاط والفساد الموجود في الأم الفارسية نفسها أعني كلمة «المرج» : فعاني الكلمات التي ظن أنها عربية 'نرجعها كلها الى معنى القلق والاضطراب والفساد . وما الفرق بين هذه المعاني وبين معنى اختلاط الدواب في المرعى . فالمعقول « ما دام لا يوجد لعلاء اللغة رأي صريح في المسألة » أن تكون مادة « م رج » فارسية محضة ويرجع معناها الفارسي الى المرعى واختلاط الدواب فيه . ثم تفرعت من تلك المادة الأعمجية الواحدة مشتقات : عربية الأب فارسية الأم وقد حملت معاني منها الحقيقي ومنها المجازي وترجع كلها الى المعنى المستفاد من الأصل الفارسي . ونحن لا نوافق القائل على قوله هذا من إرجاع معاني «المرج» كلها الى الأصل الفارسي وحده : لأن علماء اللغة الذين صرحوا بأن «المرج» بمعنى المرعى فارسي هو ومشتقاته لم يصرحوا كذلك في «المرج» ذي المعاني الأخرى : فهذا صاحب اللسان بقول « وأصل المرج القلق » فكيف نقول بعد هذا النص وبعد تصريحه بكلمة « أصل » أن معنى القلق يرجع الى معنى « المرَج » الفارسي وهو المرعى ؟ إذن نبقى على رأينا من أن ألفاظ هذه الأمرة اللغوية بعضها يرجع الى أم عربية ، وبعضها يرجع الى أمة فارسية ، وبعضها اشتبهت نسبته والتبست طينته فيبقى مجهول النسب .

- ٢ -

« البزر »

مادة « بزر » عربية . ولها مشتقات ذات معانٍ مختلفة مسرودة في معاجم اللغة تؤلف أمرة واحدة ، وقد تحل مشتقات هذه الأمرة لفظ غريب عن الأمرة لا شبيهة في عجمته أو فارسيته ، وقد اشتق من هذا اللفظ الفارسي مشتقات . وبذلك أصبحت مجموعة مشتقات مادة « بزر » أبناء علات : منها ما يرجع الى أم عربية ، ومنها ما يرجع الى « أم و آلد » فارسية .

«الأصل العربي أو الأم العربية»: قال ابن سيده «البَيْرُ» بفتح الباء وكسرها كل حبٍ يُبَزَّرُ للنبات . واستعمل مجازاً في الأولاد . يقال ما أكثر بَيْرُ فلان . والمبزور هو الرجل الكثير الولد . والبزراء المرأة الكثيرة الولد « ١ هـ وفي الحجاز اليوم يسمون الأولاد «بزورة» .

٢- ومن أولاد الأم العربية كلمة البَيْرُ بمعنى الخاط . وبَيْرُ فلان يبزر إذا امتخط .

٣- ومنها «البَيْرُ» بكسر الباء وفتحها والكسر أشهر - التابل وهو «ما يؤكل مع الطعام لطيج شهوته» وجمعه أبارير وأبازير ، والى هذا البئر ينسب «سوق البزورية» وهو أشهر أسواق دمشق في بيع الأبارير كالحجازوي في القاهرة .

٤- ومن مواليد مادة «بزر» العربية بَيْرُهَا بالعصا إذا ضربه بها . والعصا نفسها تسمى البَيْرُزارة والبَيْرُزَر والمبَيْرُزَر . هذا اسم العصا بشرط أن تكون عظيمة ضخمة . ومنه قول القائل (ض) في وصف وقعة الجمل : «ما شبيهُتُ وقع السيوف على الهام إلا بوقع البَيْرُزَر على المواجن» : فالبيازر العصي الضخام . أما «المواجن» فجمع مِجْنَة وهي عصا الفصَّار أو مُدَقِّسْتَه أعني خشبته التي بدقُّ بها أو نقول بَيْرُزُرُ بها الثوبَ في الماء لينظف ، وتسمى الميقمة أيضاً . كما ان الميقمة والممطل تستعملان في مطرقة الحداد .

ولي هنا إشكال لم أهتم إلى حلّه إلا بصعوبة ذلك انهم قالوا : البيازر هي العصي الضخام التي تُتخذ مداقاً للقصارين ومثلها المواجن : فكيف يُنظف الثوب بدقّه بين عصوين ؟ فلم يبق إلا أن يقال ان البيازر بدقُّ بها الثوب المبلول الذي يكون ملثى على عصا أخرى وتكون العصا الأخرى عريضة صلبة وهي الميجنة : فالميجنة تارة يُخبط بها وتارة يخبط عليها . أما البَيْرُزارة فهي التي يخبط بها لا عليها .



٥ - قالوا ومن مشتقات «بزر» العربية ما جاء في حديث أبي هريرة :  
 « لا تقوم الساعة حتى تقانلوا قوماً ينتمون الشعر وهم البازر » والبازر بتقديم  
 الزاي على الراء ناحية في بلاد فارس : فقوله في الحديث وهم البازر يعني أهل  
 البازر قيل هم الأكراد اه . لكن التحقيق أن البازر بتقديم الزاي على الراء  
 تحريف . وأن صوابه « البارز » بتقديم الراء على الزاي ، وهذه الزاي مُقلب  
 أحياناً سيناً فتصبح « پارس » وپارس اسم بلاد فارس . وبالسين ينطقها أهل  
 تلك البلاد بلغتهم اليوم كما لا يخفى كما ينطقها الفرنسيون برس بلغتهم ،  
 وقال لي صديق إيراني فاضل وهو محمد محييط الطباطبائي ان في هذه الناحية  
 « التي سماها الحديث ( بارز ) وهي بقرب كرمان » بلداً ما زال يسمى باريز الى  
 أيامنا هذه .

«الأصل الفارسي» أو الأم الفارسية التي استولدها العرب أولاداً اندمجوا  
 في أسرة «بزر» العربية - كلمة «البَيْرَزَة» وهي مهنة تربية جوارح الطير  
 كالباز والشاهين والصقر . ويكون صاحبها عادة في خدمة الملوك والأمرء  
 ويسمى «البازيار» و «البازدار» . وكلنا الأداةين : «بار» و «دار»  
 فارسية تفيد معنى صاحب الشيء الملائم له والقيم عليه والمولع به ، ومن هنا جاءت  
 «بار» بمعنى العشق : فشهر بار صاحب البلاد وهو الملك . وبختيار صاحب البخت  
 وهو المحظوظ السعيد في حاله وماله . ومنجقدار صاحب السنجق وبيرقدار صاحب  
 البيرق وهو الرابطة . وهكذا يقال في معنى «بازدار» و «بازيار» صاحب  
 الباز وحامله في الصيد والمتولي أمره . وقد اشتقوا من الأولى مصدراً فقالوا  
 «البزدر» وهي مهنته . وكذلك اشتقوا من البازيار «البزيرة» بتقديم الزاي ،  
 لكن العرب لم يُبقوا على المصدر الأخير أعني «البزيرة» بل تصرفوا فيه بعد

تعريبه<sup>(١)</sup> ، فقدموا الياء على الزاي وقالوا « البيزرة » كأنه مصدر « البازار » ولم نسمعهم يقولون « البازار » بتقديم الياء وإنما يقولون « البازار » لفظاً فارسياً مركباً من « الباز » و « يار » كما مر . و « يار » كما قلنا فارسية البتة ، أما « الباز » اسماً للطائر فظاهر أفعال علماء اللغة العربية أنه عربي كالبازي بالياء في آخره . ولم أرَ من صرح بعجمة الباز ، اللهم إلا شمس الدين صامى في « قاموسه » فقد قال أن الباز فارسي . والعرب وإن قالوا أن « الباز » عربي فأنهم بعد تركيبه مع « يار » في « البازار » يقولون عنها - أي عن البازار - أنها أعجمية . هذا الشيخ الأزهرى أقدم اللغويين بقول في كتابه « تهذيب اللغة » كما نقله عنه صاحب التاج « والبازار الذي يحمل الباز ويقال فيه البازار كلاهما دخيل اهـ » فهذا صريح بأن « البازار » الذي هو مقلوب « البازار » وبدلان على صاحب الباز - بمتبرهما علماء العربية من معربات اللغة ومن الدخيل فيها .

فتحصل معنا أن في مادة « بزر » أصلين أو أميين إحداهما عربية بمعنى الضرب ومنه اشتق فعل « بَزَزَ » أي ضَرَبَ ، وكلمة « البازارة » أي العصا التي تحبب بها الثياب لتنظيفها . والأم الأخرى كلمة « بازيار » الفارسية بمعنى صاحب الباز . وقد استولدها العرب ولداً وهو « بَيِّزار » بمعنى مربّي الباز . وجعلوا من

(١) ولعل السر في ذلك أن صيغة « الفيعة » في كلام العرب مصدراً هو الشائع للاستعمال أما « الفيعة » فلم يسمع أو هو قليل جداً . ويشبه هذا ما قاله « ابن فارس » في كتابه للمسمى « كتاب النيروز » فإنه سئل عن كلمة « النيروز » هل هي عربية وما وزنها ، فكتب كتابه هذا وضمه الألفاظ التي جاءت على وزن « نيروز » كبيروت وبيتور النخ ، وقال في المقدمة ما نصه : « ولتعلم أن هذا الاسم - أي نيروز - معرب ومعناه اليوم الجديد وهو قولهم نوروز . إلا أن النيروز أشبه بأبنية العرب لأنه على مثال فيمول النخ » ويقول هنا أي في « بيزرة » التي قدمت فيها الياء أن صيغتها وبناءها أشبه بأبنية العرب من بيزرة لأنه على مثال فيمة كفيمة وكبيجة وحيمة النخ .

البَيْتْرَارُ مصدرًا وهو البيزة ، ومنها « كتاب البيزة » ، يبدُ أن الأصل العربي أمٌ ولود ثور لها الكثير من الأولاد . أما الأصل الفارسي فأُمٌ مقلاتٌ تزور . لم تلد إلا التزر القليل .

- ٣ -

### « عسكر »

هذا اللفظ أو هذه المادة « ع س ك ر » عرّفها العرب في أصل لغتهم . واستعملوها في معاني خاصة . ثم عادوا فعرّفوها من طريق اللغة الفارسية عندما سمعوا الفرس يقولون « لشكر » أي الجيش المحارب فاقبسوا الشكر منهم وعربوها . « عسكر العربية ومشتقاتها » قال صاحب اللسان : العسكرة الشدة والجذب . ثم استشهد على كونها بمعنى الشدة بقول طرفة بن العبد « ظلُّ في عسكرة من حبها » أي ظلُّ ذلك الحب في شدة من حب محبوبته . وقال آخر : « عساكر تفتى النفس : حتى كأنني أخو سكرة دارت بهامته الخمر » وإذا قالوا عساكر الهمّ أرادوا ما ركب بعضه بعضاً وتتابع من الهمّ . ومن معاني العسكر العربية قولهم عسكرو الليل يعنون ظلمته . ولا يخفى ما بين الشدة والظلمة من التشابه والتناسب . فكنتاهما من معاني العسكرة العربية التي لا نزاع في عروبتهما بين علماء اللغة .

« عسكر الفارسية ومشتقاتها » قال في اللسان عطفًا على العسكرة العربية التي فسرها بالشدّة ما نصه « والعسكرُ الجمعُ فارسي » وبمعنى بالجمع الجماعة من الناس . ولما كان الجيشُ المحاربُ جمعًا سموه عسكراً . لكن « عسكر » هذه المعربة لم تنبج على ما كان يلفظها الفرس بلغتهم . فان العسكر بلغتهم « لشكر » باللام فمرّبها العرب الى « عسكر » بقلب لامها عينًا وأدججوها في لغتهم العربية واشتقوا منها مشتقات أكثر مما اشتقوا من صرّتها « عسكر » العربية بل قد توصعوا

في عسكر الفارسية الى أبعد حد : فسموا الجمع من الرجال عسكراً وكذا  
الجمع من الخيل والكلاب . وإذا كان للرجل مال ونعم سموا جمع ماله ونعمه  
عسكراً ، حتى قال شاعرهم :  
« هل لك في أجرٍ عظيمٍ توَّجَّره      تُعين مسكيناً قليلاً عسكره »  
أي إنه لا يملك مالاً ولا أنعاماً ولا ماشية : فهو قليل العسكر ، كل ذلك  
من حسن تصرفهم في تلك اللفظة الفارسية التي تبنوها ، وانتفعوا بما استولدوه  
من بزورها ، وكما اشتقوا من « أندازه » الفارسية بمعنى المقياس فعل « هَندَسَ »  
يهندس هندسةً ، اشتقوا من عسكر الفارسية فعل عسكروا <sup>(١)</sup> بالمكان إذا  
تجمعوا فيه . فهم مصكرون . والموضع ينزل فيه العسكر يسمى مصكراً  
بفتح الكاف .

وهنا ينبري لنا القائل الذي سبق أن اعترض على رأينا في مادة « مرج »  
والفرقة بين عربيتهما وفارسيتهما فيقول : لا يوجد « عسكر » في أصل اللغة العربية  
وإنما هي - أي عسكر - كلمة فارسية فقط ، وقد عربها العرب فاستعملوها في  
معناها الفارسي وهو الجمع والجماعة والجيش . ثم تصرفوا فيها وتجاوزوا ما شاءوا  
وشاء استبدادهم : فاستعملوها بمعنى الشدة وجعلوا للشدائد والهموم والظلمات  
عساكر وجيوشاً تتلاحق على التجوز . فليست هذه المعاني أي الشدائد والهموم  
والظلمات - لكلمة « عسكر » العربية التي زعمتموها ولا وجود لها وإنما هي من  
المعاني المجازية لعسكر الفارسية : فالعسكر كالمرج كلناهما فارسيان عربها  
العرب واستعملوها في معانٍ حقيقية ومعانٍ مجازية .

(١) ولعل في هذا للمنى جاء قول الشاعر :

« كأن خزامى بالمقوين عسكرت      بها الريح وانهت عليها ذهابها »

« تضيئها يردا مليكة إذ غدت      وقرب الدين المشت ركابها »

أقول : إن البيهقي في كتاب « النبات » للدينوري وما أيضاً في معجم البلدان ٦٩٩/٣  
فمضى « عسكرت » فيها إن الريح أقامت وتناهت وكثر هبوبها على تلك الخزامى  
فكان ذلك أطيب لها ، وأعود بالنهاء عليها « وذهابها » جم ذهبة أي أمطارها الغزيرة .



هذا ما يقوله القائل وهو اجتهاد في اللغة لا يُقرُّه عليه ، وإنما الصواب الذي يميل إليه القاب . هو الوقوف عند حدود ما قال علماء اللغة الثقات من أن « المرج » بمعنى المرعى فارسيٌّ معربٌ وما سواه أطلقوا فيه انقول فيكون عريباً . وكذلك المسكر بمعنى الجند والجماعة من الناس فارسي معرب . وما سواه من المعاني التي ذكرها للمسكر العربي فهي معانٍ عريبية .

وما ذكرناه من المواد « مرج ، بزر ، عسكر » إنما هو مثال لما صميناها « أبناء العلات في اللغة » والآن في مواد كلمات اللغة أشباه ونظائر لما ذكرنا تكاد لا نمد ولا تحصى . والفطن لا يعدم الانتباه الى أمثالها : ككلمة « سُكَّر » فهي معربة من « شَكَر » الفارسية التي لها أبناء ومشتقات . وهناك « سَكَّر » العربية وأصل معناها في اللغة « السَدَّ » ولها أبناء ومشتقات أيضاً . فالفريقان من مشتقات « سُكَّر » الفارسية و « سَكَّر » العربية بولفان أسرة أو عائلة لغوية واحدة كلأتهما أبناء علات وهكذا وهكذا .

\*\*\*

### « اسدراك »

على كلمة « المرج » أعربية هي أم أعجمية ؟

قال بعض الفضلاء وقد ارتاب في عجمة المرج : « نحن نظل على عجمتها الى أن تظهر حجة جديدة على عروبتها . وليس النقل عن « ابن سيده » والذي يميز لنا أن تنزل عما ورثناه وألفناه » .

وقال آخر : « إن ابن سيده أندلسي ولا اتصال بين الأندلس وشعبها وبين فارس وشعبها حتى يتقارضا الألفاظ » .

وقال ثالث : « ليس النزاع في كون المرج معربة أو لا وإنما النزاع في

أن يكون تعريبها عن اللغة الفارسية ومن المستبعد أن يُقبل قول (ابن سيده) في فارسيها .

أقول: إن بحثي السابق لم يكن في إثبات كون المرج من أصل فارسي أو أصل عربي ، ولا في مناقشة اللغويين في الألفاظ العربية ، وإنما هو كما يعرف من عنوانه حول أبناء العلات في الأمر اللغوية كما في البشر . وجاءت كلمة المرج مثلاً في ذلك . وعزوتُ عجمتها الى الجزء والصفحة من مخصص ابن سيده . ولعمري إنه لم يسؤني التشكيك في عجمتها بل ربما كنت أتمنى أن تقوم الأدلة على عروبته وعروبة جميع معربات اللغة . ولكن لابن سيده ومخصصه في نفسي منزلة أعتقد معها أن مثل هذا الرجل الثقة الثبت لا يجرؤ على دعوى فارسية المرج . ومثله لا يثبت على اللغة ، وهو عزيتُها المرَجَّب . وجدَّ يُلها المحكك . لذلك كله أف مع المعارضين موقف الخالف لهم . المستضعف لأدلتهم . ولما أردت أن أناقشهم في دعواهم كان أول ما امتدت يدي اليه كتاب « المعرب » للجواليقي فإذا هو بقول في صفحة ( ٣١٠ ) طبع دار الكتب المصرية المحققة بقلم الأستاذ أحمد محمد شاكر مانصه : « والمرج فارسي معرب قال الليث : المرج أرض واسعة فيها نبت كثير تُمرج فيها الدواب . وجهها مروج وأنشد :  
«رعى بها مرج ربيع ممرجا» انتهى

فأصبح في الكف نصان على عجمة المرج وكونها من أصل فارسي : أحدهما لابن سيده ، والآخر للجواليقي .

وقد وقع الشك في قول ابن سيده لأندلسيته وبعده عن بلاد الفرس ومجالسهم أما الجواليقي فأمره على العكس . ولم نعثر على قول في عروبة « المرج » سوى ما قرأناه في « شفاء الغليل » للخفاجي : فقد أشار الى الأمرين عجمته وعروبته . وهذا نصه « سرج : قيل هو معرب أو هو عربي . وهو ما تمرج الدواب فيه »

فقوله «أو هو عربي» يحتمل أن يكون جاء به من عند نفسه، كما يحتمل أن يكون قوله بهروبه منقولاً عن غيره. على أن ذكر الخفاجي للمرج في كتابه الخاص بالمعربات يشير من طرف خفي إلى أنه يرجحُ عجمته ولذا عدّه في «المعربات». وقد استفدنا من «الخفاجي» خلاف ما كنا نعتقد من أن عمره به المرج لم يصرح بها أحد، فقد صرح بها ولكن المصرّح - أعني الخفاجي - متأخر أعني من رجال القرن الحادي عشر للهجرة بيننا «ابن سيده» و«الجواليقي» كلاهما عاش في الخامس والسادس للهجرة<sup>(١)</sup> وقدّمنا في اللغة أرسخ من قدّمه كما أن قدّمهما أضح للاحتجاج من قدّمه. وقالوا في ترجمة الجواليقي كما في ابن خلكان إنه كان متدينًا ثقة كثير الضبط، بكثير من قول «لا أدري» وأنه كان من مفاخر بغداد. ومثله ما جاء في بغية الوعاة: «انه كان مثبناً صدوقاً لا يقول الشيء إلا بعد التحقيق».

وابن سيده إن شك المشككون في الاعتداد بقوله لبعده عن بلاد فارس واستبعاد مشافنته أهلها ومعاشرتهم والأخذ عنهم - فإن «الجواليقي» الذي قال «إن المرج فارسي معرب» قد أجمع المترجمون له على أنه عاش في بغداد جارة فارس، لا بل تكاد - بما توطئتها من أبناء فارس - عمد وسَطاً فارصياً، وناهيكم البرامكة وأبيتهم ومجالس الأدب في قصورهم. وقد أخذ الجواليقي اللغة والأدب عن أئمة زمنه. وأشهرهم «ابن الخطيب التبريزي» شارح الحماسة وتلميذ المرّي: فالجواليقي عاش عمراً مع التبريزي الفارسي، وخلفه في تدريس اللغة والأدب في المدرسة النظامية، والأرجح أن عجمة «المرج» إنما اقتبسها الجواليقي

(١) توفي ابن سيده سنة ٤٥٨ هـ والجواليقي سنة ٥٤٠ هـ وولادته كانت سنة ٤٦٥ هـ

وتوفي الخفاجي سنة ١٠٦٩ هـ.

منه - أي من التبريزي - : فقد قال مترجموه إنه « أي الجواليقي » روى عن التبريزي في كتابه « المرآة » صراحة .

هذا نموذج من عاشرهم الجواليقي من أساتذته الفرس أما من عاشرهم من تلاميذه الفارسيين فأشهرهم أبو سعد السمعاني المروزي صاحب كتاب الأنساب . وقد توفي في « مرو » من بلاد فارس بعد أن قضى زمناً في بغداد يتلقى اللغة والأدب عن أستاذه الجواليقي مع تلاميذه الآخرين الذين منهم ابن الجوزي وابن الأنباري وغيرهما . فإذا كان للمشككين في فارسية المرج مصدر أو حجة وراء ذلك له اتصال بفارس وأهلها وانفتحوا فحسبهم وحسبنا هذا الجواليقي وكتابه « المرآة » الذي قال فيه الفائقون : « إنه لم يعمل في جنسه أكبر منه » .

المغربي

•••••



فهرست مؤلفات

# محيي الدين ابن عربي

(٥٦٠ - ٦٣٨ هـ)

بقلم

عُني بتحقيقه

كوركبس عواد

- ٤ -

المستدرك

- ١ - آداب القوم <sup>(١)</sup> .
- ٢ - الإجابة على أسئلة الترمذي <sup>(٢)</sup> .
- ٣ - إجازة كتبها للسلطان الملك المظفر بهاء الدين غازي بن الملك العادل <sup>(٣)</sup> :  
ذكر فيها طائفة كبيرة من مؤلفاته ، وما روى عن أشياخه ، وما له  
من شعر ونظم .
- ٤ - الأجوبة على مسائل شمس الدين اسماعيل بن سودكين النوري بحلب  
عن أعلى المراتب التي انتهى إليها همم الرجال <sup>(٤)</sup> .

(١) الأزهري ٣ : ٥٢٧ .

(٢) الأزهري ٣ : ٥٣٠ . الاسكندرية : تصوف ٣٤ . ولي برهنتكهام ( الرقم ٦٨٧ ) :

« الجواب للمستقيم عما سأل عنه الترمذي الحكيم » .

(٣) برلين ٢٩٩٢ (٤) .

(٤) جون ريلندز ١٠٦ (٥) . تذكرة النوادر ٣٦٧ .

- ٥ - الأجوبة اللائقة عن الأسئلة الفائقة <sup>(١)</sup>
- ٦ - الأحاديث القدسية <sup>(٢)</sup>
- ٧ - أسرار الحروف <sup>(٣)</sup>
- ٨ - أسرار الخلوة <sup>(٤)</sup>
- ٩ - أسرار الذات <sup>(٥)</sup>
- ١٠ - أسرار الوحي في المعراج <sup>(٦)</sup>
- ١١ - أسرار الوضوء <sup>(٧)</sup>
- ١٢ - أسفار في سفر نوح <sup>(٨)</sup>
- ١٣ - الاصطلاحات الصوفية <sup>(٩)</sup>
- ١٤ - أصول المنقول <sup>(١٠)</sup>

- (١) الأزهر ٣ : ٥٣٠ . أصفية : تصوف ١٩ (٤) ٨٩ (٢) . فينة ١٩١٠ .  
للكتب الهندي ٦٥٩ .
- (٢) طُبعت في القاهرة « ٣٥ ص » . ومنها نسخ خطية في غوطا ٣ (٥) ٥٦٤ (٢) .  
برمنكهام ٦٤٩ . وفي كشف الظنون ( ٣ : ٥١٩ ) : « الرياض الفردوسية  
في الأحاديث القدسية » فلماها هي .
- (٣) للمتحف البريطاني ٧٥٤ (٤) . وفي خزانة دار الفنون ( استانبول ) ١٦  
« رسالة في سر الحروف » : فلماها هي .
- (٤) بانكيبور ٨٨٤ .
- (٥) عقود الجواهر . ص ٣٣ .
- (٦) عقود الجواهر . ص ٣٣ .
- (٧) دار الكتب ١ : ٢٦٦ .
- (٨) غوطا ٢ ، ٥ Pers .
- (٩) نشرها فلوجل في آخر كتاب « التمرينات » ليجرجاني ( ليدسك ١٨٤٥ .  
ص ٢٨٢ - ٢٩٨ ) . ومنها نسخ خطية في : الأوقاف بيفداد ٤٨٨٧ (٧) .  
خزانة المزاري بيفداد . الخزانة القادرية بيفداد . بانكيبور ٨٨٦ . الأزهر  
٣ : ٥٦٨ (نسختان) . دار الكتب ١ : ٢٦٧ . ليدسك ٣٠ أياصوفيا ٢٠٤٨ (٢)  
مكتبة للامهد الرضوي ٤ : ١٠٩ الرقم ٥١٢ . نافذ ٣٨٤ ، ٦٣٢ . عمومية  
٣٧٥٠ . باتنا ٢ : ٤١٢ . المكتب الهندي ٦٥٧ (٧) . الفانتيكان ٥ : ٢٩٦ .  
(١٠) عقود الجواهر . ص ٣٠ .

- ١٥ - الإعلام فيما بُني عليه الإسلام<sup>(١)</sup> .
- ١٦ - الإفادة لمن أراد الاستفادة<sup>(٢)</sup> .
- ١٧ - الإفاضة في علم الرياضة<sup>(٣)</sup> .
- ١٨ - الإمام المبين الذي لا يدخله ريب ولا تخمين<sup>(٤)</sup> .
- ١٩ - الانتصار<sup>(٥)</sup> .
- ٢٠ - انخراق الجنود الى الجلود وانفلاق الشهود الى السجود<sup>(٦)</sup> .
- ٢١ - إنشاء الجسوم الانسانية<sup>(٧)</sup> .
- ٢٢ - إنشاء الدوائر الاحاطية على الدقائق على مضاهاة الانسان للخالق والخالق<sup>(٨)</sup> .
- ٢٣ - الأنوار<sup>(٩)</sup> «رسالة» .
- ٢٤ - أوراد الأسبوع<sup>(١٠)</sup> .
- ٢٥ - أوراد الأيام والليالي<sup>(١١)</sup> .
- ٢٦ - بحر الشكر في نهر الفكر<sup>(١٢)</sup> .

- (١) برلين ٢٩٤٣ .
- (٢) برلين ٢٩٣٧ .
- (٣) اياصوفيا ٢١٦٠ (٤) Ritter .
- (٤) دار الكتب ١ : ٢٦٨ . للتحف البريطاني ١٣٧١ (١) . برمنكهام ٦٧٦ .
- (٥) تذكرة النوادر ٣٥٦ .
- (٦) للتحف المراقي ٥٩٧ (٣) وهي بخط المؤلف .
- (٧) الاسكوريال ٢ : ٥٣٠ (٣) .
- (٨) الحالدية بالقدس ( تصوف ٣٦ ) . الجمعية الآسيوية في البنغال ٦٢٨ (٢) .
- برمنكهام ٦٦٩ . وفي خزنة للتحف المراقي ( الرقم ٢١٣٩ ) : « مضاهاة  
الأكوان فيما يقابله من الانسال » .
- (٩) فوطا ٥ ، ٥ ، ٥ Pers . باريس ٢٤٠٥ .
- (١٠) مدرسة عبد الرحمن جلبي الصائغ بالموصل (مخطوطات الموصل من ١٥٤ الرقم ٤٧) .
- برلين ٣٧٧٣ - ٣٧٧٥ . للكتب الهندي ٣٩٣ . بديان ١ : ١٢٠ ، ٢٤٩ : ٢٤٩ .
- (١١) دار الكتب ١ : ٢٧٠ (٤ نسخ) . للتحف البريطاني ١٠٣ .
- (١٢) للتحف المراقي ٥٩٧ (٤) وهي بخط المؤلف .

- ٢٧ - البحر المحيط الذي لا يُسمع لموجه غطيط (١) .
- ٢٨ - بقية من خاتمة رسالة الرد على اليهود في بيان المعنى الموعود (٢) .
- ٢٩ - بلغة الفواص في الأكوان الى معدن الإخلاص في معرفة الإنسان (٣) .
- ٣٠ - بيان الأسرار للطالبيين الأبرار (٤) .
- ٣١ - البيان في حقيقة الانسان (٥) .
- ٣٢ - تائية ابن عربي (٦) ، وهي قصيدة أولها :
- تنزهتُ لما أن حضرتُ بحضرتي ووحدتُ في ذلك المقام بنظرة
- ٣٣ - تجلي الإشارة من طريق السر (٧) .
- ٣٤ - تجليات الشاذلية في الأوقات السحرية (٨) .
- ٣٥ - تجليات عرائض النصوص في منصات حكم الفصوص (٩) .
- ٣٦ - تحرير البيان في تقرير شعب الإيمان ورُتب الاحسان (١٠)

- (١) عقود الجواهر . ص ٣١ .
- (٢) للتحف المراقي ٥٩٧ (١٠) وهي بخط المؤلف .
- (٣) الاسكوريال ٢ : ٤١٧ (٣) . الأزهر ٣ : ٥٤٤ . الاسكندرية : تصوف ٣٣ . باريس ٢٤٠٥ (٦) . ولي الدين ١٨٢٢ (٣) . برمنكهام ٦٧٥ .
- (٤) الأزهر ٣ : ٥٤٥ .
- (٥) عقود الجوهر . ص ٣١ .
- (٦) الأزهر ٣ : ٥٤٦ (نسختان) . تركة الشيخ ابراهيم عثمان بيفداد . ليدل ٧٠١ . الظاهرية ص ٤٩ . وقد شرحها عبد الله البسنوي بعنوان « قرّة عين الشهود و سرآة عرائس معاني الغيب والوجود » . ومن هذا الشرح نسخة في الظاهرية ص ٤٩ .
- (٧) عقود الجواهر ص ٣١ .
- (٨) دار الكتب ١ : ٢٧٥ .
- (٩) طبع في بولاق سنة ١٢٥٢ هـ . ومعه شروح باللغة التركية لعبد الله البسنوي . ومنه نسخة خطية في الأوقاف بيفداد (٢) ٤٨٢٧ . بخط عبد الله بن احمد الخولاني الاشبلي سنة ٦٠٦ هـ بمدينة حلب . جاء في آخر هذا المخطوط تعليق للمؤلف هذا نصه : « قرأه علي صاحبنا البرهان ابو محمد عبد الله بن علي ابن احمد الخولاني . وكتبه مصنفه في سنة ست وستائة . . . » .
- (١٠) الأوقاف بيفداد ٤٨٨٧ (٤) .



- ٣٧ - تحفة السَّفرة الى حضرة البررة (١) .
- ٣٨ - تحقيق الباء وأسرارها (٢) .
- ٣٩ - التدقيق في بحث التحقيق (٣) .
- ٤٠ - تذكرة التوابين (٤) .
- ٤١ - تذكرة الخواص وعقيدة أهل الاختصاص (٥) .
- ٤٢ - ترتيب السلوك الى ملك الملوك (٦) .
- ٤٣ - ترجمان الألفاظ المحمدية (٧) .
- ٤٤ - تشنيف الأسماع في تعريف الإبداع (٨) .
- ٤٥ - تفسير آية الكرسي (٩) .
- ٤٦ - تفسير قوله تعالى : يا بني آدم (١٠) .
- ٤٧ - التقديس الأنور ، نصيحة الشيخ الأكبر (١١) .
- ٤٨ - تليح الأذهان (١٢) .

(١) طبع في الأستانة سنة ١٣٠٠ هـ . في ١٦ ص . وطبعت ترجمته التركية في استانبول سنة ١٣٠٣ هـ . ومنه نسخ خطية في : دار الكتب ١ : ٢٧٦ ، برلين ٢٩٢٥ - ٢٩٢٦ . جامع بكر افندي بالموصل ( مخطوطات الموصل ص ٧٣ الرقم ٤٦ ضمن مجموعة ) .

(٢) عقود الجواهر ص ٣١ .

(٣) برلين ٢٩٥٣ .

(٤) نافذ ٣٧٣ .

(٥) برلين ٢٨٩٩ ، فينة ١٩٩٣ (٢٤) ، باريس ١٣٣٨ (٢) ، غوطا ٦٧٠ .

(٦) برلين ٢٩٤١ ، فينة ١٩١٠ (٥) ، للكتب الهندي ٦٥٧ (٢) .

(٧) برلين ٢٩٦٧ - ٢٩٦٨ .

(٨) جون ويلندز ٣٧١ (٢) .

(٩) سورة البقرة ٢٥٦ . ومنها نسخة في برلين ٢٩٤٨ .

(١٠) التيمورية ٣ : ٢٠١ .

(١١) لها شرح لرجل مجهول ، في الأهرام ٣ : ٥٩٣ .

(١٢) عقود الجواهر ص ٣١ .

- ٤٩ - تمهيد التوحيد (١) .  
 ٥٠ - التنبهات (٢) .  
 ٥١ - تنزل الأرواح بالروح، أوديون المعارف الإلهية واللطائف الروحانية (٣) .  
 ٥٢ - تنزل [ تنزلات ] الإملاك للأملاك في حركات الأفلاك (٤) .  
 ٥٣ - التنزلات الليلية في الأحكام الإلهية (٥) .  
 ٥٤ - التوقيعات (٦) .  
 ٥٥ - ثواب قضاء حوائج الإخوان وإغاثة المهفان (٧) .  
 ٥٦ - جامع الأحكام في معرفة الحلال والحرام (٨) .  
 ٥٧ - جامع الوصايا (٩) .  
 ٥٨ - جذرة الاصطلاح وحقيقة الاجتلاء (١٠) .  
 ٥٩ - الجفر الأبيض (١١) .  
 ٦٠ - جفر الإمام علي بن أبي طالب (١٢) .

- (١) عقود الجوهري ص ٣١ . ولله « توحيد التوحيد » ومن هذا نسخة في برلين ٢٩٥٢ .  
 (٢) الأزهر ٣ : ٥٥٤ .  
 (٣) باريس ٢٣٤٨ (٢) .  
 (٤) الاسكندرية : تصوف ١٢ (نسختان) ، المجلس اللبي (طهران) ٣٨ ، شهيد علي ١١٥٥ ، برلين ٢٩٥١ .  
 (٥) الأزهر ٣ : ٥٥٤ .  
 (٦) دار الكتب ١ : ٣٠٦ . و ٣٤٥ (٣ نسخ) .  
 (٧) باريس ١٦٩٩ (١٤) .  
 (٨) كشف الظنون ٢ : ٤٩٩ .  
 (٩) عقود الجوهري ص ٣٢ .  
 (١٠) جامعة يابل بايركة ٦٤ وهذه النسخة قديمة ، كتبت سنة ٦٠٦ هـ في رباط السيساطي بدمشق . انظر : « حولة في دور الكتب الأميركية » ص ٧٤ و « المخطوطات المرية في دور الكتب الأميركية » ص ١٧ وكلاما لنا .  
 (١١) الشيخ محمد امين الترمذي (فهرس سباط ٦٦٤) .  
 (١٢) ليك ٨٣٣ (١) .

م (٧)

- ٦١ - الجفر الجامع (١) .  
 ٦٢ - جفر النهاية ومبين خبايا أسرار كنوز البداية والنهاية (٢) .  
 ٦٣ - الجلا في استنزال الملأ الأعلى (٣) .  
 ٦٤ - الجلالة (٤) وهو كلمة الله .  
 ٦٥ - الجواب عن الآيات الواردة (٥) .  
 ٦٦ - جواب عن مسألة السبعة السوداء وهي الهيولي (٦) .  
 ٦٧ - الجواب المستقيم (٧) .  
 ٦٨ - الحج الأكبر (٨) .  
 ٦٩ - حروف الكلمات وحرف الصلوات (٩) .  
 ٧٠ - حزب (١٠) .  
 ٧١ - حزب التوحيد (١١) .

- (١) الاسكندرية : حروف ٩ .  
 (٢) الجزائر ١٥٢٢ .  
 (٣) عقود الجوهر ص ٣٢ .  
 (٤) 'طبم ضمن « مجموعة الرسائل » لابن عربي (حيدرآباد ١٣٦٣ هـ ، ١٣ ص) وهو ثاني ما في المجموعة . ومنه 'نسخ خطية في الأزهر ٣: ٥٥٧ ، دار الكتب ١ : ٣٤٥ (نسختان) ، آصفية : تصوف ٤٩ ، فاتح ٥٣٧٨ ، جار الله ١٠٨٠ ، برلين ٢٩٥٩ ، باريس ١٣٣٩ (٢) ٦٦٤٠ ، المتحف البريطاني ٨٨٦ (٢٠) .  
 (٥) في دار الكتب المصرية (١ : ٣١٥) نسختان خطيتان من شرحها لعبد النبي النابلسي .  
 (٦) دار الكتب ١ : ٢٤٦ ، برلين ٢٩٦٠ .  
 (٧) عمومية ٣٧٥ . باتنا ٢ : ٤١٠ ، برلين ٢٩٩٨ .  
 (٨) قصيدة طويلة بقدر نصف ديوانه ، ذكرت في كشف الظنون ٣ : ٢٨٩ .  
 (٩) كشف الظنون ٣ : ٤٩ .  
 (١٠) الاسكندرية : فوائد وأدعية ٢٣ ، برلين ٣٦٨٧ (٢) . وفي دار الكتب (١ : ٣٢١) « شرح الحزب الأكبر لابن عربي » للشيخ حجازي بن محمد .  
 . السنديوني المباسي الأحدي .  
 (١١) دار الكتب ١ : ٢٨٨ .

- ٧٢ - حزب الدور الأعلیٰ (١) .
- ٧٣ - حزب الفتح (٢) .
- ٧٤ - حکم (٣) .
- ٧٥ - حوض الحیاة (٤) .
- ٧٦ - خاتمة رسالة الرد علی اليهود (٥) .
- ٧٧ - خروج الشخص من بروج الخصوص (٦) .
- ٧٨ - خلق الأفلاك (٧) .
- ٧٩ - خلق العالم ومنشأ الخلیقة (٨) .
- ٨٠ - الخلوة (٩) .
- ٨١ - الدر المکنون فی العتد المنظوم (١٠) .
- ٨٢ - الدررة الناصمة من الجفر والجامعة (١١) .

- (١) دار الکتب ١ : ٢٨٨ .
- (٢) دار الکتب ١ : ٢٨٩ .
- (٣) الأوقاف بیفداد ٩٤٩١ (٩) ، دار الکتب ١ : ٢٩٠ ، الاسکندرية : تصوف ١٥ و ٤٢ ، برلین ٨٦٨٧ ، خزانة المزاولی بیفداد ، کامل النزی (سباط ٦٥٦) .
- مصطفیٰ طلس (سباط ٦٥٦) .
- (٤) خزانة یمتوب سركيس بیفداد ١٨٢ ، دار الکتب ١ : ٢٩٢ .
- (٥) للتحف المراقی ٥٩٧ (٥) وهي بخط المؤلف .
- (٦) للتحف المراقی ٥٩٧ (٢) وهي بخط المؤلف .
- (٧) هتود الجوهر ص ٣٣ .
- (٨) الأوقاف بیفداد ٢٠٠٣٨ .
- (٩) الظاهرية (حیب زبات ص ٥٠) ، الجمیة الآسیویة فی البنغال ٦٣٨ (٦) ، الأزهر ٥٦٤ : ٣ [الخلوة للطفة] ، برلین ٢٩١٦ - ٢٩١٧ ، للتحف البریطانی ٨٨٦ (٢٥) ، للکتب الهندی ٦٥٧ (٢) ، باتنا ١ : ١٢٨ و ٤٠٨ ، دار الکتب ١ : ٣٠٢ .
- (٤ نسخ) ، الاسکندرية : تصوف ٣٧ ، وفي جامع بکر افندی بالموصل (مخطوطات للموصل ص ٧٥ الرقم ٧٤ (١٥) ) کتاب «آداب السلوک فی الخلوة» فامله هو .
- (١٠) الأوقاف بیفداد ٩٦٧٩ (١) .
- (١١) کشف الظنول ٣ : ٢٠٠ .



- ٨٣ - الدرّة البيضاء في ذكر مقام العلم الأعلى (١) .  
 ٨٤ - الدرر (٢) .  
 ٨٥ - دعاء ليلة النصف من شعبان ، ودعاء آخر السنة ، ودعاء أول السنة ،  
 ودعاء يوم عاشوراء (٣) .  
 ٨٦ - دعاء يوم عرفة (٤) .  
 ٨٧ - الدواهي والنواهي (٥) .  
 ٨٨ - الدور الأعلى «والدر الأعلى» (٦) .  
 ٨٩ - ديوان (٧) .  
 ٩٠ - ديوان إشراق البهاء الأجدد على ترتيب حروف الأبيجد (٨) .  
 ٩١ - ديوان المرتجلات (٩) .

- (١) الأوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٢٤) .  
 (٢) الاسكندرية : تصوف ٣٣ .  
 (٣) جون ريندز ١٠٥ (٣) .  
 (٤) الجمعية الآسيوية في البنغال ٨٧٥ .  
 (٥) ذكر عرضاً في كشف الظنون ٣ : ٥٤٣ .  
 (٦) وورد أيضاً : الدر الأعلى . دار الكتب ١ : ٢٩٨ (٧ نسخ) ، قوله ١ : ٢٠٤ ،  
 برلين : ٢٩٧ - ٢٩٧٥ ، بطرسبرغ ٣٤٣ ، للتحف البريطاني ١٠٣ ، برمنكهام  
 ٦٧٩ و ٦٨٠ ، وفي دار الكتب ( ١ : ٢٣١ ) : «الطور الأعلى على الورد  
 المسمى بالمدور الأعلى لمحيي الدين ابن عربي» للشيخ محمد الفاوتجي الطرابلسي ،  
 طبع في دمشق سنة ١٣٠١ هـ . وقد مرّ بنا في الرقم ٧٢ «حزب الدور الأعلى»  
 وذلك ليس بهذا .  
 (٧) طبع على القاعدة الفارسية طبعة جميلة جداً في القاهرة سنة ١٢٧٠ هـ (٤٧٨ ص) .  
 وطبع على الحجر في بومبي ، بدون تاريخ ، في ٢٤٤ ص ، ومنه نسخ خطية  
 في : خزنة الامام الأعظم ببغداد . لندن ٧٠٠ ، جامعة ياييل بأميركا ٣٤ ،  
 دار الكتب ٣ : ١٠٩ ، الزامية ( بنزوت بتونس ) : تصوف ١٦ ، وفي خزنة  
 الأوقاف ببغداد ( رقم ٩٩٧٤ ) شرح للديوان . وفي الرقم ١٠٠٧٠ (٢)  
 أيضاً قطعة منه .  
 (٨) برلين ٧٧٤٧ ، دار الكتب ٣ : ١٠٩ .  
 (٩) برلين ٧٧٤٦ .

- ٩٢ - ردّ معاني الآيات المتشابهات الى معاني الآيات المحكمات (١) .
- ٩٣ - رسالة أرسلتها لأصحاب الشيخ عبد العزيز بن محمد المهدي (٢) .
- ٩٤ - رسالة الاستخارة (٣) .
- ٩٥ - الرسالة البرزخية (٤) .
- ٩٦ - رسالة تتضمن جواباً له الى بعض إخوانه (٥) .
- ٩٧ - رسالة التوحيد (٦) .
- ٩٨ - رسالة في آداب الشيخ والمرشد (٧) .
- ٩٩ - رسالة في الاحادية (٨) .
- ١٠٠ - رسالة في أحوال تقع لأهل الطريق (٩) .
- ١٠١ - رسالة في الاستعداد السكبي (١٠) .
- ١٠٢ - رسالة في اسمه تعالى الحبيب (١١) .
- ١٠٣ - رسالة في بعض أحوال النقباء (١٢) .

- (١) طبع بمطبعة الاستقامة - بيروت ١٣٢٨ هـ ، ص ٦٠ .
- (٢) في الأزهر (٣ : ٥٦٩) : « رسالة كتبها لابن عمه أبي الحسين هلي بن عبد الله ابن محمد بن عربي خاصةً والى أصحاب الملامه أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي للمهدي طامه ، فينة ١٩١٠ .
- (٣) عقود الجواهر ص ٣٣ .
- (٤) باتنا ٢ : ٤٨٩ .
- (٥) الاسكندرية : تصوف ٣٣ .
- (٦) قانع ٢٦٣٠ .
- (٧) الأزهر ٣ : ٥٦٨ .
- (٨) غوطا ٤ ، ٥ ، Krafft ; pers : مخطوطات المجمع الشرقي في فينة ٤٩٦ .
- (٩) دار الكتب ١ : ٣٠٣ .
- (١٠) الأوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٣٣) .
- (١١) الاسكندرية : تصوف ٣٤ .
- (١٢) عقود الجواهر ، ص ٣٣ .

- ١٠٤ - رسالة في بيان سلوك طريق الحق (١) .
- ١٠٥ - رسالة في بيان مقدار سنة السرمدين وتعيين الأيام الإلهية (٢) .
- ١٠٦ - رسالة في تحقيق وجوب الواجب لذاته (٣) .
- ١٠٧ - رسالة في ترتيب التصوف على قوله تعالى: الزائجون العابدون (٤) .  
الآية (٥) .
- ١٠٨ - رسالة في التصوف (٦) .
- ١٠٩ - رسالة في تصوير آدم على صورة الكمال (٧) .
- ١١٠ - رسالة في الجواب عن سؤال عبد اللطيف البغدادي (٨) .
- ١١١ - رسالة في الحشر الجسماني (٩) .
- ١١٢ - رسالة في الحكمة (١٠) .
- ١١٣ - رسالة في رجال الغيب (١١) .
- ١١٤ - رسالة في رقائق الروحانية (١٢) .
- ١١٥ - رسالة في سلسلة الخرقه (١٣) .

- (١) عقود الجواهر ص ٣٣ .
- (٢) عقود الجواهر ص ٣٣ .
- (٣) فنون ١٤٩ (٦) .
- (٤) سورة التوبة ١١٣ .
- (٥) عقود الجواهر ص ٣٣ .
- (٦) دار الكتب ١ : ٥٠٣ وفيها ذكر له ست رسائل مختلفة في التصوف . الاسكندرية :  
تصوف ١٧ .
- (٧) دار الكتب ١ : ٣٠٦ .
- (٨) عقود الجواهر ص ٣٣ .
- (٩) الأوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٨) .
- (١٠) المجلس للمي ( طهران ) ٦١٧ (٥) .
- (١١) عقود الجواهر ص ٣٣ .
- (١٢) عقود الجواهر ص ٣٣ .
- (١٣) الأزهر ٣ : ٥٦٨ .

- ١١٦ - رسالة في شرح مبتدأ الطوفان (١)
- ١١٧ - رسالة في طريق التوحيد (٢)
- ١١٨ - رسالة في علم الزايرة (٣)
- ١١٩ - رسالة في معرفة الله تعالى (٤)
- ١٢٠ - رسالة في معرفة النفس والروح (٥)
- ١٢١ - رسالة في نعم الأرواح (٦)
- ١٢٢ - الرسالة القبطية (٧)
- ١٢٣ - الرسالة القدسية (٨)
- ١٢٤ - رسالة القاب وتحقيق وجوهه المقابلة لحضرات الرب (٩)
- ١٢٥ - رسالة كتبها الى الامام نجر الدين الرازي (١٠)
- ١٢٦ - الرسالة المرعية (١١)

- (١) للتعرف المراقي ٥٩٧ (٥) وهي بخط المؤلف
- (٢) دار الكتب ١ : ٣٠٨
- (٣) جون ريلندز ٣٧١ ، يوسف للناديلي ( فهرس سباط ٦٦٥ ) ، عهد أمين الترمذي ( سباط ٦٦٥ ) ولعلها « سلم الارتقاء » في علم الزايرة ، للذكور في عقود الجوهري ٣٤
- (٤) باتنا ٢ : ٤٢٧
- (٥) نشرها للمستشرق اسين بلاسيوس ، بترجمة اسبانية ، في أعمال مؤتمر للمستشرقين الرابع عشر للتعرف في الجزائر سنة ١٩٠٥ « ٣ [ باريس ١٩٠٧ ] ص ١٥٦ - ١٩١ »
- (٦) للتعرف البريطاني ٨٨٦ (١٤) ، برلين ٢٩٤٠ ولعلها « كتاب الروح » للذكور في كشف الظنون ٥ : ٨٨
- (٧) كامل الفزي ( فهرس سباط ٦٦٠ ) ، مصطفى طلس ( سباط ٦٦٠ )
- (٨) كشف الظنون ٣ : ٤٢٧
- (٩) كشف الظنون ٣ : ٤٢٩
- (١٠) الظاهرية ( حبيب زيات ٤٩ ) ، الأزهر ٣ : ٥٦٩ ، عهد أمين الترمذي ( سباط ٦٢٢ ) ، تذكرة النوادر ٣٥٠ ، براون ص ٢٩٠
- (١١) كامل الفزي ( سباط ٦٦١ ) ، مصطفى طلس ( سباط ٦٦١ )



- ١٢٧ - الرسالة المهيمنية (١) .
- ١٢٨ - الرسالة الموقظة (٢) .
- ١٢٩ - رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأحوال (٣) .
- ١٣٠ - رشح المعين في كشف معنى النبوة (٤) .
- ١٣١ - الزهر الفائح في ستر العيوب والقبائح (٥) .
- ١٣٢ - سجنجل الأرواح ونقوش الألواح (٦) .
- ١٣٣ - سرّ المحبة (٧) .
- ١٣٤ - السرّ المكتوم (٨) .
- ١٣٥ - السؤال عن أفضل الذكر (٩) .
- ١٣٦ - الشجرة النعمانية والرموز الجفرية في الدولة العثمانية (١٠) .

( يتبع )

- (١) عقود الجواهر ص ٢٣ .
- (٢) دار الكتب ١ : ٣١٢ .
- (٣) عقود الجواهر ص ٣٣ .
- (٤) عقود الجواهر ص ٢٣ .
- (٥) الاسكندرية : تصوف ٢١ .
- (٦) كشف الظنون ٣ : ٥٨٢ .
- (٧) دار الكتب ١ : ٣١٦ .
- (٨) عقود الجواهر ص ٢٤ .
- (٩) الأوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٢٣) .
- (١٠) الاسكندرية : حروف ٥ ، مجل امين الترمذي ( فهرس سباط ٦٦٣ ) ،  
برصنكهام ٦٨٢ و ٦٨٣ . وفي خزانة الأوقاف ببغداد ( ١٠١٤٧ ) : « الدرّة  
الفاخرة على رمز الشجرة » لمحي الدين أبي المباس احمد بن علي بن محمد البوني  
القرشي المتوفى سنة ٦٢٢ هـ وفي الاسكندرية : حروف ٤ « زهور البساتن  
وشقائق النعمان فيما يحدث في دولة آل عثمان الى آخر الزمان » ، وهو شرح ،  
لم يذكر مؤلفه ، على رموز الشجرة النعمانية . وفيها ( حروف ٨ ) : « اللمعة  
النورانية في مشكلات الشجرة النعمانية في الدولة العثمانية » وهو شرح لصدر الدين  
القونوي المتوفى سنة ٦٧٣ هـ . وفيها أيضاً ( حروف ١٢ ) : « الدائرة الكبرى  
الجفرية » وهو شرح آخر لها ، لمصطفى افندي ابن سهراب .

# مقدمة المرزوقي

لشرح لحماسة أبي تمام

شرح هذه المقدمة وضبطها

— ٤ —

(ومتى اعترف اللفظ والمعنى فيما تصوّبُ به العقول فتعانقا وتلابسا متظاهرين في الاشتراك وتوافقا • فهناك يلتقي ثريا البلاغة فيمطرُ روضها • وينشر وشيها • ويتجلى البيان • فصيح اللسان • نجيح البرهان • وترى رائدي الفهم والطبع متباشرين لها من المسموع والمقول بالمرح الخصب والمكرع العذب) •  
تخلص المرزوقي في هذا الكلام الى مقام الحكم بين مذهب أهل الألفاظ ومذهب أهل المعاني فبين أنه لا يتم للكلام حسنه وبلاغته إلا باجتماع شرف لفظه وشرف معانيه •

واعتراف اللفظ والمعنى هو توافقهما وتآلفهما كالشخصين اللذين يعرف أحدهما الآخر وبألفه •

تصوّبُ تمطر والصوّب المطر ويقال صوب المزن أي ماء السحاب ، شبه العقول المختارة للألفاظ والمنظمة للمعاني بالأشعبية وشبه ما تأتي به من محاسن الألفاظ وشريف المعاني بالمطر وأثبت الصوب بالعقول على طريقة الاستعارة المكنية مع كونها استعارة تبعية وهذه الاستعارة مأخوذة من قول أبي تمام في وصف الشعر :  
ولكنه صوبُ العقول إذا انقضت سحاب منه أعقبت بسحاب  
وقد أتبع المؤلف استعارته هذه بتمثيل بناء عليها فشيء هيئة انهبال الصنائع البلطفة الرائقة من آثار أهل البلاغة ثراً ونظماً ، وتلقى السامعين إياها ،

— ٢٨١ —

وامتزاز أذواقهم لقبولها ، وإقبالهم على الاختيار منها ، على حسب الأذواق ، شبه ذلك بهيئة عروض السحاب في أغزر الأنواء إفاضة وهو نوء منزلة الثريا فتفرر معصراتها وتشتهر بين الأدباء كانتشار وشي الزرع في الرياض النضرة ، فتصبح الأدباء تفسر دقائقها للطلاب كما نبشر رواد المراعي رعاء الحي بالمسارح الخصب والمكارع العذبة فذكر هنا الهيئة المشبه بها ، وقد أشار الى الهيئة المشبهة بقوله فيما يأتي « ولتعرف مواطي أقدام المختارين فيما اختاروه وصرام أقلام المزيفين على ما زيفوه ويعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع وفضيلة الأبي السمع على الأبي الصعب » ، ولقد أجاد التمثيل ، فأصبح كلامه لقواعد الأدب خير تمثيل . وقوله « في الاشتراك » وقع في نسخة تونسية ونسخة الآستانة « الاشتراف » بقاء في آخره أي الارتفاع وهي أحسن لأن الاشتراك يعني عن قوله متظاهرين إذ هو بمعنى متعاونين فيكون شبه الرفعة المعنوية برفعة السحاب إذا أخذ بتصاعد وينضم بعضه الى بعض ووقع في النسخة التونسية الأخرى الاشتراق بقاف في آخره ولا يستقيم .

وقوله تلقتي ثريا البلاغة في بعض النسخ يلتقي بيا الغائب وفي بعضها تلقتي بيا الغائبة . وصيغة الالتقاء تقتضي ملاقة شيئين وليس في عبارة المؤلف سوى الثريا ، فالظاهر أن صواب العبارة يلتقي بالثناة التحتية المنفوحة وفتح القاف والضهير عائد الى ما تصوب به العقول ، والمعنى فهناك يقع ذلك الصوب في منزلة الثريا فيلقاها فيفزر مطره ، ويجوز أن يكون الالتقاء بمعنى التلقي مبالغة . والثريا من الأنواء الوسمية أي الربيعية أي التي يكثر الأمطار في زمان طلوعها في بلاد العرب والمطر الربيعي يضرب المثل بشدته قال النابغة :

وكانت لهم ربيعة يحذرونها إذا خضخت ماء السناك القبائل<sup>(١)</sup>

( فإذا كان النثر بما له من تقاسيم اللفظ والمعنى ، والنظم اتسم نطاق الاختيار

(١) القبائل قبائل الحيل جمع قبيلة وهي من أوبين من الحيل الى ستين .

فيه على ما بيناه بحسب اتساع جوانبها وموادها وتكاثر أسبابها وموانعها ، وكان الشعر قد ساراه في جميع ذلك وشاركه ثم تفرد عنه وتميز بأن كان حدّه لفظ موزون مقفى بدل على معنى . فازدادت صفاته التي أحاط الحد بها بما انضم من الوزن والتنقية إليها - ازدادت الكلف في شرائط الاختيار فيه كان للوزن والتنقية أحكاماً تماثل ما كانت للمعنى واللفظ والتأليف أو تقارب . وهما يقتضيان من مراعاة الشاعر والمتقيد مثل ما تقتضيه تلك من مراعاة الكاتب والمتصفح لئلا يختل لها أصل من أصولها أو يمتل فرع من فروعها ) .

في نسختي تونس ونسخة الآستانة « واذا » بالواو الموات الوسائل جمع مائة وهي الوسيلة الى الشيء لأنها تمت اليه أي تمت وتوصل يقال مت بقرابة أي اتصل وتوصل . ومعنى كلام المؤلف ظاهر .

( واذا كان الأمر على هذا فالواجب أن يتبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب ليتميز تليد الصنعة من الطريف ، وقديم نظام القريض من الحديث ، ولتعرف مواطي أقدام المختارين فيما اختاروه ومرامم أقلام المزيّفين على ما زيفوه ، ويعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع ) .

تخلص هنا الى تخصيص بحثه بالشعر وهو المقصود من هذه المقدمة ولذلك سيقول فيما يأتي « فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر » وقد نهبنا آنفاً على أن هذه الفقرات تشير الى الهيئة المشبهة بهيئة السحاب والمطر في قوله آنفاً « فهناك باقى ثريا البلاغة فيمطر روضها الخ . . » .

والمصنوع هو الشعر الذي أدخل فيه ما يسمى عند أهل الفن بالصنعة وهي التهذيب والتنقيح للشعر وإبداع المحاسن البدعية واللطائف اللفظية فكان علم أصحابه مكتسباً بالصنعة أي أن يعمدوا الى القواعد والنكت وصور الأمثلة التي تلقوها بالعلم فيراعوها في منشئاتهم بالتروي والتثقيف فيكون شعرهم كالشيء المصنوع باليد وقد يقع بعض ذلك عفواً بدون عمد ولا تكلف وهو الغالب



من شعر المولدين قال ابن رشيقي<sup>(١)</sup>: «أشهر الشعراء في المصنوع ابن المعتز» .  
 والمطبوع هو الشعر الذي يصدر عن الشاعر بالسجية والطبيعة الناشئة عن  
 تدربه بسماع أشعار البلغاء واندفاع طبيعته لمحاكاة أشعارهم حتى يصير الشعر  
 البليغ له كالطبع فلا يصرف فيه تسمى روية ولا معاودة تنقيح وثقيف .  
 (وفضيلة الأبي السمع على الأبي الصب) .

تقدم بيان معنى الأبي والأبي في تفسير أول الديباجة ووصفها هنالك  
 بالمستسهل والمستنكر ووصفها هنا بالسمع والصب . والسمع صفة من السباحة  
 وهي لين الأخلق وحسن المعاملة ، والصب صفة من الصعوبة وهي الشدة في  
 الخلق (فتقول وبالله التوفيق) :

(انهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته) .

ضمير انهم عائداً الى الشعراء أو الى أهل نقد الشعر ، والمحاولة ابتغاء الشيء  
 ورومه . والشرف حصول صفات الكمال النوعي ، فشرف المعنى أن يكون  
 من أحسن المعاني المستفادة من الكلام بأن يتلقى فهم السامع المعنى مستغنياً به  
 في استفادة الغرض الذي يفاد به ، وقد وصف المؤلف المعنى هنا بالشرف والصحة  
 ووصفه فيما تقدم بالمعجبة الجزلة العذبة الحكيمة الزاهرة الفاخرة ، وطريقة صوغ  
 المعنى الشريفة هي أن يلاحظ البليغ ما يجيش في نفسه مما يريد إبلاغه الى نفس  
 السامع فينشئه في نفسه وبكيفية بأحسن صورة يرى أنها تقع لدى السامعين  
 موقفاً حسناً يفي بمراد الشاعر ويليق بالغرض الشعري ، متكللاً في تحصيل تلك  
 الكيفية على فطنته ودربته المتولدة في ذوقه بما ورد على ذهنه من بحار البلغاء  
 والحكام والعلماء فأكسب ذوقه صوراً غير جزئية يقبس عليها أمثالها إذا أراد  
 التعبير ، بابتكار مماثلات لها جديدة أو بصرف فيها يغيرها عن حالتها السابقة  
 تصرفاً كثيراً أو قليلاً ويندفع إليها ذهنه صريماً . ومن أكبر أسباب شرف

(١) صفحہ ٨٥ من المدة طبع مطبعة امين هندية بمصر .

المعنى أن يكون مبتكراً غير مسبوق ثم ان يكون بعضه مبتكراً وبعضه مسبوفاً  
وبقدر زيادة الابتكار فيه على المسبوقية يدنو من الشرف ، ولأبي تمام وأبي الطيب  
ابتكارات كثيرة ويقرب منها أبو نواس ثم ابن الرومي .  
فاذا أنشأ ذوق البليغ معنى ، لاحظ له منه محاسن المعنى ونقائصه ومعائبه  
فاحتفظ بالمحاسن وأكمله عن النقائص ومحا عنه المعائب ، فاذا تقوم فيه ما من  
شأنه أن يفتي بأمله من إرضاء السامعين من أهل الصناعة وامتلاك استحسانهم فرواه  
محوكاً على منوال ما يحوك على مثله البلاء فيما انتهت إليه مزاويلته ودرسته ، وثق  
بأنه معنى شريف .

فعلّم أن شروط شرف المعاني تختلف باختلاف محالها من أغراض الكلام  
من إثارة حماس أو استعطاف وإبساس أو غزل أو نسيب أو فخر أو ذب عن  
شرف أو نحو ذلك . قال ابن الأثير في المثل السائر « إن الكاتب أو الشاعر  
ينظر الى الحال الحاضرة ثم يستنبط لها ما يناسبها من الغائب اهـ » .  
وهذا عمل محتاج الى صفاء قريحة وكرم سجية وطول دربة وحسن اقتداء  
وتمييز بين المقبول والرفوض وقد ذكر ابن الأثير في المثل السائر<sup>(١)</sup> من المعنى  
الشريف قول أبي الطيب :

تلذ له الروة وهي تؤذي ومن يمشق يلد له الغرام  
لولا لفظة تؤذي فيه فانها تؤذي . ولا يتوهم من كلام ابن الأثير ولا من  
مادة شريف أن شرط المعنى كونه من الفضائل أو المعاني الحميدة فإنه لو كان  
ذلك مرادهم لذهب معظم النسيب والهجاء ولذهب ما كان من الشعر كذباً ،  
بل مرادهم ما أنصح عنه قدامة في نقد الشعر<sup>(٢)</sup> إذ يقول : « إن مناقضة الشاعر  
نفسه في قصيدتين أو كلمتين بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً ثم يذمه بعد ذلك ذماً

(١) صفحة ٨٨ .

(٢) صفحة ٤ ، ٥ .

حسناً ، غير منكرٍ عليه ولا معيبٍ من فعله ذلك بل يدل على قوة الشاعر  
واقتراره على صناعته وإنما قدمت هذا لما وجدتُ قوماً يعيون قول امرئ القيس :

فمثلك حبلي قد طرقت ومرضع فألهمتُها عن ذي تمامٍ محول  
إذا ما بكى من خلفها التفتت له بشق وتحتي شقها لم يحول

وليس فحاشة المني في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه اهـ .

وأما صحة المعنى في كلام المؤلف فهي في الدرجة الأولى للصعود في مصاعد  
الشرف أي أن لا يكون في المعنى اضطراب أو سوء ترتيب أو انتقاض بعضه  
بعض فيصير الإنشاء أو الترسل أجوف ، قال ابن رشيق : « وفرقة من الشعراء  
أصحاب جلبة وقمة بلا طائل معنى إلا قليلاً كأبي القاسم ابن هاني في قوله  
أول مذهبه :

أقامت فقالت وقع أجرد شبيظ وشامت فقالت لمع أبيض مخدّم  
وما ذُعرت إلا لجرس حلبيها ولا رمقت إلا يُرَى في مُخدّم.

فليس تحت هذين البيتين إلا ان هذه المنسب بها لبست حلبيها فتوهمته بعد الإحاحة  
وقع فرس أو لمع سيف اهـ .

علي ان في قوله شامت خطأً لأن الشيم هو النظر الى البرق ليعلم أين يذهب  
ويتوسم أين يمطر .

واعلم ان ضد المعنى الشريف المعنى السخيف لقلة جدواه أو لدلالته على تعلق  
تفكير صاحبه بصور ضعيفة كما خطب والي باليامة في موعظة فقال : « إن الله  
لا يقار عباده علي المعاصي وقد أهلك أمة عظيمة في نافة ما كانت تساوي  
مائتي درهم » فلقبوه مقوم النافة . ومن المعاني السخيفة قول نصيب :

أهم بدعد ما حيت فإن أمت فياليت شعري من بهم بها بعدي

وقد عابته سكينه ابنة الحسين . وضد المعنى الصحيح المعنى الخاطي والمختل كما  
قال شعور فيما أنشده الراغب الاصفهاني :

أزَيِّدَةُ ابْنَةُ جَعْفَرٍ طَوَّابِي لَزَائِرِكِ الْمَثَابِ  
تُعْطِينَ مِنْ رَجْلِيكَ مَا تُعْطِي الْأَكْفُ مِنَ الرِّغَابِ

فانه أنشده بحضورها فقام اليه الخدم ليضربوه لقوله تعطين من رجلك فمنتهم  
وقالت إنه قصد مدحا وأراد ما يقول الناس : شما لك أجود من يمينه فظن انه  
اذا ذكر الرجل كان أبلغ وقد حمدنا ما نواه . وإن أساء فيها أتاه .  
ومن عجيب ما عرض للشعراء من تخفيف المعنى ما عرض لأبي العتاهية من قوله  
في رثاء الخليفة :

مَاتَ الْخَلِيفَةُ أَيُّهَا الثَّقَلَانُ فَكَأَنِّي أَفْطَرْتُ فِي رَمْضَانَ

فان المصراع الثاني من تخفيف المعنى وان بينه وبين المصراع الأول بونا بعيداً .  
وقد نظرت في مجموع شرف المعنى وصحته وكيف يكتبه البليغ فرأيت أن  
يقندي مرید الإجابة بالذين شهد لهم البلاء بالإجابة في غرض من أغراض  
المعاني فينسج على منواله : فاذا رام إثارة حماس جمع في ذهنه ما بلائم حالة  
الانصراخ ، واستبطاء التصير . وتخيّل المستنجد هضم الجانب ذا جناح  
كسير . فاجتهد أن يكتب من المعاني التي من شأنها إثارة حمية المخاطب  
واقتراره وعلى هذا المنوال ينسج . ومن صور صحة المعنى أن يكون مطابقاً  
للاواقع كما قال حسان :

وَإِنْ أَحْسَنَ بَيْتٌ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا

ولكن ذلك ليس بشرط على الاطلاق وخاصة في الشعر فان الشعر بينى على  
المغالطة والخيال وهذا الشأن يختلف باختلاف الأغراض والمقامات فلكل غرض  
من أغراض الكلام ما يناسبه من صحة المعنى في بابه ، وللشعر مناسبات ليست  
للشعر وبالعكس وسيأتي للمؤلف ذكر الخلاف في أن أحسن الشعر أصدق  
أو أكذب أو أفصره .

محمد الطاهر ابن عاشور

(تونس)



« يتبع »



# رسالة حي بن يقظان

مع سرورها لابن سينا

- ٤ -

( ويتلوها مملكة كبيرة متنازحة <sup>(١)</sup> الأقطار ، كثيرة الممار ، بقعة <sup>(٢)</sup> لا يتمنون ، إنما قرارهم قاع ، نصف ، مفصول باثني عشر حداً ، فيها ثمانية وعشرون محبطاً <sup>(٣)</sup> لا تعرج طبقة منهم إلى محط طبقة إلا اذا خلا من أماسها عن دورهم فسارعت إلى خلفها وإن أمم الممالك التي قبلها ليسافر إليها وتتردد فيها <sup>(٤)</sup> .

أشار بهذا الفصل إلى الكواكب الثابتة .

وأشار بقوله متنازحة الأقطار إلى عظم مقدار بعده عن الأرض وعظم مقدار دور سطحه ، إذ كان بعده من الأرض أعني بعد سطحه الأدنى خمسة وستين ألف ألف وثلاثمائة ألف وسبعة وخمسين ألف وخمسة مائة ميل ، فيكون قطره مائة ألف ألف وثلاثين ألف ألف وسبعمائة ألف وخمسة عشر ألف ميل ، فأما بعد سطحه الأعلى فلا سبيل إلى معرفته ، وإذا كان مقداره أعني مقدار دور سطحه الأدنى أربعمائة ألف وعشرة ألف ألف وثمانية مائة ألف [ ورقة ١٠٠ ألف ] وثمانية عشر ألفاً وخمسمائة وسبعين ميلاً . فاذا ضرب ذلك في قطره المذكور حصل مساحة بسيط السطح الأدنى منه ، فأما مقدار دور سطحه الأعلى فلا سبيل إلى معرفته أيضاً بعله فمن تذكرها فيما بعد .

وأراد بقوله كثيرة الممار إلى الكواكب الثابتة التي لا يعرف عددها ،

(٣) م، و، ص : محطاً .

(٢) ب : بداه .

(١) أيضاً : منتزحة .

(٤) ب : تزود منها .

ولا تصل قوة البشر الى تحصيلها في جملة إلا ان الذي أمكن قياسه وعرف منها عدده ألف واثنان وعشرون كوكباً .

وقوله بقية<sup>(١)</sup> لا يتمدون أي ان بقعتهم لا تنقسم الى مدن أي هي أجزاء يختص كل جزء منها بحركة ، وتحقيق ذلك أن حركاتها كلها حركة واحدة ، عرف ذلك من أنها لا يقرب بعضها من بعض ولا يبعد بعضها عن بعض بل هي محفوظة الأبعاد كأنها كلها مركوزة في جسم واحد يتحرك هو ، فتحركها بحركته تلك .

إنما قرارها قاع صفصف أي فضاء واحد مستوي غير منقسم الى بقاع مختلفة ، مفصول باثني عشر حدًا ، أشار به الى منطقة هذا الفلك التي تسمى فلك البروج ، وقد قسموه في التوهم على اثني عشر قسمًا ممي كل قسم منها بامم وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والمغرب والقوس والجدى والدلو والحوت وجعلها محطًا إذ كان مقدار سير كل صائر من الكواكب الناجية والمتحيرة مقيسًا الى فلك البروج .

الى محط طبقة الأ إذا خلا من أمامها عن دورهم فسارعت الى خلافها على ما ذكرته فيما تقدم من حفظ أبعاد ما بينها فلا يلحق واحد منها محطًا حتى يجتمع معه في محط بل لا يجمل واحد منهم محطًا إلا إذا سار عنه الذي تقدمه ، فيجمله هذا الثاني ، وقد انتقل عنه الأول .

ثم قال « وان أمم الممالك التي ٠٠٠٠ وتتردد فيها » أشار الى مسير الكواكب المتحيرة المذكورة فيما تقدم في فلك البروج ومسير<sup>(٢)</sup> كل واحد منها من برج الى برج . وأشار بقوله تتردد فيها الى حركاتها [ ورقة ١٠٠ ب ] المستديرة التي تبثدي من موضع وتنتهي اليه بعينه . فكان الكواكب بدوراتها فيها وانتقالاتها بأعيانها مترددة فيها .

(٢) ايضاً: مصير .

(١) ايضاً: بداه .

( ويليها ملكة لم يدرك أفقها الى هذا الزمان ، لامدن فيها ولا كور ، ولا بأوي اليها من يدركه البصر ، وعمارها الروحانيون من الملائكة لا ينزلها البشر ، ومنها ينزل على من <sup>(١)</sup> يليها الأمر والقدر ولبس وراءها من الأرض معمر <sup>(٢)</sup> .

التفسير : أشار بهذا الفصل الى الفلك التاسع المسمى الفلك المستقيم .  
« وقوله : « لم يدرك ٠٠٠٠ الزمان » أي لم يعرف مقدار جرم هذا الفلك لأنه لا يوجد سبيل الى معرفة ذلك كما يوجد السبيل الى معرفة مقادير سماير الأجرام والكواكب ، وذلك لخلوه عن الكوكب الذي عرف مقداره إلا ان الأولى والأخرى أن تزيد مقداره على ما ضمن من مقدار الفلك الثامن بأضعاف مضاعفة ، وذلك لعظم قوته الوافية بتحريك جميع ما دونه على سبيل القمر الحركة البالغة في السرعة التي بلغت <sup>(٣)</sup> من غابة سرعتها واستوائها واتصالها الى <sup>(٤)</sup> أن جعل الزمان متعلقاً بها دون غيرها من الحركات .  
وقال : لامدن فيها ولا كور أي لا ينقسم الى أجزاء يجري منها مجرى المدن كما كان ذلك في أفلاك المتحيرات .

قال : ولا يكون فيها من يدركه البصر أي لا كوكب فيها يجري منها مجرى العمار والآوين الى المساكن .  
ثم قال وعمارها الروحانيون من الملائكة أي لا ينسب الى الخلول بها ، والعمارة لها إلا النفوس الروحانية المسماة عند الجمهور بالملائكة .  
لا ينزلها البشر أي لبس فيها كوكب جسماني يصح أن يوصف بوجه من الوجوه أنه بشر لانتهاء جسميته الى سطحه المحيط به [ ورقة ١٠١ الف ] الذي يجري منه مجرى البشرية من الحيوان لانتهاء جسمه اليه .  
قال ومنها ينزل على ما يليها الأمر والقدر أي ان أمر الله تعالى هو الأمر

(١) ب : ما . (٢) مهوس : مهور . (٣) ب : بلغ .

(٤) غير موجود في ب .

المطلق وقدره الذي هو موجب القضاء والحتم يتنزل على سائر الموجودات بتوسط هذا الفلك ونفسه وعقله <sup>(١)</sup> على ما عرف ذلك من موضعه . ثم قال : وليس وراءها من الأرض معمر وأشار به الى تناهي الأجسام عنده ودلّ به على أن لا خلاء ولا ملاء يلي هذا الفلك بل عنده منقطع الأجسام ، وسطحه ينتهي الى لا شيء <sup>(٢)</sup> ، وقد علم في الحكمة الإلهية والطبيعية أنه لا يجب أن ينتهي الجسم الى جسم آخر فلا يجب أن يستنكر ان هذا الفلك ينتهي الى سطحه الأعلى وليس يلي ذلك شيء من الأشياء لا خلاء ولا ملاء على أنه قد برهن على أنه لا يجوز أن يكون جسم غير متناه بالفعل ببراهين حقيقية .

(فهذان الأفليان بهما <sup>(٣)</sup> يتصل الأرضون والسموات ذات اليسار من العالم التي هي المغرب) .

كان قد قسم الحد ذات يسار العالم التي جعلها المغرب الى اقليمين أي الأرضيات والسماويات ، وفصل أقسام كل واحد منها على ما مر ذكره ، فأجل هاهنا ذلك وأعاد ذكره على صييل إعادة ذكر النتيجة .

(فاذا توجهت منها تاقاء المشرق رفع لك اقليم لا يعمره بشر ، بل ولا نعيم ولا شجر ولا حجر ، إنما هو برّ رحب ونيّ غمر ، ورياح محبوسة ، وناز مشبوبة) .

التفسير : قوله اذا توجهت . . . المشرق أي عدت الى النظر في الصورة .

رفع لك اقليم . . . ولا حجر أي يظهر لك ان أول الصور الملائسة للهيولى ليس بصورة الحيوان ولا النبات ولا المعادن بل تجرد أول الصور أعني الصور الجسمانية صور الاسطوانات الأربع <sup>(٤)</sup> التي عبر عنها ، ودلّ عليها بقوله إنما هو بر رحب [ ورقة ١٠١ ب ] أي صورة الأرض . ونيّ غمر أي صورة الماء ، ورياح محبوسة أي صورة الهواء ، وناز مشبوبة أي صورة النار ، ولما سمى الهواء

(١) وفي ب زيادة بالهامش: وبسلوكه أولاً في هذا «مخطوط: هذه» الفلك وفي نفسه وعقله.

(٢) م و س : بها .

(٣) ب : لا الى شيء .

(٤) ب : الأربعة .



رياحاً جعلها محبوسة أي غير متحركة أي كان الحكاء يقولون إن الهواء راكد والريح هواء متحرك .

( وتجاوزته الى إقليم يتلقتاك<sup>(١)</sup> فيه جبال راسية ، وأنهار جارئة<sup>(٢)</sup> ورياح مرسله ، وغيوم هائلة ، وتجد فيها العقيان واللجين والجواهر الثمينة والوضيمة أجناسها وأنواعها إلا أنه لا ثابت فيه ) .

أشار بقوله : جبال راسية الى صور المعادن التي أولها صورة الجبال ، وأنهار جارئة أراد به صورة العميون ، والأنهار المنبثقة عنها .

ورياح مرسله : أراد به الهواء المتحرك المتولد عن الأبخرة البخارية والأبخرة الدخانية ، وغيوم هائلة : أراد بها السحاب الحادث المتولد عن البخار الرطب ، وأصناف الغيوث التي تهطل بها من المطر والثلج والبرد .

وتجد فيها العقيان ، واللجين هو الفضة ، واقتصر عليها وإن كانت كثيرة مثل النحاس والرصاص وغير ذلك مما عداً وشرح أمره في كتاب المعادن .

والجواهر الثمينة والوضيمة أراد بها غير المنطوقة وغير الدائبة كالياقوت والفيروزج والذهنج وغير ذلك . وقوله إلا أنه لا ثابت فيه أي صور المعادن مباينة لصور النبات مفردة عنها .

( ويؤديك عبوره الى إقليم مشحون بما خلا ذكره الى ما فيه من أصناف النبات ، نجمة وشجرة ثمرة محببة<sup>(٣)</sup> ومبرزة لا تجد فيه من يُضيء ويضفر من الحيوانات ) .

[ ورقة ١٠٢ الف ] قال المفسر : أشار بهذا الفصل الى صورة النبات ، فان النبات له وفي تركيبه ومزاجه صورة<sup>(٤)</sup> المعادن وزيادة الصورة النباتية التي تجري منها مجرى الفصل المميز بما هو نبات عام ، ثم ينقسم الى أنواعه التي

(١) مهوس : تلتقاءك . (٢) موجود في ب فقط .

(٣) مهوس : محببة . أحب وجبب الزرع : صار ذا حب .

(٤) مهوس : صور .

دلّ عليها بقوله نجمة وشجرة مثمرة وغير مثمرة ، محببة ومبرزة . وقد أشير في كتب النبات الى هذه الأنواع وذكر خواصها ، والأحوال التي يمرض لها من الاثمار وغير الاثمار والتحييب وغير التحييب ، والتبريز وغير التبريز ، ودوام الاوراق شتاءً وصيفاً وانتثار الاوراق عنها شتاءً .

قوله ولا تجد فيها من يضيء ويضفر من الحيوان أي إن صور النبات في النبات متباينة لصور الحيوان مفردة عنها .

( ويتعداه الى اقليم يجمع <sup>(١)</sup> لك ما سلف ذكره الى أنواع الحيوانات العجم صاحبها وزاحفها ودارجها ومدوّمها ومتولدها ومتوالدهاتها <sup>(٢)</sup> إلا أنه لا أنيس فيه . وتخلص عنه الى عالمكم هذا وقد دلّتم على ما يشمله عياناً وسماعاً ) .

التفسير : أشار بهذا الفصل الى صور الحيوان غير الناطق <sup>(٣)</sup> الذي دل عليه بقوله « العجم » فإن له وفي تركيبه ومزاجه صور المعادن وصور النبات وزيادة الصورة الحيوانية التي تجري منها مجرى النصل المميز بما هو حيوان عام ، ثم ينقسم الى أنواعه التي دل عليها بقوله « صاحبها وزاحفها . . . . . ومتولدها ومتوالدها » وقد أشير في كتب الحيوان الى هذه الأنواع وذكر خواصها ، والأحوال التي يمرض لها من تلك الجهات المذكورة .

وقوله إلا أنه لا أنيس فيه أي إن أصناف هذه الحيوانات واقعة بحسب جنس هو الحي غير الناطق <sup>(٤)</sup> ، فأما الحيوان الناطق فإنه يشير اليه بقوله وتخلص عنه الى عالمكم هذا أي صورة الانسان ، وقد دلّتم [ ورقة ١٠٢ ب ] على ما يشمله عياناً وسماعاً أي قد عرفتم هذا النوع ، وعرفتم خواصه والأحوال العارضة له من حيث هو هذا النوع .

( فاذا قطعت سمت المشرق وجدت الشمس تطلع بين قرنين للشيطان <sup>(٥)</sup> ،

(١) م و ص : يجمع . (٢) ايضاً : ومدوّمها ومتولدهاتها الخ .  
(٣) ب : الغير ناطق . (٤) ايضاً : الغير ناطق .  
(٥) م و ص : قرني الشيطان ، ك : قرني شيطان .

فإن للشيطان قرنين قرن يطير وقرن يسير ، والأمة السيارة منها قبيلتان ،  
 قبيلة في خلق السباع وقبيلة في خلق البهائم ، وبينهما شجار قائم دائم <sup>(١)</sup> ، وهما  
 جميعاً ذات اليسار من المشرق ، وأما الشياطين التي تطير فإن نواحيها ذات اليمين  
 من المشرق ، لا تنحصر في جنس من الخلق بل يكاد يختص كل شخص منها  
 بصيغة نادره ، فمنها خلق <sup>(٢)</sup> ليمت من خلقين أو ثلاث أو أربع <sup>(٣)</sup> كإنسان  
 يطير وأفعوان له رأس خنزير ، ومنها خلق هي خداج من خلق مثل شخص  
 هو نصف إنسان وشخص هو فرد رجل إنسان وشخص هو كف إنسان أو غير  
 ذلك من الحيوان ، ولا يبعد أن يكون التماثل المختلطة التي يرقها المصورون  
 منقولة من ذلك الإقليم .

قال المفسر : قوله فاذا قطعت . . . المشرق أي إذا نظرت من هذا الإقليم  
 في صورته وملت في اعتباره أمره إلى هذا الجزء منه وجدت الشمس تطلع  
 من بين قرنين للشيطان ، أي وجدت الصورة الانسانية التي هي العقل الانساني  
 هي طالمة مجردة من المادة بقوام ذاتها قائمة بنفسها سالحة لذلك البقاء بعد فساد  
 البدن ، فانه دل على هذا المعنى بقوله « تطلع » كما دل بالأقول في موضع  
 آخر على الانفاس في المادة والانطباع <sup>(٤)</sup> بها ، بل فسر بذلك قوله تبارك وتعالى  
 حكاية عن ابراهيم صلواته وسلامه عليه [ ١٠٣ الف ] « فلما أفل قال لأحب  
 الأفلين » ( سورة : ٧١ ، آية : ٧٦ ) . وقال فان الهوى في حظيرة المكان  
 أفل ما ، وذكر انها على هذه الصفة من بين سائر القوى التي جعلها قوتين  
 أي صنفين من القوى ، وجعل القرنين جميعاً من الشياطين لبعدها <sup>(٥)</sup> عما وصف  
 به العقل الانساني من التجريد والبقاء ، والشيطان هو البعد .

(١) م و ص : دائم وقائم .

(٢) ايضاً : فمنها خلق لس في خلقين او ثلاثة او اربعة .

(٣) م و ص : الاطباع بها . ك : الانطباع بها .

(٤) م و ص : من الشيطان لبعده . ك : من الشياطين لبعدها .

وفسر القرنين بقوله «فرن يطير وقرن يسير» ، وأراد بالقرن الذي يطير القوى المدركة من الإنسان ، وأراد بالقرن الذي يسير القوى المحركة منه وشبه الإدراك بالطيران وشبه التحريك بالسير لشدة حركة الطيران والوصول بها الى الأشياء النائية<sup>(١)</sup> ولبطء حركة السير والوصول بها الى الأشياء القريبة . ثم قسّم السيارة الى قسمين سماهما<sup>(٢)</sup> قياتين - قبيلة في خلق السباع ، أراد به<sup>(٣)</sup> القوة الفضية وقبيلة في خلق البهائم ، أراد به القوة الشهوانية . وبينها شجار قائم أشار به الى التجاذب الذي بينها ، والتانع الذي لكل واحد منهما مع الآخر وغلبة كل واحد منها حال قوته < على > الآخر حال ضعفه ، وجعل محل صنفى هذا القرن السيار ذات اليسار من المشرق دلالة على خسة مرتبتها وقصورها عن مرتبة القرن الآخر الطائر الذي يجعل محله ذات اليمين بقوله : «وأما الشياطين التي تطير ، فان نواحيها ذات اليمين من المشرق ، وأراد بها القوة التخيلية من الانسان . وذكر أنها لا تنحصر في جنس من الخلق ، وأراد به ما يختص به هذه القوة وما جبلت عليه [ هذه القوة ] من المحاكاة والتركيب والتفصيل ، فان صوسها محاكاة ، كلما أدركته النفس بشيء شبيهته به ، وأيضاً تركيب الصور التي تدر كها مفردة ، وتفصيل الصور التي يدر كها مجموعة . قال بل بكاد يختص منها بصيغة نادرة أي إن كل شيء مدرك فانها تحاكيه بحكاية نادرة ويتصرف فيه على نوع من أنواع التركيبات والتفصيلات ، وعلى ذلك دلّ بقوله فمنها خلق ليمت من خلقتين أو ثلاث أو أربع وأراد به عمل التركيب .

ومنها [ ١٠٣ ب ] خلق هي خداج من خلق وأراد به عمل التفصيل ، ولا يبعد أن يكون التماثيل التي يرقمها المصورون منقولةً من ذلك الاقليم ، لولا هذه

(٢) ب و ك : سماها .

(١) م و ص : البيدة .

(٣) م و ص و ك : بها .



القوة المحاكية المركبة المفصلة لما أمكن المصورون أن يصوروا ما يصورونه من الصور النادرة العجيبة التي لا وجود لها في العالم بل لما وضعت من الخرافات والآله كاذب والأحاديث المختلفة المنفعله .

( والذي يقاب على أمر هذا الاقليم قد رتب سككا خمساً للبريد جعلها مسالخ لمملكته فهناك يختطف من يستهوي من سكان هذا العالم ويستثبت الأخبار المنتهية منه ويسلم من يستهوي الى (١) قيم على الخمسة مرصد بباب الاقليم ومعهم الأبناء في كتاب مطوي مختوم لا يطلع عليه القيم إنما له وعليه أن يوصل جميعه الى خازن يعرضه على الملك . وأما الأمرى فيكفلم (٢) هذا الخازن ، وأما آلاتها فيستحفظها (٣) خازن آخر (٤) . وكما استأمر وامن عالمكم أصنافاً من الناس والحيوان وغيره يتناسلوا على صورهم مزاجاً منها أو اخرجاً إياها) . والذي يقاب على أمر هذا الاقليم أراد به النفس الانساني الذي هو أصل ومفيض لسائر القوى البدنية - ومرتب إياها في مراتبها الخاصة بها . قدرتب سككا خمساً للبريد ، أراد به الحواس الخمس الظاهرة من السمع والبصر والشم والذوق واللمس التي جعلت في البدن كأصحاب الأخبار في المملكة . قال وجعلها أيضاً مسالخ لمملكته أي جعلها كمواضع الأسلحة ، وأصحاب الأسلحة يستهون سكان هذا العالم أي يصيدون صورها ويستثبتونها في ديوانها ويحردونها عن موادها ضرباً من التجريد (٥) . قال فهناك يختطف من يستهوي ويستثبت الأخبار المنتهية منه أي يعمل بالأشياء الواردة على الحس عملين - أحدهما الفتك بتلك الصور [ورقة ١٠٤ الف] الجسمانية على ما هي عليه بعد تصيدها (٦) وهو الذي عبّر عنه بقوله يختطف ، والثاني معرفة ما يقترن بها من المعاني غير

- (١) ب : من قيم . (٢) م و ص : فيسكنهم .  
 (٣) ب : فيستحفظه . (٤) م و ص : خازناً آخر .  
 (٥) غير موجود في م و ص . وموضع « من التجريد » خالٍ في ب .  
 (٦) ك : تصورهما وبالهامش ، بصيدها .

المحسوسة<sup>(١)</sup> ، واستثباتها وهو الذي دلّ عليه بقوله ويستثبت الأخبار المنتهية منه ..... عليه القيم ، أراد بالقيم الذي يسلم اليه المستهوي الحس المشترك ، فذكر انه يسلم اليه المستهون ومعهم الأنباء أي بحسه كما هو من غير أن يطلع على مامعهم من الأنباء أي المعاني المقترنة بها غير المحسوسة<sup>(٢)</sup> .

إنما له وعليه ... الملك ، أراد بالخازن القوة الحافظة .

فأما الأسرى فيكفهم هذا الخازن أي ان الصور المحسوسة يتكفل بها هذه القوى الحافظة وهي التي تسمى القوة الخيالية . وأما آلياتها فيستحفظها<sup>(٣)</sup> خازن آخر أي ان المعاني المقترنة بالصور يسلم الى خازن آخر أي القوة الوهمية أولاً ثم الذاكرة .

وأراد بقوله وكما استأمرنا الى آخر الفصل ما أشرنا اليه قبل من المحاكاة والتركيب والتفصيل .

(ومن هذين القرنين من يسافر الى اقليم هذا فيغشى الناس في الأتقاس حتى تخلص الى السويداء من القلوب) .

أشار بذلك الى القوى الغضبية والشهوانية ، فانها تتأدى قوة كل واحدة منها الى النفس الإنسانية فيدعوها ويمشها على أعمال تحصل منها في البدن . ثم ذكر كيفية وصول كل واحدة من القرنين الى النفس .

(فأما القرن الذي في صورة السباع من القرنين السيارين فانه يتربص بالانسان طروداً أدى معتباً عليه<sup>(٤)</sup> ، فيسقره ويزين له سوء العمل من القتل والمثل والايحاش [ورقة ١٠٤ ب] والايذاء فيربي الجور في النفس ويبعث على الظلم والغشم) .

أشار بهذا الفصل الى القوة الغضبية منها يستولي على النفس ويبعثها على العمل

(١) ب : الغير محسوسة . (٢) ب : الغير محسوسة .

(٣) ب : فيستحفظه .

(٤) م و ص : أدى معتباً عليه . و ب : طروداً أدى معتباً عليه .

الفضي عند حقوق مكروه وموذر بها فيجر كها نحو دفع ذلك عن نفسها إما يقتل أو مثل أو إيحاء وإيذاء وبالجملة بنوع ما من أنواع ما يستدفع به الشر والمكروه والمؤذي ، ثم إنها ربما تجاوزت الحد في ذلك فيبغى على الظلم والفسم أي على أن لا يعمل على الوجه الذي ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وفي الوقت الذي ينبغي وبموجب<sup>(١)</sup> القوانين الشرعية إلا أن تزجرها قوة العمل وتردها إلى الواجب وذلك فيمن يتمكن منه العقل إما طبعاً وإما تعوداً .

(وأما القرن الآخر منها فلا يزال يُناجي بالإنسان بحسين الفحشاء من الفعل والمنكر من العمل والفجور إليه وتشويقه إليه وتحريضه عليه ، قد ركب ظهر اللجاج واعتمد على الإلحاح حتى يجره إليه جراً) .

التفسير : أشار بهذا الفصل إلى القوة الشهوانية منها تسولي على النفس وتبعثها على العمل الشهواني عند حقوق حاجة إلى ملذة ومنتهى لها من مطعوم أو منكوح فيجر كها إلى استجلاب ذلك إلى نفسها ثم إنها ربما تجاوزت الحد في ذلك فتبغى على ركوب الفحشاء والمنكر من الأفعال والأعمال<sup>(٢)</sup> .

(يتبع) محمد المرعوب بصغير حسن المصومى

\*\*\*\*\*

(١) ب : ولوجب القوانين .

(٢) والمبارة الآتية زائدة مكررة لـ ب : « والامال أي على أن لا يعمل على الوجه الذي ينبغي وللقدار الذي ينبغي وفي الوقت الذي ينبغي وبموجب القوانين الشرعية إلا أن تزجرها قوة العقل وتردها إلى الواجب وذلك فيمن يتمكن منه العقل إما طبعاً وإما تعوداً » .

# تاريخ فكرة إعجاز القرآن

من البصيرة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقد وتعليق

- ١١ -

## ٦ - سيد قطب :

من خير من كتب في موضوعات القرآن في هذا العصر « سيد قطب » ولم يؤلف كتاباً خاصاً في الإعجاز كما أنه لم يتكلم عليه صراحة ولكن قارى كتابيه « التصوير الفني في القرآن » و « مشاهد القيامة في القرآن » يشمر بأنه يؤمن بالإعجاز إيماناً عميقاً ويبين بالأمثلة التي يأتي بها من القرآن محره الفني الذي يرادف في حقيقة الأمر « إعجازه البياني » .

واعتقاده بالإعجاز يظهر صراحة في بعض مقاطع من كتابيه هذين واليكها :  
١ - قال في الصفحة ( ١٥ ) من التصوير الفني ( الطبعة الثانية ) : فتحدّاهم مرةً ومرة : « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتربات » ، « قل فأتوا بسورة مثله » . . . ولكنهم لم يأتوا بعشر سور ولا بسورة مفردة ! ولم يحاولوا هذه المحاولة أصلاً ، إلا ما قيل من محاولة بعض المتنبئين بعد محمد ؛ وليس هذا من الجد في شيء ، ولا يجوز أن يحسب له في هذا المجال حساب . أما الرأي القائل بصرفهم عن المحاولة فلا يقام له وزن !

٢ - وقال في ( ص ١٦ ) من المرجع نفسه عند كلامه على أثر القرآن في سامعيه : فهو التأثير الذي يلمس الوجدان ، ويحرك المشاعر وببيض الدموع . يسمعه الذين تهبأوا للإيمان ، فيسارعون إليه كالبحورين ، ويسمعه الذين يستكبرون عن الاذعان ، فيقولون : « إن هذا إلا سحر مبين » أو يقولون :

- ٢٩٩ -



« لا تسمعوا لهذا القرآن والفوا فيه لعلمكم تغلبون » فيقرّون بالإعجاز الغلاب

من حيث لا يشعرون ، أو يشعرون .

٣ - وقال في ( ص ١٠ ) من « مشاهد القيامة في القرآن » : فهدفي هنا هدف فني خالص محض ، لا أتاثر فيه إلا بجاسة الناقد الفني المستقل ، فاذا التفت في النهاية قداسة الفن بقداسة الدين ، فتلک نتيجة لم أقصد اليها ولم أتاثر بها . إنما هي خاصة كامنة في طبيعة هذا القرآن ، تلتقي عندها دروب البحث في النهاية ، ولو لم يحسب السالك حسابها في الطریق . . . .

وهذه المقاطع تبين بوضوح كما ترى أنه يسعى إلى البرهان على إعجاز القرآن من حيث يتكلم على مميزته الفنية الأولى وهي التصوير فكأنه يريد أن يتحدث عن الإعجاز تحت عنوان آخر حديث .

والفن في القرآن - وهو كما بيّنا دعامة إعجازه عنده - قائم على الإبداع في العرض والجمال في النسب والقدرة في الأداء ( مشاهد القيامة في القرآن ص ٢٣٥ ) وهذه المميزات الثلاثة تنبعث فيه من استعمال التصوير الفني الذي هو منبع سحره ( كتاب التصوير الفني ص ١٧ وما بعدها ) ويرى أن منابع سحر القرآن الأخرى التي يتحدث عنها غيره من المؤلفين والعلماء ليست شيئاً بالنسبة إلى هذا المنبع الذي خصه هو بصفاته وهو التصوير الفني .

قال في ( ص ١٧ ) من « التصوير الفني » : ينظر بعض الباحثين في القرآن إلى القرآن جملة ثم يجيب ، وبعضهم يذكر غير النسق الفني للقرآن أسباباً أخرى يستمدّها من موضوعاته بمد أن ضار كمالاً ، من تشريع دقيق صالح لكل زمان ومكان ، ومن إخبار عن الغيب يتحقق بعد أعوام ، ومن علوم كونية في خلق الكون والإنسان .

ولكن البحث في هذا النحو إنما يثبت المزية للقرآن مكتملاً فما القول في السور القلائل التي لا تشريع فيها ولا غيب ولا علوم ، ولا تجمع بطبيعة الحال

كل المزايا المنفرقة في القرآن ؟ إن هذه السور القلائل قد سحر العرب بها منذ اللحظة الأولى ، وفي وقت لم يكن التشريع المحكم ولا الأغراض الكبرى هي التي نسترعي إحساسهم وتستحق منهم الإعجاب . . . . . الى أن يقول في ( ص ٢٣ ) :

« وإنا لنستطيع أن ندع - مؤثناً - قداسة القرآن الدينية ، وأغراض الدعوة الاسلامية ؛ وأن نتجاوز حدود الزمان والمكان ؛ ونخطى الأجيال والأزمان ، لتجد بعد ذلك هذا الجمال الفني الخالص ، عنصراً مستقلاً بجوهره ، خالداً في القرآن بذاته ، يتملأه الفن في عنزلة عن جميع الملابس والأغراض . وإن هذا الجمال ليتحلى وحده فيفتي ، وينظر في تساوقه مع الأغراض الدينية فيرتفع في التقدير » .

ويقول في ( ص ٣٢ ) : « إن لهذا الكتاب العظيم لخصائص مشتركة ، وطريقة موحدة في التعبير عن جميع الأغراض . . . . . هذه الطريقة الموحدة ، هذه القاعدة الكبيرة . . . هي التصوير الفني في القرآن » .

ويقول في ( ص ١٩٤ ) : « وبعض الناس حين ينظر في هذه الموضوعات - بقصد الموضوعات الإلهامية والتشريعية - ويرى ما فيها من دقة وعظمة وصلاحيّة ومصرونة ، وإحاطة وشمول ، يحسبها ميزة القرآن الكبرى ، ويحسب أن طريقة التعبير القرآنية تابعة لها ، وأن الإعجاز كله كامن فيها ، كما أن بعضهم يفرق بين المعاني وطريقة الأداء ، ويتحدث عن إعجاز القرآن في كل منها على انفراد . أما نحن فنريد أن نقول : إن الطريقة التي اتبعها القرآن في التعبير ، هي التي أبرزت هذه الأغراض والموضوعات ، فهي كفاء هذه الأغراض والموضوعات » . ويشرح سيد قطب هذه الطريقة ويبين فضلها على غيرها في ( ص ١٩٦ ) فيقول : « لقد كانت السمة الأولى للتعبير القرآني هي اتباع طريقة تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية وإبرازها في صور حسية ، والسير على طريقة

تصوير المشاهد الطبيعية ، والحوادث الماضية ، والقصص المروية ، والأمثال القصصية ، ومشاهد القيامة ، وصور النعيم والعذاب ، والنماذج الإنسانية ... كأنها كلها حاضرة شاخصة بالتخييل الحسي الذي يفهمها بالحركة التخيلية . فما فضل هذه الطريقة على الطريقة الأخرى ، التي تنقل المعاني والحالات النفسية في صورتها الذهنية التجريدية ... ؟ إن المعاني في الطريقة الأولى تخاطب الذهن والوعي ، وتصل إليها مجردة من ضلالها الجميلة . وفي الطريقة الثانية تخاطب الحس والوجدان وتصل إلى النفس من منافذ شتى : من الحواس بالتخييل . ومن الحس عن طريق الحواس ، ومن الوجدان المنفعل بالأصدا والأضواء . ويكون الذهن منفذاً واحداً من منافذها الكثيرة إلى النفس ، لا منفذها المفرد الوحيد .

ولهذه الطريقة فضلها ولا شك في أداء الدعوة لكل عقيدة ولكننا إنما ننظر إليها هنا من الوجهة الفنية البحتة . وإن لها من هذه الوجهة لثأناً . فوظيفة الفن الأولى إثارة الانتمالات الوجدانية ، وإشاعة اللذة الفنية بهذه الإثارة ، وإجاشة الحياة الكامنة بهذه الانتمالات ، وتفذية الخيال بالصور لتحقيق هذا جميعه . وكل أولئك تكفلة طريقة التصوير والتشخيص للفن الجميل<sup>(١)</sup> .

ويتساءل المؤلف في ص ( ٢٠٥ ) من « التصوير الفني » عن « طريقة التصوير في التعبير » هل هي القاعدة الأولى في تعبير القرآن ؟ وهو يجب على ذلك بهذه السطور التي أوردتها في مقدمة كتابه « مشاهد القيامة في القرآن » : « هذه القضية لدي كل ما يؤكد من الإحصاء الدقيق لنصوص القرآن . فالقصة ومشاهد القيامة ، والنماذج الإنسانية ، والمنطق الوجداني في القرآن ، مضافاً إليها تصوير الحالات النفسية ، وتشخيص المعاني الذهنية ، وتمثيل بعض

(١) راجع الأمانة على ذلك في ص ١٩٧ وما بعدها وفي مواضع أخرى كثيرة من الكتاب .

الوقائع التي عاصرت الدعوة المحمدية . . . . . تؤلف على التقريب أكثر من ثلاثة أرباع القرآن من ناحية الكم . وكلها تستخدم طريقة التصوير في التعبير . فلا يستثنى من هذه الطريقة إلا مواضع التشريع ، وبعض مواضع الجدل ، وقليل من الأغراض الأخرى التي تقتضي طريقة التقرير الذهني المجرد . وهي على كل حال محصورة فيما يوازي ربع القرآن .

فليس هنالك من شطط حين أقول : « إن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن » .

والى جانب هذه السمات التي تكوّن في نظر المؤلف سحر القرآن الفني المرادف في الحقيقة لإعجاز القرآن يعتقد المؤلف بأن تكرار القرآن أكثر قصصه في صور مختلفة هو ضرب من الإعجاز ويقول في ذلك ( ص ٨ من مشاهد القيامة في القرآن ) :

« والمعجب حقاً أن تعدّد هذه المشاهد - وأساسها واحد - لم ينشئ نوعاً من التكرار . فكل مشهد يختلف عن سابقه في كلياته أو جزئياته . وذلك لونه من الإعجاز شبيه بالإعجاز في خلق الملايين من الناس ، كلهم ناس ، ولكن لكلّ صحنّة وسمّة ، في هذا المتحف الإلهي العجيب !!! » .

ونسنتج من هذا كله أن المؤلف لا ينكر إعجاز القرآن من حيث التشريع والإخبار عن الغيب والعلوم الكونية ولكنه يرى أن إعجاز القرآن أو سحره - في تعبير المؤلف - قائم على الإبداع في العرض والجمال في التسيق والقوة في الأداء وهي تمثل أو تنبعث في ثلاثة أرباع القرآن من استعماله طريقة التصوير الفني .

\* \* \*



## ٧ - الأستاذ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني :

هو أحد علماء الأزهر المعاصرين وقد ألف كتاباً في إعجاز القرآن سماه «مناهل العرفان في علوم القرآن» . جاء فيها بثلاثة عشر وجهاً لإعجاز القرآن بعضها تكرر لما قاله الأقدمون وبعضها قال به الأقدمون ولكنه ضرب عليه أمثلة جديدة أو اجتهد فيه اجتهداً أظن فيه بعض الجدة في القالب لا في الجوهر . ومن أم ما جاء في مقدمة هذا الكتاب أن اختيار الألفاظ في القرآن يظهر فيه وجه من الإعجاز من حيث أن أهل كل عصر يفهمونها بما يناسب تفكيرهم وبلائم ذوقهم وبوائم معارفهم ولو استبدلت تلك الألفاظ بغيرها لم يصلح القرآن لأن يخاطب به الناس كافة .

وبلاحظ أن هذه الخاصة لا ينفرد بها القرآن بل يشاركه فيها على التحقيق كل الكتب والآثار الأدبية القديمة لأن الألفاظ كاللشر تخضع لنواميس الحياة وتنتقل من طور الى طور وتختلف مفاهيمها في الأذهان باختلاف العصور والبيئات .

ومن أم ما جاء في مقدمته لوجوه الإعجاز في القرآن الأمور الأربعة التالية :

١ - النعمة الصوتية فسامع لحن القرآن لا يسأم ولا يمل لأنه ينتقل فيه دائماً بين ألحان متنوعة وأنغام متجددة وقد صبهه الى القول بها الباقلاني والجاحظ والرافعي وغيرهم .

٢ - إرضاء القرآن للخاصة والعامة والمؤلف فضل التوسع في هذه النقطة وإيضاحها .

٣ - إرضاءه العقل والماطفة ويستمدُّ المؤلف هذه النقطة من عناصر البلاغة كما يفهمها الأدباء المعاصرون .

٤ - جمع القرآن بين الإجمال والبيان فالجملة فيه واضحة مع احتمالها عدة معانٍ أخرى إن الجمل فيه موحية بكثير من المعاني .  
ويلاحظ أن القرآن لا ينفرد بهذه الخواص بل يشاركه فيها الآثار الأدبية الموقفة . ولعل المؤلف يريد أنها لا تساويه درجة في هذه الخواص التي فاز منها بالسهم الأعلى .

ومن أم وجوه الإعجاز التي ذكرها المؤلف ما يلي :

١ - لا يستطيع مجازاة القرآن في ترتيبه وانسجامه وترابطه فالانسجام في السور التي نزلت آياتها متفرقة هو الانسجام نفسه في السور التي نزلت آياتها دفعة واحدة .

٢ - هدايات القرآن وعلومه مع أمية النبي . وهنا يقارن المؤلف بين الإسلام والمسيحية واليهودية في عقيدة الإيمان بالله وفي عقيدة البعث والجزاء .  
وهنا يتكلم على وفاء القرآن بحاجات البشر .

٣ - موقف القرآن من العلوم الكونية . والمؤلف لا يريد أن يجعل استنباط العلوم الكونية من القرآن دليل إعجازه لأن هذه العلوم تتغير نظرياتها باستمرار . ولكنه يعتقد أن هذه العلوم إذا استقرت وثبتت حقائقها أمكن حينئذ أن تستنبط من القرآن أو تطبق عليه . وهو يرى أن عدم تعرض القرآن لنظرياتها دليل إعجازه . . وهنا نرى أنه يثبت النظرية العلمية في الإعجاز من حيث يريد إنكارها .

٤ - سياسته في الإصلاح وهي تتمثل بالتدرج في التشريع وحن الدعوة إلى الإسلام بالوعظة الحسنة .

٥ - أنباء الغيب في القرآن . ومنها أمور تتعلق بالاجتماع كقوله تعالى :  
« إِنَّ اللَّهَ لَا يَبْدِي مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَفْشِرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ » .

م (٩)

- ٦ - تأثير القرآن في نفوس أعدائه وأتباعه ونجاحه .  
ويأتي المؤلف بشبهات يوردها المناهضون لإعجاز القرآن على الأسلوب وغير  
الأسلوب وينقضها واحدة واحدة .

\* \* \*

جدول بأسماء المنكلمين الذين لم أطلع على آرائهم في الإعجاز وبأسماء

كتبهم التي ألفوها في هذا البحث ولم أظفر بها لأطالعها وقد اقتبسته عن مقالة

الأستاذ عبد العليم الهندي السابقة :

- عبد الواحد بن اسماعيل الروياني توفي سنة ٥٠٢ هـ (١)
- ابن بيجوك البقالي توفي سنة ٥٦٢ هـ (٢)
- قاسم بن فرّوه (٣) توفي سنة ٥٩٠ هـ (٤)
- ناصر بن عبد السيد المطرزي توفي سنة ٦١٠ هـ (٥)
- ابن كمال باشا توفي سنة ٩٤٠ هـ (٦)
- ابراهيم بن أحمد الجزري ؟ (٧)
- محسن بن حسين النيسابوري الخوزني ؟ (٨)

\* \* \*

- (١) انظر حاجي خليفة تحت اسم إعجاز وليس لهذا الكتاب أثر .
- (٢) انظر فهرس الكتب العربية MSS برلين المجلد الأول ص ٢٨٨ - ٢٨٩ برلين  
MS. Spr. 819
- (٣) لفظ هذا الاسم مسمى . في المعارف هو فبره ويمكن أن يكون محرّفا . وفي الارشاد  
المجلد الرابع ص ١٨٤ هو فبره وبروكلمان يقرأه 'فرهوه' المجلد ص ٤٠٩ ويذكر  
أنه يمكن ان يكون اسما اسبانيا قديما
- (٤) و (٥) انظر للمعارف المجلد ١٨ عدد سنة ١٩٢٦ ص ٣٣١ والاثنا موجودان  
في خزانة المدينة .
- (٦) و (٧) انظر فهرس خزانة برلين MSS المجلد ص ٢٨٨ - ٢٨٩ فقط ٨ غير  
موجود MS برلين Spr سنة ٨١٩ .
- (٨) انظر كشف الحجب عن أسماء الكتب كلكوتا ١٩١٢ ص ٥٢ وهو منقود .

جدول بأسماء مؤلفين جعلوا هذا البحث جزءاً من كتبهم التي وصلت إلينا

ولم أتحدث عنهم :

- ١ - عبد القاهر بن طاهر البغدادي ( ٤٢٩ هـ ) في كتابه أصول الدين المنشور في استامبول سنة ١٩٢٨ م .
- ٢ - علي بن محمد الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ في كتابه أعلام النبوة المنشور في القاهرة سنة ١٣١٥ هـ .
- ٣ - عبد الملك بن عبد الله الجويني ( أبو المعالي إمام الحرمين المتوفى سنة ٤٨٨ هـ ) في كتاب الإرشاد في أصول الاعتقاد ( ليدن ) .
- ٤ - محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ( ٥٤٨ هـ ) في كتاب نهاية الإقدام في علم الكلام ( اكسفورد ) .
- ٥ - تقي الدين بن نبيه ( ٧٢٨ هـ ) في كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ( ط القاهرة ١٣٢٣ هـ ) .
- ٦ - هبة الله البارزي ( ٧٣٨ هـ ) في كتاب توثيق عمري الأديان في تفضيل حبيب الرحمان ( مخطوط في برلين ) .
- ٧ - بدر الدين بن عمر بن حبيب ( ٧٧٩ هـ ) في كتاب النجم الثاقب في أشرف المناقب ( MS. Berlin Pet. 342 )
- ٨ - سعد الدين التفتازاني ( ٧٩١ هـ ) في كتاب شرح مقاصد الطالبين في أصول الدين ( طبع استامبول سنة ١٢٧٧ هـ ) .
- ٩ - الشريف الجرجاني ( ٨١٦ هـ ) في كتاب شرح المواقف ( تأليف الأبيحي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ) طبع ليبزيغ ١٨٤٨ مخطوط في برلين .
- ١٠ - أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي ( القطب ) في كتاب الخرائج والجوارح ( مخطوط برلين ) . وقد أدخل هذا الكتاب محمد باقر المجلسي المتوفى سنة ١٠١١ هـ في كتابه ( المعلمة ) المسمى بحار الأنوار المطبوع في طهران



سنة ١٣٠٣هـ - ١٣١٥هـ . (راجع فيما يتعلق بمحمد باقر المجلسي معجم الكتب

العربية المطبوعة والمحرّبة لسركيس) .

وقد وجدت في كتاب أعلام الشيعة للعاهلي (مؤلف حديث) ترجمة قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي فقال إنه ثلثيد صاحب مجمع البيان وذكر أن له خلاصة التفاسير في عشرة مجلدات وتفسير القرآن في مجلدين وذكر أنه عاش في المائة السادسة ولكنه لم يذكر أن له كتاب الخرائج والجوارح .

١١ - يحيى بن حسن القرشي الزبدي في كتاب منهاج التحقيق ومحاسن التلخيص

( MS. Berlin G ls. 96 ) .

١٦ - رحمة الله الهندي في كتابه ( إظهار الحق ) المنشور في القاهرة ١٣٠٩ هـ

\* \* \*

### خاتمة

ذكرت رأبي في إعجاز القرآن وأفضت فيما ثار من النزاع بين العرب في حياة النبي فليرجع اليه هناك من شاء . ولا أرى الآن بدءًا من القول بأن فكرة الإعجاز عقيدة دينية مثل غيرها من العقائد التي لا يمكن أن يؤبدها برهان عقلي أو حسي حاسم يكون له قوة البرهان الرياضي فيقنع الخصم المعاند ، وأنها قائمة على القناعة الوجدانية فالحجة التي تقنع المناصر قد لا تقنع المنكر ، بل قد تزيد إنكاراً . والمؤمن بفكرة الإعجاز يرى أن عجز العرب عن معارضة القرآن دليل على إعجازه وعلى رسالة الرسول على حين يرى من لا يؤمن بها أن عجزهم حينئذ دليل على أن النبي خيرهم بياناً وليس دليلاً على أنه رسول الله وعلى أن القرآن كلام الله ، وذلك كما لو عجز الناس عن معارضة امرئ القيس من شعراء العرب أو شكسبير من أدباء الانكليز فإن عجزهم لا يجعل من أحدهما رسولاً . ولا شك في أن تذوق جمال القرآن الأدبي يختلف من شخص الى آخر باختلاف

عقيدته وذوقه الفني الأدبي ومنشئه وميله . وليس من الممكن أن يتذوق الملحد ومن لا يرى القرآن منزلاً من عند الله حلاوة القرآن كما يتذوقها من يراه دستور الانسانية الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .  
ونرى أن فكرة الإعجاز ، شأن كل فكرة علمية أو أدبية ، تسير روح العصر الذي تعيش فيه فيظهر فيها التجديد والقوة حيث تكون نهضة متوثبة ويظهر فيها الجهد واجترار ما قاله المتقدمون حيث يهيمن الخمود والموت الاجتماعي ويبدو التناقض لدى القائلين بها حيث يخيم ظلام الجهل وضعف التفكير ويناهاضها الإنكار أو معارضة القرآن حيث يحصل تصادم واحتكاك قوي بين الثقافات والديانات واللغات والشعوب فيثور من جراء ذلك كله نقاش شديد في المسائل الاجتماعية والدينية والأدبية يشتد فيه إنكار المنكرين كما اشتدت فيه مناصرة المؤيدين لتوازن قوى المجتمع بنتيجة ذلك التوازن الطبيعي .

وقد انتهت من دراسة أفكار من تكلموا في الإعجاز إلى أن فكرة الإعجاز يبلاغته كانت أقوى هذه الأفكار . ولكنّ القدماء الذين أرادوا أن يثبتوها لم يكن عندهم آراء ونظرات فنية كاملة في فنون البلاغة التي كانت في زمنهم قاصرة إذا قسناها بفنون البلاغة الحديثة كما بدر كها الغربيون وكما يجب أن تكون عندنا اليوم فلم يستطيعوا أن يبلغوا شأواً بعض المحدثين كالأستاذ الخولي الذي يقول بالإعجاز النفسي ، والأستاذ سيد قطب الذي يقول بسحر القرآن بفضل التصوير الفني الرائع الذي فيه ويأتي على ذلك بالأمثلة .

وإن كان لا بد من خاتمة لهذا البحث فهي أن هذه المسألة الفرعية من علم الكلام كانت ولا تزال مرآة للحركة الفكرية عند العرب والمسلمين منذ بعثه النبي إلى الآن وستبقى كذلك مرآةً وميداناً للأخذ والرد والجدل ما بقيت الأرض .

\* \* \*

### المراجع

- إعجاز القرآن للرافعي
- إعجاز القرآن للبافلاني
- تفسير الطبري
- مقدمة حسن الصنيع
- مقدمة التلخيص للقزويني
- دلائل الإعجاز للجرجاني
- كتاب الطراز ليحيى بن حمزة العلوي البيني
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدين الرازي
- التفسير الكبير : مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي
- مفتاح العلوم للسكاكي
- الفصل في الملل والنحل لابن حزم الأندلسي
- رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده
- البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها : الأستاذ أمين الخولي
- التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم : الأستاذ أمين الخولي
- البلاغة وعلم النفس في مجلة كلية الآداب المجلد الرابع الجزء الثاني سنة ١٩٣٦ : الخولي
- ترتيب نصوص آي الذكر الحكيم في أبواب الدين القويم : وضع سلامة محمد
- تفسير الكشاف للزمخشري
- الاتقان في علوم القرآن للسيوطي
- مفردات الراغب ومختار الصحاح والقاموس المحيط
- تفسير الألومي

- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي
- كشف الظنون لحاجي خليفة
- مقالة للأستاذ كراوس ، مجلة الأديب ص ٣٢ سنة ١٩٤٣ - ١٩٤٤
- الملل والنخل للشهرستاني
- مقدمة ابن خلدون
- كتاب الحيوان للجاحظ
- كتاب الصناعتين لأبي هلال المسكري
- «مقالة في الاعجاز لعبد العليم الهندي في مجلة الثقافة الاسلامية التي تصدر في الهند باللغة الانكليزية العدد ١ و ٢ من سنة ١٩٣٢
- The Islamic culture N.1 and 2. 32 th year : Concluded Abdul Aleem Hindi. »

- التصوير الفني في القرآن لسيد قطب
- مشاهد القيامة في القرآن لسيد قطب

نعيم المحصي





# التعريف والنقد

المصطلحات العلمية في اللغة العربية

في القديم والحديث

كتاب يقع في ١٣٥ صفحة ، وهو مجموعة سلسلة من المحاضرات ألقاها رصيفنا العلامة الأمير مصطفى الشهابي في القاهرة على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية ، بدعوة من مدير المعهد الأستاذ العالم السيد ساطع الحصري .

موضوع شائك لا يستطيع الجولان فيه إلا من وقف نفسه على التقصي ، وببحث جليل تفتقر إليه لغة الضاد أشدّ الافتقار ، فلا عجب إذا ما انتدب له بحائنه كبير كالأمر مصطفى الذي عانى أمر المصطلحات العلمية زهاء ثلث قرن ، فوضع وحقق في خلال هذه السنوات الطوال أوف المصطلحات في علوم الزراعة والموايد ولا سيما النبات ، ونفع اللغة العربية أخيراً بثمرة عمله الرائع فطبع في السنة ١٩٤٣ «معجم الألفاظ الزراعية» الذي سدّ ثغرة كبيرة في باب المصطلحات العلمية . وقد كنا نتمنى لو حذا حذوه الاختصاصيون في مختلف العلوم ، فوضعوا أو حققوا مصطلحات اختصاصاتهم ، وأخرجوا اللغة العربية من هذا المأزق الذي تعانيه . ولست أظن أن شعباً متطلباً للاستقلال والتحرر يستطيع بلوغ هذه الأمنية إذا لم يحرر لفته من ربكة اللغات الأجنبية ، ولا أغالي إذا قلت ان كل شعب مستقل ، ولفته لا تزال عاجزة عن السير في مضمار العلم ، بعدد شعباً مستعبداً ، لأن اللغة بعلومها ، والأمة ببلغتها ، فهي شعار القومية ودليل الاستقلال الفكري . وفي البلاد العربية اليوم نهضة مباركة نتمنى لها النجاح ، ونرجو أن تفضي

أعمالها الى وضع معجم جامع للعلوم تقره الجامعات العلمية في البلاد العربية ، فتوحد المصطلحات ، ويقطع عناؤنا هذه المرحلة الأولى ، مبتدئين بمرحلتهم الثانية ، وهي البحث والتقصي والاكتشاف .

إن من يتصفح هذا الكتاب يدرك الغناء الكبير الذي كابده المحاضر في جمع هذه المعلومات الماتعة التي ضمنها محاضراته ، فهو لم يترك ناحية إلا طرفها ، فبعد أن بحث في اللغة العربية ونشأتها تكلم عن وسائل نمو اللغة : عن الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب . ثم ماثنى اللغة العربية منذ القديم حتى عصرنا الحاضر ، متنقلاً معها في الجاهلية وأيام الراشدين والأُمويين والعباسيين ، مبيّناً عيوب المعجمات العربية القديمة التي لم تعد صالحةً لمباشرة العلوم الحديثة ، وانتقل بعد ذلك الى النهضة الحديثة في نقل العلوم فجاء على النهضة المصرية ، فعلى النهضة الشامية ، ولم يهمل جهد الأفراد في وضع المصطلحات العلمية ، ولا عمل الجامعات العلمية في البلاد العربية : المجمع العلمي العربي بدمشق وجمع اللغة العربية في مصر والمجمع العلمي العراقي ، وقد خصّ الجامعة السورية بكلمة طيبة . وأسهب في أعمال مجمع مصر . ولم يكتف بذكر تلك الجهود التي قام بها الأفراد والجماعات بل ذكر آراءه في نقل الألفاظ العلمية الى اللغة العربية فكانت آراءً سديدة دالة على ما انصف به المؤلف من سعة التفكير وعمق التقصي ، وأخص منها رأيه في شروط النقل وتوحيد المصطلحات العلمية ، والوسائل المؤدية الى هذه الغاية .

والخلاصة ان محاسن هذا الكتاب على صفره لا تعد ، وان الالمام بها في كلمة مقتضبة كهذه أمر متعذر ، فعلى كل عالم ولغوي أن يطالع هذه الأبحاث ، ويعي ما جاء فيها من النصائح والارشادات والآراء ، ولا سيما من كانت مهتمه وضع المصطلحات العلمية أو تحقيقها .

الدكتور مرشد خاطر

www.alukah.net

## القرآن المجيد

لو قال لي قائل : دلني على تفسير للقرآن بالقرآن ، بحيث تكون آياته في الموضوع الواحد مجموعة في مكان واحد ، ومفسرة تفسيراً يجمع بين معانيها جمعاً محكماً ، لقلت إنك تجيد هذا في تفسير الأستاذ المستقل (عزة دروزة) ؛ فقد رتب كتابه الذي وصف فيه (القرآن المجيد) هذا الترتيب ، وأقامه على أربعة فصول ، فالفصل الأول في القرآن - أسلوبه ووحيه وأثره ، والثاني في جمعه وتدوينه وقراءاته ورسم المصحف ، والثالث في الخطة المثلى لفهم القرآن وتفسيره ، والرابع نظرات وتعليقات على كتب المفسرين ومناهجهم ، وتحت كل فصل من هذه الفصول الأربعة ، عناوين لمسائل المنوعة ، ثم ختمه ببيان أفضل المناهج لتفسير القرآن . وهذا المؤلف الذي بلغ ثلاثمائة صفحة قد جعله مقدمة لتفسيره الكبير الذي يقع في عدة مجلدات ، كما أشار إليه في أولها . ومن أمهات النظر في هذه الفصول رأى فيها فوائد جمة ، ومباحث مهمة ، كأسلوب القرآن والسيرة النبوية ، وشهود العيان لأعلام النبوة ، وأثر القرآن الروحي وبلاغته اللفظية ، وأثر الدعوة القرآنية في نجاح الفتوحات الإسلامية ، (ورد هنا على الأستاذين فيليب حتي وكاتباني في دعوى أن انتصار الجيوش العربية كان انتصاراً للمروية ، لا للدعوة الإسلامية ، ردّاً معزّزاً بالشواهد الكثيرة) ، والقرآن والعرب في عهد النبي ، ومن مباحث الفصل الثاني ، ترجيح تدوين القرآن وترتيبه في عهد النبي (ﷺ) ومرجحات ذلك ، كتابة ترتيب النزول وعدد الآيات ، رسم المصحف المثنائي ، والقراءات ، ومن الثالث : القرآن والسيرة النبوية ، لغة القرآن ، الفحص القرآنية ، الملائكة والجن في القرآن ، مشاهد الكون ونواميسه في القرآن ، تسلسل الفصول القرآنية وسياقها ، فهم القرآن من القرآن . وفي الفصل الأخير نظرات المفسر الثاقبة ، وتقده بالمتقول

والمعقول لبعض صروياتهم في أسباب النزول ، والتفسير ، وتعليقات المفسرين على القصص ومشاهد الكون والملائكة والجن ، والتعصب للمذاهب في سياق التفسير ، والولع باستنباط الرموز والمصطلحات ، والتفريع والاستطراد ، ونقد روايات نزول القرآن جملة واحدة ، والقول بنزوله بالمعنى ، وفتنة القول بخلق القرآن . وطريقته في هذه المقدمة أن يتوج مباحثه بما يناسبها من الآيات الكريمة ، بعد أن يهبط بالدخول عليها بما يبعث في النفس شوقاً الى تلاوتها ، ثم يفسر الآية أو الآيات بالظاهر المتبادر منها ، مشيراً الى أرقامها وصورها ، مستعيناً بالمعقول والمنقول من أسباب النزول ، وبالزمان والمكان اللذين أنزلت فيهما الآيات ، وبمصر النبوة في حوادثه ووقائعه ، وببيئة الرسول قبل البثثة ؛ ويفسر القرآن بالقرآن ، ثم بما يتصل به من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام . فمنهجه في هذا كله صافي وإن كتب بلغة حديثة ، واستمد من قوى العصر ومعارفه وهو يرى أن السعادة لا تعود لهذه الأمة إلا اذا عادت الى القرآن علماً وعملاً ، وأدباً وخلقاً . ففيه « أقوى الحوافز الى أسمى الآفاق ، وأبعد الأشواط الموصلة الى أعلى ما يمكن أن يكون من رفعة الذكر ، وعلو القدر ، وقوة التمكين والنصر ، وجملة متبعيه خير أمة أخرجت للناس إذا هم قاموا بأعباء ما حملهم إياه من تبعات ، وأدوا ما أتمنوا عليه فيه للانسانية من أمانات » . وقد تكلم على كتب التفسير ، وما فيها من زيادات أو تقصير ، كما ردّ على كتب التبشير والتنصير بردود محكمة ملزمة . وختم الكتاب بإيراد عشرة وجوه يحتاج إليها المفسر ليكون تفسيره وافيًا بالمطلوب .

وإني موضع هنا ما جاء في أواخر هذا الكتاب من القول بترجمة القرآن الكريم ، قال المؤلف (ص ٢٩٤) : « ونبه على أننا لسنا هنا في معرض منع ترجمة القرآن وعدم جوازه ، بل إننا نرى هذا مفيداً جداً ، وواجباً لازماً ، في سبيل نشر الدعوة الإسلامية القرآنية العظمى » .



وأقول هذا حق ، ولكن المقبول أن يترجم ترجمة تفسيرية لآيه وسوره ، وأن تبلغ دعوة الاسلام الى كل أمة ببلغتها ، فاذا أشربتها قلوبهم تعلم عامتهم بالعربية ما تصح به عبادتهم ، وتدرس الخاصة القرآن والعلوم الدينية ، والفنون العربية والأدبية بلغة العرب ليتذوقوا إيجازه وإعجازه ، وحقيقته ومجازه . أما الترجمة الحرفية فهي منعدرة في كثير من كلماته ، لا سيما أسماء الله تعالى وصفاته ، وقد انتشرت العربية - تبعاً للإسلام - في قارات الأرض الثلاث ( آسية وإفريقية وأوربا ) ودخلت أمة كثيرة في المروبة والاسلام ، فهل كانت تلاوة القرآن ودراسته بلفظه إلا هدى ورحمة ، وإحساناً وتوفيقاً « تأخت فيه شعوب كثيرة ، وتماونت على مدينة كانت زينة الأرض وضياءً ونوراً لأهلها » . وقد كانوا في الصدر الأول إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً ، وهذه هي الطريقة المشهورة التي تجدد لنا عهداً بطريقة سلفنا الذين استخلفهم الله في الأرض ، ويمكن لهم فيها ، وأورشهم علوم الأمم وحضارتهم ، فنوجه أنظار المعاهد التي تُعنى بدراسة القرآن وتدرسه الى هذا المنهج السلفي الذي يطبع الدارسين بطابع اللغة والاسلام والفضيلة . وقد زرنا مدارس الاستشراق في بلاد السوفيت ، وسمنا كلام الدارسين والدارسات للفتنا العربية ، وفي ليننغراد ( عاصمة الروس القديمة ) يدرسون القرآن الكريم بلفظه ، وفي المعرض الزراعي بموسكو ظلت فتاة مستعربة تكلمنا بال لغة الفصحى نحو ساعتين ، وقالت : وقد طينا أناس من بلاد العرب لم نفهم لهجتهم العامية ، ولم يستطيعوا أن يكونوا بلغة القرآن ! ؟ فنحن إذا دعونا الى لغة القرآن والدين ، والى مثل هذا التفسير السلفي المصري فقد دعونا الى نهضة قيمة ، وحياة طيبة ، وعز نال ، ومجد خالد ، ونسأله تعالى أن يسر للمؤلف الكريم طبع تفسيره ليعم نفعه .

هذا وقد وقعت أخطاء ، لم يخجل من مثلها كتاب ، ولم تثبت في جدول

الخطأ والصواب ، وأقتصر على كلمات الذكر الحكيم منها لتصحح ٦ وغيرها يسير جداً :

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
وصدق عنها	« وصدق »	٨	٦
كبيرا	« كثيرا »	٩	٢
ان هذا كتابنا	« هذا »	٧٨	٨
وهذا	« هذا »	١٥٢	٤
وان هذا	« إن هذا »	١٥٢	٤
وانما يسرناه	« فانما »	١٥٢	٧
وانما أنزلنا الكتاب	« انا أنزلنا عليك »	١٥٢	١٠
وان هذا	« إن هذا »	١٥٣	١
وقد سمعنا	« قد سمعنا »	١٥٣	١
قالوا أساطير	« وقالوا »	١٥٧	١
ينظرون نظر	« ينظرون اليك »	١٦٣	١٠
واذا خلوا الى بعضهم	« واذا خلا بعضهم الى بعض »	١٧٠	١
ثم يقولون	« ثم يتولون »	١٧٠	١١
لا يحيطون بشيء	« ولا يحيطون »	١٩٧	٢٢
إن أمهاتهم اللائي	« إلا اللائي »	٢٠١	١٧
وبش المصير	« فبش المصير »	٢٠٢	١٠
بالصدقات	« في الصدقات »	٢٠٣	١٠
دابئة الأرض	« دابة من الأرض »	٢٦٥	٣
عيسى	« عيسى »	٢٨٥	٤

محمد بهجة البيطار

www.alukah.net

## صبي زيادة

مع رائدات النهضة النسائية الحديثة

وهي محاضرات في ٢١٤ صفحة ألقاها العلامة الدكتور منصور فهمي ، على  
طلبة قسم الدراسات الأدبية ، في معهد الدراسات العربية العالية ، التابع لجامعة  
الدول العربية .

والمعهد المذكور أنشئ في القاهرة ، في السنة الدراسية ١٩٥٣ - ١٩٥٤ ،  
وعُهد إلى العلامة صاطع الحصري بإدارة شؤونه ، فسن سنة حسنة تقضي  
بدعوة علمائنا وأدبائنا إلى إلقاء محاضرات مسهبة في شتى المواضيع المتصلة بفروع  
التدريس ، علاوة على الدروس الأصلية التي يدرّسها الأماندة في تلك الفروع .  
وبينما يكون المحاضر مكباً على إلقاء محاضراته ، تكون المطبعة منهكة  
في طبعها ، وهكذا استطاع الأستاذ الحصري أن يتحف الثقافة العربية بأكثر  
من خمسة وعشرين كتاباً تفيضاً في سنة مدرسية واحدة أو سنتين .

وكتاب « صبي زيادة » هو ثمرة يانعة من هذه الثمرات ، فؤلفه معروف في  
البلاد العربية بأنه علم من أعلام الفكر والأدب في عصرنا الحاضر . وقد  
كانت له صلوات وثيقة بالآنسة صبي رحمها الله ، فلا عجب إذن أن يصور حياتها  
أصدق تصوير ، وأن يحلل أدها أدق تحليل ، بقلم طبع ، وبيان مشرق ،  
وآراء في الأدب والاجتماع بعيدة الفؤور ، لا يبلغ دقائقها إلا عالم نفسي  
عميق التفكير .

بدأ المحاضر الفاضل كلامه على رائدات النهضة النسائية الحديثة ، وهن  
عائشة التيمورية ووردة اليازجي وملك حفي ناصف « باحثة البادية » ، فاستغرق  
حديثه هذا نحو نصف المحاضرات ، وانتقل بعد ذلك إلى التحدث عن صبي الأدبية  
والكاتبة المفكرة ، فأوضح رأيها ورأيه في تعريف الأدب ، ثم وصف هيكلها

المادي على ما بقي من صورتها في مخيلته ، وذكر شيئاً عن نشأتها وبيئتها ودراساتها وصفاتها النفسية ، وعقّب بالتكلم على ثقافتها وأسلوبها في التفكير والكتابة ، وفلسفتها في الحياة ، ونظرتها الى الأدب والشؤون الاجتماعية ، ولا سيما رأيها في قضية المرأة . وانتهى الى البحث في تأثيرها الأدبي والاجتماعي والسياسي ، وفي نهايتها الأليمة عقب ما انتابها من محن وشجون .

وقد دلّ المؤلف على كل ذلك بجمل كثيرة نقلها من رسائل مي ومقالاتها وكتيبها وأقوال الأدباء فيها وفي أدبها .

وبعد إن كتاباً يؤلفه مثل هذا الفيلسوف والأديب الكبير ، ويتحدث فيه عن مثل النابغة مي لا يمكن إلا أن يكون قطعة من الأدب الرفيع الممتع .

السرايبي

### علم السموم

تأليف الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

زميلنا الأستاذ الكواكبي من المؤلفين المكثرين والمجيدين معاً ، امتازت كتبه المطبوعة العديدة بجزالة الأسلوب وباللغة الفصيحة الصحيحة ، ناهيك بدقة البحث وصحة الرأي مما يجعلها حجة يرجع اليها ويعتمد عليها .

وآخر ما أتخف به المكتبة العربية هو علم السموم ، وقد أنافت صفحاته على الخمائة ، طبع في مطبعة الجامعة السورية على ورق جيد ضمّنه الرمام العديدة والجداول الكثيرة مما هوّن استساغة بحوثه العويصة وسهل هضمها واستمراءها .

وصنّفه المؤلف لطلاب فرع الصيدلة في كلية الطب .

ولقد تصدى في مؤلفه القيم هذا ، الى البحث في منشأ السموم وأوصافها وخواصها ، وما أثر منها في البدن تأثيراً سيئاً وأعراض التسمم بها . وغاياته



كما جاء في تعريف المؤلف هي إغاثة المسمومين بإعطاء ما يصاد السم ، وتحري السم في المفرغات والأحشاء بالطرق الفيزيائية والكيميائية والفرازية ، كما انه يعنى بالصحة العامة لوقاية العمال المشتغلين بمختلف الصناعات التي قد ينتج عنها تسمم حاد أو بطيء ، وبوقاية السكان من الغازات والأبخرة السامة المنطلقة الى الجو من المعامل ، وما الى ذلك من الغايات النبيلة التي ألمح اليها الزميل الفاضل في مقدمة كتابه . ثم عدّد طرق دخول السموم البدن وامتصاصها ونمط تأثيرها وفعل السموم في الأعضاء المختلفة وتوزع السموم في البدن الحي وتوضمها (استقرارها) والاستحالات التي تطرأ على البدن من السموم ، وإطراح السموم والبادزهرات والاصعاف وخطة العمل في حوادث التسمم والكشف الكيميائي الشرعي وفحص الأحشاء وتصنيف السموم على اختلاف أنواعها ، وما شاكل ذلك من الموضوعات القيمة التي لاغنى للطالب عن دراستها والاحاطة بدخائلها .

والأستاذ الكواكبي يميل في تصانيفه ميلاً شديداً الى التخت والاشتقاق في نقل المصطلحات العلمية الأفرنجية الى العربية ، وعلى ذلك فقد أكثر في كتابه الذي نحن في صدده من أمثال الكريارات عن الكريات الحجر والكريضات عن الكريات البيض وتترج الدم عن الآزوتيا (وهي كلمة علمية شائعة في جميع اللغات) والبلسمة عن إزالة الانسجم والنفحمن عن الانسجم بأوكسيد الكربون (ولا أقول الفحم) ، والأشعه مانوسجية عن الأشعة ما فوق البنفسجي (بالنسبة الى الطيف) ومقيهل عن المقي والمسهل والجزقي عن الجوز المقي والسلاحين عن السم الآحيني ، والبادزهرات (أو الفادزهرات لأن العادة في تعريب الكلمات الفارسية أن تبدل الپاء بالفاء) عن مضادات السموم أو الترياق الذي استعمله الأطباء الأقدمون ، وما الى ذلك من الكلمات المديدة التي تخير استعمالها زميلنا الفاضل والتي لاغبار عليها من حيث الأساس والصياغة . وعندني أن

لا عيب فيها سوى صعوبة امتصاصها . وإني مع إعجابي الشديد بمجهود الصديق وغيرته على لغة الضاد وجده في نحت أمثال تلك الكلمات الجديدة وتوليدها آمل أن تكتب لها الحياة والبقاء . وأرى أن في إدخالها الآن في الوقت الحاضر في صلب لغتنا العلمية تقييداً لا مبرر له ، وما كانت لغة العلم لتتساق إلا عند بساطتها وسهولة فهمها . وأهل العلوم المصرية في أيامنا هذه لا غنى لهم عن إتقان إحدى اللغات الأجنبية إن لم أقل أكثر من لغتين منها ، حتى تناح لهم مماشاة ركب الحضارة السائر سير الطائرات والصواريخ .

أو ليس في إيجاد كلمات من طراز ما تقدم إبعاد الشقة بيننا ( وفي دمشق وحدها ) وبين أبناء جلدتنا الذين تضمهم بقاع فسيفساء جداً من هذه المسكونة ولما تتفق كلمة الجامع العلمية واللغوية على توحيد مصطلحات العلم والنهج الذي ينبغي سلوكه في الترجمة والتعريب ؟ أو لا يحتاج القارئ لمقال علمي تضمن الغريب من المصطلحات ( ولا أخفي وأنا واحد منهم ) إلى إيمان الفكر وقدرح الذاكرة على يهندي إلى اشتقاق تلك الكلمات ، ويتوصل إلى معرفة مدلولها بما وعيه من لغة أخرى ؟ أو ليس في هذا مضيعة للوقت وتعمير لسبيل العلم ؟ أفلا يفضل أن نترجم المصطلح الأجنبي بكلمتين أو ثلاث من الكلمات الشائعة عوضاً عن الكلمة الواحدة العويصة ؟

وبعد هذه الملاحظة العابرة ، ليسمح لي الزميل الكريم أن ألفت نظره إلى بعض المصطلحات الطبية ( لا الكيمياءوية ) التي خالف فيها ما أجمع عليه الأطباء كقوله الحميرة عن القرمزية ( Scarlatine ) والحميرة عند أهل الشام هي الحصبة ( Rougeole ) ، وعربت ( Scarlatine ) بالحمى القرمزية ويقال القرمزية تخفيفاً ، واشتقاق الكبد عوضاً عن كبة الكبد أو التكعب وفي الأفرنجية ( Cirrhose ) وهي تعني تحول الكبد إلى لون أحمر ضارب إلى الصفرة ، وقد جاء في فقه اللغة : الكبة صفرة تضرب إلى الحمرة ( وقد نبه إلى ذلك الدكتور مرشد خاطر ) م ( ١٠ )

مع أني أفضل كلمة التشمع التي ذاع استعمالها خطأً وانتقلت إلينا مما ترجمه الأتراك ، حتى أصبحت في نطاق الخطأ المشهور . وترجم كلمة ( Opisthotonos ) بالكزاز الظهري عوضاً عن التقوس الخلفي ( لا انحناء عضلات الظهر كما جاء في موضع آخر ) إذ الأفضل تخصيص كلمة الكزاز لـ ( Tétanos ) ، وتقبض الفكين عوضاً عن الفيرز ( Trismus ) وقد أصبحت من الكلمات الدارجة ، وانقطاع النفس عن كتم النفس ( Suffocation ) وهو نوع من الاختناق ، بينما انقطاع النفس أو توقف النفس يقابل ( Apnée ) ، وحركة العين حركات غير إرادية اصطلاحنا عليها بالرأرأة ( Nystagmus ) وقد جاء في المخصص رأرات العين إذا كانت لا تستقر من الإدارة . وقد قال التهاب المنضمة والأصح التهاب المتحمة ، وتنفلج المثانة عوضاً عن شلل المثانة وفلج الرجل أصابه داء الفلج وهو داء يحدث في أحد شقي البدن طولاً فتبطل حركته ، وكذلك قوله الفلج التنفسي البصلي والأصح شلل التنفس البصلي ، والنضوج عوضاً عن النضج ، وأبحاث عوضاً عن بحوث .

وقد أحسن المؤلف صنفاً في إشارته في خلال بحوثه إلى مصادر الاستزادة للمستزيد وإكثاره من التطبيقات العملية بالإضافة إلى فهارسه العديدة التي منها ما هو مرتب على حروف المعجم ومنها ما هو مصنف بحسب البحوث والفصول ثم المنهاج المدرسي والجداول والتطبيقات العملية والرواسم بما يهون السبيل لطلّاب والممارس .

وختاماً لا يسعني إلا إكبار نشاط الأستاذ الزميل وإطراء مجهوده العلمي وفقه الله .

الدكتور حسني سجع

## تاريخ العراق بين احتلالين

(المجلد الخامس) تأليف الأستاذ عباس المزوي

طبع في بغداد سنة ١٩٥٣ في (٣٥٥) صفحة من قطع الوسط

وعد الأستاذ المزوي في المجلد الأول من هذا التاريخ عام ١٩٣٥ قراءً .  
 أن يقدم لهم سلسلة أبحاث عن تاريخ العراق بين الاحتلالين المغولي والبريطاني .  
 وكان من حين للآخر نتحننا بجزء منه حتى بلغ عدد ما صدر منه خمسة مجلدات .  
 وهذا الجزء كسابقاته طافح بالوثائق والأخبار . جمع فيه المؤلف أهم حوادث  
 العراق السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية خلال السنين (١٠٤٩ الى  
 ١١٦٣هـ) من الحكم العثماني . وقد استقى أخبارها من أدنى المصادر العربية  
 والأجنبية المعاصرة منها : (منظومة آل فراسياب) و (زاد المسافر) و (تاريخ  
 الفرائي) و (كاشن خلفا) و (قويم الفرج بعد الشدة) و (تاريخ چلي زياده)  
 وغيرها من السجلات العثمانية الرسمية . وقد سرد حوادث هذه المدة بحسب سني  
 وقوعها وعلق على بعضها .

ويجد الباحث عن تاريخ العراق في هذه المجموعة مادة غزيرة لموضوعه  
 وصورة صادقة لحالة العراق في ذلك العهد من الحكم العثماني . ولا يختلف حال  
 العراق عن وضع بقية الأقطار العربية الخاضعة يومئذ لسultan آل عثمان .  
 كان مثلها يشكو الفوضى وعدم الاستقرار ويئن من وطئة جور الولاة وجشهم  
 في جمع الأموال ومصادرتها ، يضاف الى كل ذلك طغيان الينگجربة الذين  
 استباحوا الأموال واستحلوا الأرواح ، وبرعوا في إثارة الفتن والتجرد على  
 السلطان ، يعملون في تحقيق أغراضهم على إضرار نار الحق بين الرعية والراعي  
 حتى أصبح العراق في بؤس شديد ، كسدت تجارته ، وبارت زراعته وأفقرت



من رواد العلم مدارسه بعد أن كان في صالف العصر مهد الحضارة ومضرب  
 الأمثال في وفرة خيراته وعدد علمائه .  
 وكانت هذه الفترة من التاريخ بدء انحطاط الدولة العثمانية وانحلالها وقد دب  
 الفساد في جميع أمورها وتآلبت عليها الدول المسيحية وظهرت للوجود المسألة  
 الشرقية وفكرة اقتسام تركة الرجل المريض أي الدولة العثمانية ، وكان سوء  
 إدارة حكام الدولة وعجزهم عن معالجة المشاكل الداخلية نذيراً في فرط عقد  
 وحدة الامبراطورية العثمانية وتقلصها ، وظهرت معها بوادر التمرد في أكثر ولاياتها  
 الغير اسلامية وجاهرت العناصر الغير تركية بنزعتها الاستقلالية .  
 وفي هذا الجزء شواهد عديدة على نضال العراق لاسترداد حريته والتمتع  
 بسيادته . نشكر الأستاذ المؤلف جميله في خدمة تاريخ هذا الجراء من الوطن العربي .



Despois ( Jean )

Le Hodna ( Algérie ) - Paris 1953.

المحاضرة ( الجزائر )

تأليف السيد جان دبوا ( أستاذ في كلية الآداب في الجزائر )

يقع الكتاب في ( ٤٠٥ ) صفحات من قطع الوسط . طبع في باريس عام ١٩٥٣

وصف المؤلف أحوال إقليم الحوضنة الطبيعية والزراعية ودعم بحثه باحصاء دقيق  
 عن المياه والينابيع وأنواع المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية فيه . وذكر أسماء  
 القبائل المتوطنة في هذه المنطقة وأحصى سكانها . وتوسع المؤلف في دراسة  
 قواعد توزيع مياه الري وكيفية الانتفاع بها .  
 والحوضنة إقليم جزائري يقع في الجزء الشرقي الجنوبي من عمالة قسنطينة  
 المتاخمة لتونس ويعرف أيضاً بشط الحوضنة ، وهي يجملتها أرض سبخة في الأنياد

التي تلي هضاب جبال الأطلس الجنوبية وناحية من نواحي الزاب القديم ، تبلغ مساحتها ( ٨٥٠٠ ) كيلومتر مربع ، وأرضها جديبة ، أمطارها شحيحة ، قليلة السكان ، وطبيعة إقليمها صحراوية ، شديدة القَيْظ في الصيف مع هبوط الحرارة في الليل ، وشتاؤها قارص لاذع ، ولذلك أعرض عنها المستعمرون ولم تتناولها يد الإصلاح كبقية الأجزاء الجزائرية الخصب التي استولى عليها الدخيلون الأوربيون . وأهم موارد الحضنة الزراعية القمح والشعير وقليل من الأثمار ومحصولها لا يكفي الاستهلاك المحلي . وينبت فيها الحلفا الذي تستغله بأبخس الأثمان الشركات والمصانع الأجنبية ويستعين المزارعون والقبائل على إنماء مواردهم بتربية الماشية ، وقد اشتهرت هذه المنطقة منذ القديم على ما ذكره ابن حوقل والبكري بوفرة أنعامها وحياد خيولها .

حينذا لو أضاف المؤلف الى بحثه القيم الناحية الاجتماعية والثقافية في هذا الاقليم لتكون دراسته وافية شاملة عن حالته الحاضرة فيتيسر المقارنة بين حاضره وماضيه . وكان الزاب منذ القرن الرابع الهجري ينعم بنهضة علمية مباركة ونبغ فيه طبقة من العلماء والمحدثين ومنهم أحمد بن علي البغاتي والقاسم بن علي خوبلد البسكري وعلي بن منصور وأبي الفضل عطية وغيرهم . والله أعلم كيف أصبح حاله اليوم .



## تاريخ الوزارات العراقية

وضعه السيد عبد الرزاق الحسيني

نشر في سنة أجزاء وطبع في صيدا سنة ١٩٥٣

نشر الجزء الأول من هذا الكتاب القيم في عام ١٩٣٤ وأقبل عليه الناس بارتياح وتهافت على مطالعته القراء وقرّظه في حينه علماء أجلاء ، أشادوا بقيمته العلمية ، وأنشوا على جهود مؤلفه . وأحسن ما قيل فيه ما كتبه عنه المرحوم العلامة أحمد زكي باشا : « وكان في هذا الصنيع البديع مفخرة للعروبة وللناطقين بالضاد ، إذ لم أر له نظيراً يحاكيه أو يدانيه على كثرة ما رأيت في ماثر الفرس والرومان واليونان مما اتصل بعلمي القليل » . ويصح هذا القول في كل جزء من أجزائه الستة .

كان للعراق قصب السبق في تدوين الأخبار ، وكان الصولي نديم خلفاء بني العباس أول من صنف بهذا الموضوع ، وكتابه ( الوزراء ) من أجل كتب السلف . وها هو أحد أبناء العراق يجود علينا اليوم بكتاب ( تاريخ الوزارات العراقية ) الذي بذّ كل من تقدمه بمادته وجوهه وسبقتي هذا السفر من أهم المصادر لتاريخ العراق في نشأته الحديثة مؤيدة بالوثائق والمستندات الرسمية . والأستاذ المؤلف هو شاهد عيان عاصر الحوادث التي دوّنها وخاض معاركها السياسية واعتمد في النقل على شهود عدل حضروا الوقائع وساهموا فيها . جزى الله المؤلف خيراً عن العلم وجمله لأبناء العروبة قدوة حسنة .

—•••••—

## ذكريات

منتخبات من خطب وأحاديث ومقالات لدولة لطفي الحفار  
هي بحمها السيد وجيه ييضون ونشرها في جزئين . يتم الجزء الأول في (٢٩٩) صفحة  
والثاني في (٢٩٥) صفحة من قطم الوسط . طبعت في دمشق سنة ١٩٥٤

لم يزل تاريخنا الحديث على قرب عهده بنا ووفرة مصادره تموزه المادة الأساسية  
لتدوين وقائمه على ضوءها ، وهذه المادة هي الوثائق المعاصرة التي ينهل من  
معينها المؤرخ ويستخلص منها الحقائق ، وذكريات دولة الحفار هي في عداد  
هذه السجلات الحافلة بالوقائع بل موسوعة لحوادث سورية خلال نصف قرن  
عاشها عن كتب صاحب هذه الذكريات .

إن السيد الحفار الذي رافق الحركة العربية منذ فجرها وخاض نضالها الوطني  
في عهد الانتداب ، وكان في طليعة المخلصين الذين قادوا كفاح الشعب السوري  
في سبيل حريته وألهبوا مشاعره وأحسنوا توجيه وعيه القومي في الحقلين السياسي  
والاقتصادي ، فهو جدير بأن تجمع ذكرياته وتخلد ما آثره عظمة للأجيال وتذكرة .  
نشكر الناشر الذي جمع شتات هذه الذكريات وضمها في باقتين يفوح منها  
أرج عاطر ويشع منها نور صافر نضي صفحات غامضة من حاضر تاريخنا .

جعفر الحسني

—••••—



# آراء وأبناء

كلمة الأمير مصطفى الشهابي<sup>(١)</sup>

في حفاة استقباله عضواً عاملاً

في مجمع اللغة العربية بمصر

يقولون إن لكل نفس في هذه الحياة هوى تستلذه وتميل إليه . فسبحان الذي جعل هوى نفوسنا حب لفتنا المضربة ، حباً بلغ فينا مبلغ العشق لها ، بل مبلغ الشفغ بها . وسبحان الذي ما أحلّ في قلوبنا هذا الضرب من الهوى إلا بعد أن أبدلنا بالتعب فيه راحة ، وبالآلم لذة ، وبالسأم غبطة ورضى . لقد آمنا بلغة القرآن إيماننا بالقرآن . فما عسى أن تكون أمنية كل مؤمن بمظمتها ، موقن بحيويتها ، كلف ببيانها وروعيتها ؟ أهو غير الجلوس مع المؤمنين الصابرين ، المداوين لأدوائها ، والحافظين لسلامتها ، والمجددين لشبابها ، والعاملين على جعلها أصح ما تكون للتعليم العالي في الجامعات ، وللتعبير الصادق عما لنا من حاجات كثيرة في خضم هذه المدينة الحاضرة ؟

لقد شتمت من قبل أن أشارككم في عملكم مراسلاً لكم من دمشق ، وشتم اليوم أن أشارككم فيه عاملاً معكم في حصن اللغة والأدب الحصين ، فشكراً

(١) اتخب مجمع اللغة العربية في مصر زميلنا الأمير مصطفى الشهابي عضواً عاملاً في المكان الذي خلا بوفاة الفقيه الملامة محمد كرد علي . وعقد في ٢٧ من كانون الأول سنة ١٩٥٤ جلسة علمية لاستقباله ألقى فيها الدكتور منصور فهمي كلمة الاستقبال باسم المجمع ، ثم ألقى الأمير الشهابي الكلمة التالية متحدثاً عن سلفه الفقيه ، ومنظردها إلى الحديث عن قرارات مجمع مصر العلمية ومبلغ فائدتها لواضعي للمصطلحات العلمية :

لكم أيها الرفاق الأعزاء شكرا . وهل في سويداء القلب غير الشكرات ،  
عندما يكون بيت المتنبي على عذبة اللسان ؟

أما العلامة الرئيس ، صربي رجال هذا الجيل ، ورأس علماء هذا الرعيل  
فأرجو منه أن يتقبل شكر العارف بفزارة علمه ، وجزيل فضله ، وجليل قدره .  
وأما أنت أيها الأخ العلامة المنصور<sup>(١)</sup> فقد تفضلت فأطربني بكلمات كريمة  
وددت لو أنني أستحقها . وما تلك منك إلا عين الرضا تخفي ما في من عيوب ،  
أو هو إزاء الكرم والمروءة والأريحية لا ينضح إلا بما فيه .

ويشجيني بعد هذا أن أتكلم على سلفي الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله .  
فلقد صادفته المودة خمسا وثلاثين سنة ، ورافقته في المجمع العلمي العربي بدمشق  
سبعا وعشرين سنة ، فكان لي فيها كلها نعم الصديق ونعم الرفيق .

وماذا عسى أن أقول فيه ، في دقائق معدودة ، والذكريات تتزاحم في  
خاطري ، فلو أتيح لي أن أنفض لها لألفت فيها كتاباً برأسه ؟  
كان الفقيه أنشط أديب أطلعت دمشق في النصف الأول من القرن العشرين .  
وناهيك من رجل قضى أكثر من خمسين سنة من عمره ، والكتب والأوراق  
مبثوثة على مكتبه ، والقلم مثبت بين أنامله ، فما كف قط عن البحث وعن  
الكتابة حتى آخر يوم من حياته .

ولنا أن تصور مبلغ الفائدة فيما ينتجه الأديب المطبوع في هذه البرهة  
من الزمن ، عندما يكون مجداً في عمله ، مخلصاً للفتنة ، محباً لقومه ، صاعياً  
إلى نشر العلم والأدب في بيئته .

فلا عجب إذن أن يكون للأستاذ ذلك التأثير الكبير في نهضة الشام  
الأدبية وأن يمدد الشاميون عامة ، والدمشقيون خاصة في طليعة رجال تلك النهضة ،

(١) هو الدكتور منصور فهمي كاتب سر بجم اللغة العربية في مصر . فهو الذي امتنخبه  
مجلس المجمع لالقاء كلمة استقبال الأمير مصطفى الشهابي باسم المجمع . وقد استغرق  
إلناؤها زهاء ساعة . أما رئيس المجمع للشار إليه في الجملة السابقة فهو العلامة الكبير  
أحمد لطفي السيد .

وأن يُجمعا على أنه كان أكبر مشجع لشباب الشام على مدرسة كتوز الأجداد الأدبية ، وعلى التزوّد بيزاد العلوم المصرية . ولم تكن محاربة الجهل في الشام من الأمور السهلة في أوائل هذا القرن . فلقد كانت حجب الجهل على العقول مسدولة ، وكانت المدارس التي تعلم العلوم المصرية جد قليلة ، فخارب الأمتاذ الجهل والحجاب والبدع والخرافات ، وحمل بقله على مقتضي الأوقاف الاسلامية ، وعلى الشمرين أعداء العرب ، وعلى بعض المستشرقين ممن تعصبوا على العرب والمسلمين ، وضمّنوا كتبهم آراء طائشة ظلّوا بها المدينة الاسلامية وتاريخها الحميد . ومما يسر له معالجة أدواتنا الاجتماعية والتعليمية رئاسته للمجمع العلمي العربي سنين عديدة ، وتقلده منصب وزير المعارف في سورية بضع مرات . وهو من الأدباء السوريين الأول الذين رحلوا الى مصر في أوائل هذا القرن ، واتصلوا بأدبائها ، وحضروا مجالس الإمام الشيخ محمد عبده ، وكتبوا في بعض الجرائد المصرية كالرائد المصري والمؤيد والظاهر وغيرها . وقد أصدر في القاهرة مجلة «المقتبس» الشهرية ، فعاشت فيها ثلاث سنين . ثم نقلها الى دمشق سنة ١٩٠٨ ، بعد الانقلاب العثماني ، وصقوط السلطان عبد الحميد ، فلبثت تصدر فيها خمس سنين . وكانت هذه المجلة في الشام فريدة فيما تضمنت من بحوث في الأدب والاجتماع والخطوط العربية وتاريخ العرب والمسلمين . ولا شك في أن الفقيه كان ، بعد أستاذه الشيخ طاهر الجزائري ، رأس الباحثين في هذه العلوم ، في نهضة الشام الحديثة .

وكان له جلد عجيب على التقدير عن تراثنا الأدبي القديم . وتيسر له أن يرحل غير مرة للتفتيش عن نفايس دور الكتب المشهورة في القاهرة والقدس وباريس وبرلين وليدن ومدريد والأسكوريال وغيرها ، كما تيسر له أن يتصل بعدد كبير من المستشرقين ، وأن يذاكرهم ويراسلهم ، ويجادلهم في أمور تتعلق بالحضارة الاسلامية ، وبالقدامى من رجال العرب والمسلمين .

وفي دمشق كانت داره ندوة الأدباء والمتأديبين . وكذلك غرفته في المجمع العلمي العربي . فلکم اجتمعنا فيها ، نحن أعضاء ذلك المجمع ، نتذاكر في المحاضرات التي منلقها في ردهته ، أو نناقش في موضوعات لغتنا العربية ، وموضوعات أديها في القديم والحديث .

ولکم استقبلنا في تلك الحجره من علماء وأدباء وأساتيد ومستشرقين ممن يزورون دمشق ، ولا يغادرونها ما لم يرجوا على مجمها العلمي العربي . وكانت بحوث الأستاذ في مجلة ذلك المجمع متلاحقة ، حتى . كاد يكون له في كل عدد من أعدادها بحث في الأدب أو التاريخ أو الاجتماع .

وإذا ذكر الشيوخ الذين لم تجل الشيخوخة دون مشاربتهم على النشاط العلمي جاء الفقيد في طلائع هؤلاء الشيوخ المجددين .

ففي بضع السنوات الأخيرة من حياته صنف كتاب غوطة دمشق ، وكتاب كنوز الأجداد . وحقق ونشر سيرة أحمد بن طولون للبلوي ، والمستجاد من فعلات الأجواد لأبي علي المحسن التنوخي ، وتاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي ، وكتاب الأشربة لابن قتيبة ، وكتاب البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي ، وهو آخر كتاب نشره .

ولا شك في أن كتاب خطط الشام المطبوع سنة ١٩٢٥ م بدمشق في ستة أجزاء هو أجل كتب الأستاذ شأنًا وأغزرها فائدة . وقد ذكر لي مرة أنه لم يبق له في الحياة إلا أمنية واحدة ، وهي أن يتاح له طبع هذا الكتاب طبعة ثانية منقحة . ولكن هيئات أمل الأستاذ فقد حالت الأقدار دون تحقيقه .

ومؤلفات الفقيد كثيرة ، على ما هو معروف ، وبكفي أن أذكر منها ثلاثة كتب طبعتها لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة : فالأول كتاب الاسلام والحضارة العربية ، وهو في جزءين تكلم فيها على العلوم والإدارة والسياسة في الدول الاسلامية ، ودافع فيها عن مدينة العرب والمسلمين أصدق دفاع .



والثاني كتاب أصراء البيان وهو أيضاً في جزئه من ترجم فيها لعشرة من أئمة البيان العربي ، وهم عبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع ، وسهل بن هرون ، وعمرو بن مسمدة ، والصولي ، واحمد بن يوسف الكاتب ، والزيات ، والجاحظ ، وأبو حيان التوحيدي ، وابن العميد . قال الأستاذ المصنف : « هؤلاء هم العشرة المبشرة ، في عصر العرب الزاهر ، يوم أضحى اللسان العربي لغة حضارة وعلم ، وكان في القرن الأول لغة دين وأدب » .

والكتاب الثالث هو كتاب رسائل البلقاء نشر فيه رسائل لعبد الحميد الكاتب ، والأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع ، وكتاب العرب أو الرد على الشعوبية لابن قتيبة ، وملق السبيل لأبي العلاء ، والرسالة العذراء لابن المدير ، وغيرها من الرسائل ديجتها يراعاة عدد من رجال الأدب الرفيع في العصور الماضية . وكان الأستاذ من كتاب العربية المبرزين في هذا العصر . فقد امتاز بأسلوب سهل رشيق ، وبيان ناصع مشرق . وقليل هم الكتاب الذين يستطيعون أن يجولوا بمثل قلمه في الموضوعات المتنوعة التي تضمنتها مصنفاته ومحاضراته العديدة .

لقد قضى الأستاذ كما قلت ، نصف قرن من الزمن حائماً شباب الشام على العلم ، باحثاً عن تراث الأجداد الأدبي ، مدافعاً عن المدينة العربية والاسلامية ، داعياً الى الجمع بين الثقافة العربية والثقافة الغربية . ولئن شئت أن أحل اليوم محله ، فليس من السهل عليّ أن أملاً فراعاً حصل بوفاء مثل هذا الأديب الكبير .

فأنا لست سوى تقار بسيط بنقر في دمشق ، منذ نحو ثلاثين سنة ، عن مصطلحات علمية في علوم الزراعة والمواليد ، فيكبو ويقوم ، ويخطي ويصيب ، ولا مرجع له إلا كتب الأجداد وما فيها من ألفاظ علمية قديمة ، ولا هادي له إلا ما أقره مجمعكم الموقر من قرارات حكيمة في قياسية بعض الأوزان العربية .

ولعل المتأدبين الذين لم يعنوا بوضع الألفاظ العلمية أو تحقيقتها لا يقدرّون هذه القرارات حتى قدرها . أما الذين يضمون المصطلحات العربية ، من دون أن يكون لهم اختصاص بفقّه اللغة ، فقد وجدوها . - أي القرارات - منارة هدتهم إلى السبيل القويم ، وجنبتهم النيه في يبداء كتب اللغة القديمة .

واسمحوا لي ، بعد هذا ، بأن أذكر لكم في جمل قليلة مبلغ الفائدة التي أفدتها من تلك القرارات ، عندما كنت أصنف معجمي المطبوع سنة ١٩٤٣ بدمشق . والهدف الوحيد الذي أرمي إليه إنما هو الإفصاح عن فضل الجمع على واضعي المصطلحات العربية ، وعلى نقلة العلوم العصرية .

فما أقره الجمع : « اشتق العرب كثيراً من أسماء الأعيان . والجمع يبيّن هذا الاشتقاق - للضرورة - في لغة العلوم » .

واستناداً على هذا القرار ألقيتُ الضرورة تقضي بوضع أسماء لبحوث زراعية أصبح اليوم كل بحث منها علماً قائماً برأسه مثل زهارة ( Floriculture ) من زهر ، وهي زراعة نباتات الزهر ، ونخاله ( Apiculture ) من نحل ، وهي تربية النحل ، وحراجه ( Sylviculture ) من حرجة ، وهي زراعة الأحراج ، إلى غير ذلك من المشتقات المائلة كالبستنة من بستان ، والبَرعمة من برعم الخ . وما أقره : « تصاغ مقمّلة قياماً من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للمكان الذي تكثر فيه الأعيان ، سواء أكانت من الحيوان ، أم من النبات ، أم من الجاد » .

وعملماً بهذا القرار صفت على وزن مقفلة عدداً كبيراً من الألفاظ مثل ملبّنة ( Laiterie ) ، ومزبّدة ( Beurrerie ) ، ومقشدة ( Crémérie ) ، ومقطنة ( Cotonnerie ) ، وموردة ( Roseraie ) ، ومززة ( Rizière ) ، ومقصة ( Roselière ) ، ومقرمة ( Haras ) ، ومطيّرة ( Volière ) ، وماتة ( Mûraie ) وهلم جرا .

ومن قراراته : « يصاغ ( قَعَال ) قياساً للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشيء . فاذا خيف ليس بين صانع الشيء وملازمه كانت صيغة قَعَال للصانع ، وكان النسب بالياء لغيره ، فيقال زَجَّاج لصانع الزجاج ، وزُجَّاجي لبائمه » . وهذا القرار أيضاً سهل عملي فقلت مثلاً زَهَّار لبستاني الزهر ، وزَهَّري لبائمه ، وكلاهما بالفرنسية ( Fleuriste ) . وقلت كترهَام لفارس الكروم ( Viticulteur ) ، ووَرَّاد لزراع الورد ( Rosiériste ) ، الى غير ذلك من الكم .

وهناك القرار الذي يميز الصياغة قياساً من الفعل الثلاثي على وزن مِفْعَل ومِفْعَلَة ومِفْعَال للدلالة على الآلة التي يمالج بها الشيء . فلقد وضعتُ ، بناءً على هذا القرار ، أسماء عديدة لآلات وأدوات زراعية حديثة كالمِبْدَر ( Semoir ) ، والمحصد ( Moissonneuse ) ، والمدرس ( Batteuse ) ، والمرخمة أو المحضنة ( Couveuse ) ، والمِحْشَة ( Faucheuse ) دع الأسماء التي هي على وزن اسم الفاعل ومبالغة كالناصبة ( Releveur ) وكالجرارة ( Tracteur ) الخ .

وكذلك القرار الذي يميز لنا صياغة مصادر على وزن فِعَالَة ، من أبواب الثلاثي ، للدلالة على الحرفة أو شبيها . فلقد رجعت اليه في مثل قولي غيراسة من غرس ، فجعلتها أمام كلمة ( Arboriculture ) ، وإن لم ترد الغراسة في المعجمات ، في مادة غرس ، بل وردت عرضاً في مادة خَرَجَ في التاج واللسان . ومثل رِسَامَة ، وضما غيري لحرفة الرسم ( Dessin ) .

ثم قياسية صنع المصادر الصناعية ، بأن يزداد على الكلمة ياء النسب والثناء . أفلم ييسر لنا هذا القرار مثل قولنا في العلوَم قِلْبُوِيَة وحمْضِيَة وعطْرِيَة وسمِيَة وخشْبِيَة ، مثلاً قال القدماء مائية وكيفية وكية وعروية وفروسية وغير ذلك .

وكذلك قياسية صيغة 'فصّال للمرض' ، مصدرًا من فصّل اللّازم المفتوح العين ، فقد استفاد أساتيد الطب من هذا القرار . ووجدتهم لم يكتفوا به ، بل اشتقوا من أسماء الأعيان أيضًا كلمات على هذا الوزن ، مثل وُرّاك (Coxalgie) من الورك ، وعُصّاب (Nevralgie) من العصب .

وأجاز المجمع التعريب عند الضرورة ، فيسر لي تعريب عدد غير قليل من أسماء النبات والحيوان والمعادن . وهي أعيان لم تعرفها العرب ، وكلها لا بد من تعريب أسمائها ، لأنها منسوبة إلى أعلام ، أي إلى علماء أو ملوك أو حكام أو أقاليم أو مدن أو أحد آلهة القدماء ، وإما مقتبسة من إحدى اللغات كلغات هندو أمريكية أو غيرهم من الأقوام . مثال ذلك دهلية (Dahlia) فهي زهرة نسبوها إلى نباتي سويدي اسمه دهل . ودروينية (Darwinia) فهي جنبة للتزيين سميت باسم دروين العالم المواليدي المشهور . وكاكاو أو كاكاؤو فهي من لغة شعب الأزتيك القديم في مكسيكو . وكذلك الشوكولاتة الخ .

ونحن لا ننجيز لأنفسنا التعريب إلا عند الضرورة ، أي إذا لم نجد في كتبنا القديمة كلمة عربية تقابل الكلمة الأعجمية ، ثم إذا لم نستطع إيجاد كلمة عربية جديدة سائغة بوسائل الاشتقاق والمجاز . ولكنه لا مفر لنا من تعريب مثل ما ذكرت من أسماء .

وقد أجاز المجمع النحت عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية . ولكنه صار فيه بتؤدة يحمده عليها . ولم أجد في أجزاء مجلته السبعة إلا بضع كلمات منخوتة . وأنا لم أنحت في معجمي سوى كلمات تعد على الأصابع ، منها كلمة لبّارز مثلاً ، فهي من كلمتي لبنان وأرز . وهي تطلق على شجر للتزيين غير أرز لبنان ، واسمه العلمي (Libocedrus) . وهذا الاسم العلمي منخوت من (Liban) و (Cedrus) أي لبنان وأرز ، فاضطرت مرغمًا أن أسميه لبّارزا .



والذوق له شأن كبير في موضوع النحت . وكذلك سهولة الفهم . وكثيراً ما يكون استعمال كلمتين عربيتين أصلياً وأدعى إلى الفهم من استعمال كلمة واحدة مخوثة يجها الذوق ويستغلق فيها المعنى . فالطالب الأوربي يحفظ الأصول والصدور والكواسع اليونانية في الكلمات العلمية الأعمجية . ولذلك إذا قلنا له مثلاً : هذه الحشرة هي من رتبة الـ ( Orthoptères ) أو الـ ( Névroptères ) فهو يدرك معنى هاتين الكلمتين بلا مشقة . وكذلك إذا قلنا للطالب العربي : ان الحشرة المذكورة هي من رتبة مستقيبات الأجنحة ، أو من رتبة عصبيات الأجنحة ، فهو أيضاً يدرك المعنى من دون أن يكدر ذهنه . ولكننا إذا فاجأنا طالبنا العربي بمثل قولنا مُسَجَّيَّاتٍ أو عَصَجِيَّاتٍ ، فهو سينظر إلينا مشدوهاً فاقده الفهم . وإذا رفقنا به ، وتركنا كلمة جناح على حالها ، قائلين مسجناحيات وعصجناحيات ، فهو أيضاً لن يفهم معناه ما لم نقل له انهما مخوختان من كذا وكذا . ومتى احتاج الأمر إلى بيان أصول المخوختات العلمية ضاعت فوائد النحت .

ولكل لغة قوالها وأصاليها ، والعربية لغة اختزال . ولا يضيرها التعبير عن معنى من المعاني العلمية بأكثر من كلمة ، بل الذي يشوهها انما هو أن يضاف إليها ألوف من المخوختات الثقيلة الغامضة التي لا لزوم لها البتة . والقائلون بالنحت لم اعتراض معروف ، وهو انه من السهل النسب إلى الكلمة الواحدة المخوثة ، خلافاً للنسب إلى المركب الإضافي . ولكن ماذا يجبرنا على ترجمة النسبة بالنسبة . فالترجمة لا تكون دائماً ترجمة كلمة بكلمة ، ولا صيغة بصيغة ، بل تقوم على حسن فهم المعنى وإفراغه في قالب عربي مقبول . وقد أجاز المجمع استعمال المولد من المصطلحات العلمية والصناعية وغيرها ، التي جروا فيها على أقبيسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو نحوهما . وفي هذا القرار مجال لاستعمال عدد كبير من الألفاظ العلمية التي لم تتضمنها معجمات

الأصلية ، ولكنها وردت في كتب علمية قديمة مشهورة . وفوائد هذا القرار واضحة .  
ويطول بي نفس الكلام اذا ما رحت أبحث في سائر قرارات الجمع العلمية ،  
كترجمة بعض الزوائد اليونانية من صدور أو كواضع ، وكضبط الأعلام  
الجغرافية ، وكتابة بعض الحروف الأجنبية بالحروف العربية ونطقها ، وكتابة  
الأعلام اليونانية واللاتينية بحروف عربية .

وهيات أن يتسع المجال للكلام على تلك البحوث اللغوية الجليلة المبثوثة في  
مجلات المجلة ، والتي بلغت الذروة في دقة التحقيق العلمي . ولا يمكنني أيضاً  
الكلام على المصطلحات العلمية التي وضمها الجمع أو أقرها ، فعدّها العارفون  
أصلح مصطلحات عربية لما يقابلها من الألفاظ العلمية الأعمجية .

ولا نظنوا أيها السادة أن مصطلحات الجمع هذه لبثت مدفونة في صفحات  
المجلة . فالحقيقة أنه ما من أستاذ نبيه بؤلف كتاباً مدرسياً إلا ويرجع الى مجلة  
الجمع في التفتيش عن ألفاظ عربية في علمه . ولكم سألني الأساتيد والمدرسون  
وغيرهم في الشام عن المجلة ، وعن السبيل الى تداركها ، لأنهم لا يكتفون  
بمراجعتها في خزانة الجمع العلمي العربي ، أو خزانة الجامعة السورية ، بل يتوق  
كل منهم الى جعلها في خزائنه الخاصة .

ويهم كل عربي حريص على سلامة لغته أن يكون مجمع اللغة العربية في  
مصر مرجعاً تؤول اليه جهود الأفراد وجهود الجماعات التي تعنى بوضع المصطلحات  
العلمية في جميع البلاد العربية . فلقد أصبح اختلاف هذه المصطلحات داء  
من أدواء لغتنا المصرية . وهذا الداء ينمو ويستشري كما اتسعت الثقافة في  
أقطارنا ، وازداد فيها عدد نقلة العلوم الحديثة الى لساننا ، أو عدد المؤلفين في  
تلك العلوم . ففي كل قطر توضع مصطلحات جديدة لا يدري علماء الأقطار  
الأخرى عنها شيئاً . وتكاد الصلات تكون مقطوعة بين أساتيد الجامعات  
وكلياتها في مصر والعراق والشام . وإذا تهادوا مؤلفاتهم ، تمصب كل أستاذ

م (١١)

للمصطلحات التي وضعها أو التي أُلّف استعمالها . وربما راح يزري بمصطلحات زملائه . وربما تطاعن الأماثيد في الصحف ، بهوادة أو بلا هوادة ، حتى في البلد الواحد .

ونروح نفثش عن حكم يكون في حكمه فصل الخطاب ، فلا نجد عندنا إلا هذا المجمع الذي له مكاتته المرموقة في الأقطار العربية كافة . فهو الأداة الوحيدة التي نستطيع أن نصنف معجماً أعجمياً عربياً للمصطلحات العلوم والآداب والفلسفة والمخترعات الحديثة ، وأن تفرضه على حكومات الأقطار العربية ، وعلى أدبائها وعلمائها . والسبيل إلى ذلك في نظري إشراك الدول العربية في نفقات هذا العمل الكبير ، بقرار يتخذ في مجلس جامعة هذه الدول ، وإشراك الأثبات من الاختصاصيين بالمصطلحات ، في مصر وفي غير مصر ، في وضع قوائم أو معاجم صغيرة بمصطلحات علومهم . وعندما يجتمع كل ذلك في هذا المجمع تمحص فيه المصطلحات ، ويصنف المعجم ، ويطلع ، وبذاع بثمن بخس . وأعتقد أن هذا العمل لا يستغرق أكثر من بضعة سنوات ، ولا سيما إذا عوض كل عامل في المعجم عن أتعابه تعويضاً عادلاً .

وأكاد أجزم أنه ما من دولة عربية تهجم عن دفع ما يصيبها من نفقات كبيرة كانت أو صغيرة . وتكون حكومات تلك الدول ميالة إلى فرض المعجم ومصطلحاته على وزاراتها ومدارسها ومؤسساتها العامة ، لأنها تمد نفسها مشتركةً مالياً وأدياً في تصنيفه .

وبذلك تتوحد المصطلحات في أقطارنا العربية ، ويكون الفضل الأكبر لمجمعكم الموقر في إنجاز هذا العمل الحيوي الكبير في مدة وجيزة .  
وبعد ماهي ياسادتي مغبة تطويقكم لعنتي بهذا الطوق الذهبي الجميل من المنة والإحسان ؟ لقد كنت في دمشق أئلس طريقي ، فأضع الصحيح والمغلوط ،

والراجع والمرجوح من المصطلحات . أما بعد اليوم فقد يسرتم لي عرض ما أضع  
أو أحقق منها ، على علماء أثبات ، مجائين في كتب العلوم وكتب اللغة ، يرون  
بالمين المجردة ما لا يراه غيرهم بالمجهر .

وقصاراي ، كما التبت عليّ الأمور ، أن أميل على جوانبكم ، ميلان  
الشاعر على جوانب أبيه .

قدّرني الله على أن أكون عند ظنكم بي . ولا زالت مصر العزيزة رأساً  
للعالم العربي ، ومعقلاً منيعاً للغة القرآن .

مصطفى الشربابي

### الجزء الأول

الجزء الأول طبع بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة « ١٩٥٢ » م

- ١ -

تأليف الباحث حبيب زيات ، وأكثر هذه الخزنة في تاريخ الحضارة الاسلامية ،  
وهي من الكتب النافعة ، ولمؤلفها أسلوب خاص به في البحث والاختيار ،  
ولا يعاب الذوق الأدبي مادام ملتزماً لأصول البحث العلمية ، وقد ضمن كتابه  
أشياء ممتعة ، تغلب عليها الجدة والظرافة ، وقال في مقدمة هذا الجزء في الصفحة « ٥ » :  
« وأرصدنا لها [ الدروس والنصوص المقدم ذكرها هناك ] هذا المجموع الذي  
دعواته « الخزنة الشرقية » لاقتضاره على ما يخص الشرق وحده والشرقيين في  
القرون التي سبقت دولة الأتراك العثمانيين ، دون أقل تعريب <sup>(١)</sup> عن الأصول  
الأوروبية ( كذا ) أو اقتباس من تقدمنا من الكتب والمؤرخين » .

(١) أراد « دون أقل نقل أو ترجمة » فالترتيب عند الفصحاء هو جعل الكلمة  
الأجنبية على وزن كلمة من كلم العرب ، ومن ذلك كتاب « للمرب » للجواليقي .



وقد رأينا في هذا الجزء وغيره من الأجزاء الثلاثة الأخرى ما يستوجب الحقائق العلمية والذمة الأدبية تنبيه الباحث الفاضل عليه من أمور وهم فيها ، وتقتصر في هذا التنبيه على الجزء الأول فنقول :

١- إن إقتصاره على الكتب العربية والاسلامية مما يشكر له ويستحسن منه لأن الجدّة والطرافة اللتين أشرنا اليهما من أعسر الأمور في مثل هذه البحوث ، إلا أنه لم يلتزم ما قال التزاماً تاماً ففي الصفحة « ٤٨ » و « ١٥١ » وغيرهما<sup>(١)</sup> نقل من الكتب الأوربية ، فلو حذف « دون » واستبدل بها « بأقل » لكان خيراً له .

٢- وقال في - ص ٣ - « وظلّ النصارى دهرًا طويلاً يتخذون الأسماء الاسلامية البحتة حتى بطانة الخلفاء دون أن يقع عليهم أقلّ إنكار مثل الحسين ابن عمرو كاتب المقتني وعلي بن الراهبة طيبه ٠٠٠ » .

ولم يذكر مرجع هذا القول لحسابه إياه من البديهيات ولكنه لم يميز بين الخليفة المقتني « ٥٣٠ - ٥٥٥ » هـ والخليفة المكتفي « ٢٨٩ - ٢٩٥ » هـ ، وقد علمنا أنه أراد الخليفة المكتفي بأنّ المقتني لم يكن له كاتب اسمه « الحسين بن عمرو » فهذا كاتب المكتفي ، قال أبو جعفر الطبري في حوادث سنة « ٢٨٩ » من تاريخه « ولما توفي المعتضد كتب القاسم بن عبيد الله بالخبر الى المكتفي كتبها وأنفذها من ساعته ، وكان المكتفي مقبلاً بالرقعة ، فلما وصل الخبر اليه أمر الحسين بن عمرو النصراني كاتبه بومئذ بأخذ البيعة على من في عسكره ووضع العطاء لم يفعل ذلك الحسين »<sup>(٢)</sup> .

٣- وقال في الصفحة « ٧ » منها « لم تدخل الألقاب مع الأسماء والكفى

(١) كما في الصفحة « ٥ » من الجزء للذكور .

(٢) تاريخ الامم والملوك « ج ١١ ص ٣٧٣ » من طبة للطبعة الحسينية بمصر .

في حدّ الأعلام إلا في الدولة العباسية ، وأوّل ما اتخذت بالاضافة الى الدولة<sup>(١)</sup> في أيام الخليفة المكتفي بالله ٢٨٩ - ٢٩٥ هـ قال ابن القلانسي : وانما كان الرسم جارياً في القديم باطراح الألقاب والانكار لها بين ذوي العلوم والآداب ، فلما ظهرت الدولة البويهية الدبلوماسية لقب أول مسعود بنغ فيها بماد الدولة بن بويه ٥٠٠ هـ . فهو هنا لم يميز بين المستكفي « ٣٣٣ - ٣٣٤ هـ » والمكتفي المقدم ذكره ، وذلك أن الألقاب التي ذكرها إنما أحدثت على عهد المستكفي العباسي لا على عهد المكتفي ، وفي أيامه نبغ عماد الدولة علي بن بويه ، قال ابن الأثير في حوادث سنة « ٣٣٤ هـ » : « ووصل معز الدولة الى بغداد حادي عشر جمادى الأولى فنزل بباب الشامسية<sup>(٢)</sup> ، ودخل من الفد الى الخليفة المستكفي وبأيمه وحلف له المستكفي ٥٠٠ . وخلع الخليفة على معز الدولة ولقبه ذلك اليوم معز الدولة . ولقب أخاه علياً عماد الدولة ولقب أخاه الحسن ركن الدولة ، وأمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدرهم<sup>(٣)</sup> ٥٠٠ » .

٣ - وذكر في « ص ١٠ » أن طائفة من النصارى الأعيان كانوا يتلقبون أيضاً نظير الأسالة أي يضيفون ألقابهم الى الدين قال « ولا بأس أن نذكر بعضاً منهم تنويراً للأذهان فمنهم جمال الدين علي بن اتردي النسطوري وتاج الدين ماري بن صاعد توما وكيل مجاهد الدين أيبك المستنصري المعروف بالدويدار الصغير ٥٠٠ » . وذكر آخرين . ولم يذكر المرجع التاريخي أيضاً ، على أن ذلك لم يكن مقبولاً من باحث رزين العقل ، لأنّ الدين في الدول الاسلامية

(١) أراد « واول ما اتخذت مضافة الى الدولة » . ومعنى « اتخذت بالاضافة الى الدولة : اتخذت بالنسبة الى الدولة » وليس هذا موضعه وسبقه اليه ابن جبير .  
 (٢) كانت الشامسية من شمالي بغداد يومئذ ونزل هويباها اي في ارض محلة « الصليبخ » الحالية من الجانب الشرقي لدجلة ، ومحلة الصليبخ مجاورة للأعظمية للمدفون فيها الامام ابو حنيفة النعمان .  
 (٣) كامل ابن الاثير « ج ٨ ص ١٤٨ » من طبعة المطبعة المجاورة لمسجد القطب الدردير سنة ١٣٠٣ هـ .

هو «الاسلام» عند إطلاقه وتعريفه بالألف واللام، فكيف يكون مسموحاً يومئذ لنصراني بأن يلقب مضافاً الى الدين؟ فكان إذا أُسِمَ نقل لقبه من «جمال الدولة» أو «جمال الملك» مثلاً الى «جمال الدين» فأما الإضافة الى الدين وهو على نصرانيته فغير جائزة أصلاً. ولكن من الكتب التاريخية ما يصحّف فيه أحياناً «جمال الدولة» الى «جمال الدين». فان كان الباحث الفاضل وجد نصّاً على نصرانية «علي بن اتردي» هذا فقد تصحّف لقبه «جمال الدولة» الى «جمال الدين» في عيون الأبناء «ج ١ ص ٢٩٨» وإلا فهو مسلم، والقصيدتان اللتان قالهما فيه همّام الدين أبو الحسن علي بن اسماعيل العبدي الشاعر تصرّحان باسلامه، وقد ذكرهما مؤلف عيون الأبناء ففي الأولى يقول له سنة «٥٨٠» على عهد الخليفة الناصر لدين الله المقدّس السيرة بين الخلفاء :

سمّاً جمال الدين قو ل مصاحب الودّ السليم  
إنا ليجمنا الولا . على صراطه مستقيم

وبهتته في الثانية بالعيد ويقول :

وليهنك العيد الذي به العداة لم تُتهنّ

وهذا القول لا يقال إلا لمسلم فما دليل الباحث الفاضل على نصرانية جمال الدين ثلي بن سعيد ابن اتردي؟

وأما «تاج الدين ماري بن صاعد توما ٠٠٠» المذكور فقد خلط الباحث - وهو يدعي الاختصاص بتاريخ النصارى - بين لقبه ولقب أخيه أبي طاهر، وجعل اللقب «تاج الدين» بدلاً من «تاج الدولة» قال مؤلف الكتاب الذي وصّناه بالحوادث الجامعة ظناً في حوادث سنة ٦٤٣ هـ «وفيها توفي الحكيم شمس الدولة أبو الخير سهل بن [صاعد بن] توما النصراني اليعقوبي ٠٠٠ وحزرت فركته فكانت ستائة ألف دينار ٠٠٠ وخلع على أخويه نجر الدولة ماري

وتاج الدولة أبي طاهر ، ورتب نخر الدولة ماري في جميع الأشغال التي كانت منوطة بأخيه ٠٠٠ ورتب تاج الدولة و كيل باب عنبر ٠٠٠»<sup>(١)</sup> .

فلقب «تاج الدولة» لا تاج الدين كما زعم حبيب زيات هو لقب أبي طاهر ، و «نخر الدولة» هو لقب ماري بن صاعد بن توما أخي المذكور ، ويؤيد تلقيب ماري بفخر الدولة ما ذكره ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب قال في باب «الفخر» من معجم الألقاب المذكور «نخر الدولة أبو علي وأبو الخير ماري بن أمين الدولة صاعد بن شمس الدولة سهل بن أبي عبد الله توما النصراني اليمقوبي البغدادي الكاتب ، قال شيخنا [ ابن الساعي ] في تاريخه : في صفر سنة ثلاث وأربعين ومائة رتب نخر الدولة ماري بن صاعد في جميع الأشغال التي كانت منوطة بأخيه شمس الدولة سهل بن صاعد ٠٠٠» ورتب أخوه تاج الدولة أبو طاهر و كيل باب عنبر<sup>(٢)</sup> ٠٠٠» .

فعلى هذا يظهر أن الرجل لم يُحسّن النقل ولا أجاد البحث ، وهذا الاعتراض يتوجه على كل من ذكر من النصارى الذين ادّعى تلقيبهم مضافين الى الدين وهم لم يدخلوا في الاسلام ، وبكفيك من القلادة ما أحاط بالجيد .

٤ - وتقل في «ص ١٧» من خزائنه أن من الخواجات<sup>(٣)</sup> الوزراء «ناصر الدين خليفة ابن خواجا علي شاه وزير ابن ابي سعيد ٧٣٨ هـ (١٣٣٧ م)» .

وذكر أنه تقل ذلك من كتاب السلوك لتي الدين المقريري المحفوظ بدار كتب باريس الوطنية (١٧٢٦ ج ١ ص ٤٦٤) ولم يسائل نفسه من «ابن أبي سعيد هذا؟» فالوارد في نص السلوك من حوادث سنة «٧٣٨» المقدم ذكرها اخصاً بذلك هو قول المقريري :

- (١) للوسوم بالحوادث الجامعة «ص ١٩٨» من طبة بغداد .
- (٢) تلخيص معجم الألقاب «ج ٤ ورقة ٣١٤» من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق .
- (٣) فاتت أشياء من الخواجات والخواجكة لا نري عملاً لذكرها فلنا في سبيل الاستدراك عليه بل في التقيب على ما وم فيه .



« وفيها قدم ناصر الدين خليفة بن خواجا علي شاه وزير أبي سعيد ، فأكرمه السلطان وأنعم اليه ( كذا ) وأجرى له راتباً بدمشق ثم أنعم عليه بتقدمة ٠٠٠ » .  
 فهو أبو سعيد لا « ابن أبي سعيد » كما ذكره الباحث المذكور ، وهو آخر سلاطين الدولة الأيلخانية المعروفة وترجمته مشهورة في كتب التاريخ كالسلوك للمقرئزي والذمر الكامنة لابن حجر العسقلاني والوافي بالوفيات للصفدي والنجوم الزاهرة والمنهل الصافي لابن تفرج يردى ، والموصوم - كان - بالوزارة والده لاهو ، ففي نقله وبجسه غلظتان : الزيادة في النص - وصوء الفهم .  
 ومن هذا الضرب نقله وتصديقه بالمصحف المستحيل كقوله في « ص ٣٨ »  
 نقلًا من جزء تاريخ ابن النجار المحفوظ بدار الكتب الوطنية بباريس الكبير التصحيف « قال سمعتُ عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : كنتُ أحبُّ فأخذني أبي يدي وعبر بي الجسر ففضى الى شارع<sup>(١)</sup> الرصافة ، فلما انتهينا اليه رأينا حباباً فيها السويق والسكر والماء المبرد بالكليج ٠٠٠ فقلت يا أبا من معاوية ٠٠٠ فهذه حكاية عجيبة ظريفة » .

فهل يجوز في الحكم أن طفلاً يجبو ولا يستطيع المشي مستقلاً يأخذ أبوه يديه ويهبر به الجسر ، وأن الطفل الحائلي يسأل أباه من معاوية ؟ ويجيبه أبوه جواب رجل كبير للإنسان مدرك بفهم الحديث الناضج ؟ فلو جعل « أصبو » من صبا فلان يصبو أي مال الى الصبوة أي جهلة الصبيان لكان القول محتملاً ممكناً ، ثم إنه حذف من الأصل جملة « من قول أحمد رضي الله عنه » والأصل « فهذه حكاية عجيبة ظريفة ( كذا ) من قول أحمد رضي الله عنه » .  
 ٥ - وجاء في « ص ٥٩ » من كتابه المذكور « وأنكر عليهم أبو العلاء المرعي هذا الشذوذ فقال :

(١) لعله « جامع الرصافة » وهو ممدن الحنابلة يومئذ وكذلك محلة الرصافة التي كانت مجاورة لمحلة مشهد الامام أبي حنيفة [ الأعظمية الحالية ] وزالت مع الحال الزائلة ثم استؤنفت المهارة فيها في هذا الزمان مثل كلية أهل البيت .

أرى جيل التصوف شرَّ جيل فقل لهم وأهوت بالحلول  
 أقال الله حين عبدتموه كلوا أكل البهائم وارقصوا لي ؟  
 وقلده في هذا الهجاء شداد بن ابراهيم الملقب بالطاهر الجزري فقال بلفظه ومعناه :  
 أيا جيل التصوف شرَّ جيل لقد جنتم بأمرٍ مستحيل  
 أفي القرآن قال لكم إلهي : كلوا مثل البهائم وارقصوا لي ؟  
 نقل الخبر الأول من معجم الأدياء لياقوت الحموي « ج ١ ص ١٧٥ » والخبر  
 الثاني منه أيضاً « ج ٤ ص ٢٦١ » .

والصحيح أن أبا العلاء المعري هو الذي قلده الطاهر الجزري ، لأن الطاهر  
 توفي سنة « ٤٠١ » كما جاء في معجم الأدياء وغيره ، ولأن أبا العلاء توفي  
 سنة « ٤٤٩ » كما في كتب التاريخ التي تذكره ، ولأن الجزري أدرك الوزير  
 أبا محمد المهلبى وزير ممر الدولة ومدحه وهو قديم الوفاة ، ثم إن « الطاهر الجزري »  
 اسمه « صدّاد » بالسین المهملة لابالثلثين المعجمة كما وهم ياقوت الحموي والباحث  
 حبيب زيات وغيرهما ، ولكونه بالسین المهملة جعله الصفدي في باب السین  
 المهملة من كتابه « الوافي بالوفيات » قال :

« السخاوي علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد

صداد بن ابراهيم أبو النجيب الجزري الملقب بالطاهر شاعر . . .

سدبف بن ميمون المكي الشاعر مولي آل أبي لب « . . . » (١)

وذكره ابن شاكر الكتبي في باب السین المهملة من فوات الوفيات قال « ج ١ ص ١٦٧ » :

« محميد (٢) بن أبي الحساس . . .

صداد بن ابراهيم أبو النجيب الجزري الملقب بالطاهر . . . كانت وفاته في

حدود الأربعمائة . . .

صعد الله بن نصر الله بن سعيد . . .

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ ورقة ١١٦ » .

(٢) هو عبد بن الحساس لا ابن أبي الحساس .

وقال القائم على طبع الكتاب في الهامش ما هذا نصه « أبو النجيب الجزري هكذا ذكر هنا في النسختين وحقه أن يذكر في المعجمة » وقد وهم القائم على الطبع في تعليقه هذا ، وأصاب ابن شاکر في جعله في باب السين المهملة .  
وأعيد طبع فوات الوفيات بمصر سنة « ١٩٥١ » بإشراف الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، « ج ١ ص ٣٤٠ » وقد صحفه هذا الرجل الجريء على التصحيف الى « شداد » وعلق عليه قائلاً « كذا وقع هذا العلم وسط حرف السين المهملة وآثرنا بقاءه في موضعه من الأصول مع التنبيه على أن موضعه في حرف السين وله ترجمة في معجم الأدباء » . ثم قال في فهرست الجزء الأول تعليقا على « شداد » هذا « هكذا وقع هذا الاسم بين الأسماء المبدوءة بحرف السين المهملة » . فهو لم يزد على أن وقع في الوهم الذي وقع فيه طابع الوفيات قبله ولكنه احتجب الخطأ وحده ، وأرى القاري أنه لم يسبقه اليه أحد . وجاء في كتاب المجموع اللغيف « ورقة ٢١ » أن بيني الطاهر الجزري هما :

أرى جيل التصوف شراً جيلٍ فقل لهم وأهون بالحلول  
أقال الله حين عشتموه : كلوا كل البهائم وارقصوا لي ؟  
وهكذا أورد في فوات الوفيات وذلك يعني أنها نسبا الى أبي العلاء المعري  
تشبيهاً عليه أو انتزاعاً من الجزري .

مصطفى جواد

(بغداد)

« بنبع »



## (دهاليز) أم (كواليس)؟

وهذه كلمة أخرى ولدتها الحياة النياية فيما أحسب ، دائرة على الألسنة وتناولتها أقلام الكتاب وسجلات على صفحات الجرائد ، أريدُ بها : ( كواليس ) ، ( من أسرار الكواليس ) .

نساءت عن معنى هذه العبارة وعمما يريد بها فأتلوها حين يطلقونها من أفواههم أو كاتبوها حين يثبتونها على الورق دون أن يحاولوا البحث عن فصحي الألف ووقفاً على الأذن ، وأيسر لفظاً من الفم .

فأما ( كواليس ) والحقيقة ( كوليس Coulisse ) فهي افرنجية لم يكتف مقتبسوها من الأعجمية باستعمالها مفردة ( كوليس ) فتجاوزوا الى جمعها ( كواليس ) كأنما هي عربية الأصل .

و ( Coulisse ) بالفرنسية مشتقة من ( Couler ) وهذه من اللاتينية ( Coulare ) وتعني ( filtrer ) أي ( رشح ، تسرب ) ومعناها الحقيقي كما جاء في معاجهم : ( مجرى ، حجرة ، جزء من المسرح خلف تزييناته وعلى طرفي صحن المسرح ) ثم انتقلت عندهم مجازاً الى السنة السامة والكتاب ليمبروا عمما هو واجب كتابته عن الشعب من أسرار السياسة ( les coulisses de la politique ) . فأتت ترى أن الـ ( كواليس ) ما هو في الحقيقة إلا ( رواق ) يُسترق فيه السمع أو تُتسقط فيه الأخبار للوقوف على سر مطلق أو إخبار مطلق ، بتسابق للحصول عليه أرباب الصحف الحريصون على أن يقدموا لقراءهم كل ما هو طريف ظريف .

ولو جاز استعمال ( كواليس ) لوجب أن يقال ( ما وراء الكواليس ) بمعنى ( ما وراء الأُسرار ) لا كما يقولون ( من أسرار الكواليس ) لئلا يكون المعنى ( من أسرار الأُسرار ) وهو معنى غير مستقيم .



فلئن كان لا بد لأصدقائنا الكتبة من كلمة تقرب ورتاً من (كواليس) وتطيب وقماً على السمع مثلها ، فلنكن (دهاليز) . فـ (الدّهليز) لغة (ما بين الباب والدار ، جمعه دهلوز) وفي هذا الشرح ما يراد به من كلمة (كواليس) . فيقال (من أصرار الدهاليز) أي الأروقة - أروقة دور الحكومة أو الندوة التياية - التي يتسرب منها استراقاً أو تسقطاً ، بعض أصرار المناقشات العجبية أو المشادات القريبة مما لا يجوز اطلاع العامة عليه . والأفلا معنى لقولم (من أصرار الكواليس) أي (من أصرار الأصرار) لأن (الكواليس) تتضمن (أصرار السياسة) ، فمن الكياسة إذت أن تتعمل بعد الآن أصرار (دهاليز) خصوصاً وهي (الحرز الحرز) تنطلق فيه الألسنة الدلقة دون وجل وتنحبس خارجه خوف النبعة من الزلل .

السكواكي

~~~~~

### « الرماح الردينية »

قرأت في الجزء الأول من المجلد الثلاثين من مجلة المجمع العلمي العربي كلمة الأستاذ خالد بن محمد الفرج عن الرماح الردينية . والأستاذ مصيب في قوله ان «ردينة» اسم مكان على الأرجح ، وحق في تفنيده الزعم القائل بأن «ردينة» كانت امرأة تثقف الرماح - فهذا أمر بعيد الاحتمال . والظاهر انه سبق الانباء الى هذه النقطة بعينها فجعل بعضهم «ردينة» اسم رجل بثقف الرماح لا امم امرأة<sup>(١)</sup> . وقد أدى الأستاذ خالد بن محمد الفرج خدمة جليلة يشكر عليها جميعته أما كن نباتها .

غير أني أرجو أن يسمح لي الأستاذ بالتنيه على نقطة ثانوية هي استشهاده

بيتي النابغة :

(١) معجم البلدان لياقوت - مادة ردينة .

أثبت نبتة جمده ثراه به عوذ المطافل والمتالي  
 بكشفن الألاه مزينات بغاب «ردبنة» السحم الطوال  
 والأستاذ يستدل على أن هذا مكان ذو مستنقعات وغاب نباته أسود كثيف  
 طوبل .

والقاريء يلاحظ أن صيغة النعت في «السحم الطوال» تدل على أن لفظ  
 «غاب» هنا بمعنى القصب ذاته أي الرماح لا الغابات . ومعنى ذلك أن الباء  
 هنا باء الاعتال لا بمعنى «في» على المكانية . وعلى ذلك بطل الشاهد .  
 والذي يقرأ قصيدة النابغة يجد أن الشاعر يصف دياراً مهجورة قد سكنها  
 صوار من بقر الوحش وهي المقصودة بهذين البيتين . وقد انبثه ابن حبيب لهذا  
 الأمر ففسر الغاب هنا على أنه كناية عن قرونها - أي قرون كغاب ردينة  
 السحم الطوال . وأورد ياقوت<sup>(١)</sup> تفسير ابن حبيب كما يلي : «أراد أن  
 العود هي التي تكشفها عن الشجر بقرونها ، يعني الأغصان ، ثم قال السحم  
 وهي السود نعت للقرون» .

والظاهر أن ابن حبيب قرأ مزينات بالباء المكسورة من الزين وهو الدفع -  
 والقرن أداة الزين . ولعل الشاعر أراد هنا حركة الرأس التي تلاحظ في الحيوانات .  
 وربما كانت القراءة مزينات بفتح الباء بمعنى مدفوعات أي مطردات يتبعها  
 الصيادون بالرماح الردينية السحم الطوال .

أما القراءة التي يجدها المطالع في طبقات ديوان النابغة ، وهي «مزينات»  
 بالياء المفتوحة ( وأحياناً المكسورة ) فلعلها أضغف للتكلف في تعليق الحال .

الدكتور وليد عرفات

(لندن)

(١) معجم البلدان لياقوت - مادة ردينة .

## فهرس الجزء الثاني من المجلد الثلاثين

|                                         | صفحة                                         |
|-----------------------------------------|----------------------------------------------|
| للأستاذ خليل مردم بك . . . . .          | ١٧٧ تحرير (١)                                |
| للدكتور جميل صليبا . . . . .            | ١٩١ حدود المل عند الفزالي                    |
| للأستاذ قدرى حافظ طوقان . . . . .       | ٢٠٢ العرب والهندسة المستوية                  |
| الدكتور صاهي الدهان . . . . .           | ٢١١ مجلد كرد علي ( حياته وآثاره )            |
| الأستاذ عبد القادر المقرني . . . . .    | ٢٥٣ في اللغة أبناء كحلان                     |
| الأستاذ كور كيس عواد . . . . .          | ٢٦٨ فهرست مؤلفات محبي الدين ابن عربي (٤)     |
| للأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور . . . . . | ٢٨١ مقدمة المرزوقي لشرحه لحماسة أبي تمام (٤) |
| للدكتور محمد صغير حسن المصومي . . . . . | ٢٨٨ رسالة هي بن يقظان مع شرحها لابن صينا (٤) |
| للأستاذ نعم الحمصي . . . . .            | ٢٩٩ تاريخ فكرة إعجاز القرآن (١١)             |

## التعريف والنقد

|                                     |                                        |
|-------------------------------------|----------------------------------------|
| للدكتور مرشد خاطر . . . . .         | ٣١٢ المصطلحات العلمية في اللغة العربية |
| للأستاذ محمد بهجة البيطار . . . . . | ٣١٤ القرآن المجيد                      |
| بلامير مصطفى الشهابي . . . . .      | ٣١٨ مي زيادة                           |
| للدكتور حسي صبح . . . . .           | ٣١٩ علم السموم                         |
| للأهير جعفر الحسني . . . . .        | ٣٢٣ تاريخ العراق بين احتلالين          |
|                                     | ٣٢٤ الحضنة ( الجزائر )                 |
|                                     | ٣٢٦ تاريخ الوزارات المراقبة            |
|                                     | ٣٢٧ ذكريات                             |

## آراء وأبناء

|                                                                                   |                                        |
|-----------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------|
| كلمة الأهر مصطفى الشهابي في حفلة استقباله مضمناً هاملاً في مجمع اللغة العربية بصر | ٣٢٨                                    |
| للأستاذ محمد مصطفى جواد . . . . .                                                 | ٣٣٩ الحزنة الشرقية « الجزء الأول » (١) |
| للأستاذ محمد صلاح الدين الكواكبي . . . . .                                        | ٣٤٧ ( دهاليز ) أم ( كواليس ) ؟         |
| للأستاذ وليد عرفات . . . . .                                                      | ٣٤٨ « الرماح الدينية »                 |

## مَطْبُوعَاتُ المَجْمَعِ العِلْمِيِّ العَرَبِيِّ بِدِمَشْقٍ

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي ( الجزء الأول )
- ٢ - محاضرات المجمع العلمي العربي ( الجزء الثاني )
- ٣ - محاضرات المجمع العلمي العربي ( الجزء الثالث )
- ٤ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي ( الجزء الثاني ) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٥ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي ( الجزء الثامن ) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٦ - رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٧ - المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٨ - تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - الاستجداد من فعات الأجداد للقاضي أبي علي المحسن التنوخي : بتحقيق  
الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - البيرة لبازيار العزيز بالله الفاضلي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١٢ - غوطة دمشق ( الطبعة الثانية ) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٣ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٤ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ . ف . جبريالي  
قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٥ - ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٦ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملة الأستاذ خليل مردم بك
- ١٧ - ديوان ابن حيّوس ( الجزء الأول ) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٨ - ديوان ابن حيّوس ( الجزء الثاني ) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٩ - الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الأول ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسني .



- ٢٠ - الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الثاني ) :
- بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ٢١ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٢ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٣ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( قسم التاريخ ) وضعه  
الدكتور يوسف العث
- ٢٤ - ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور صاحبة الدهان
- ٢٥ - تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر ( المجلد الأول ) : بتحقيق  
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٦ - تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر ( القسم الأول من المجلد الثانية ) :  
بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
- ٢٧ - فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق  
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٨ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن  
يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترمتين .
- ٢٩ - تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ صميد الأفغاني
- ٣٠ - عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
- ٣١ - الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الاستانبولي : شرحه  
وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
- ٣٢ - التبصر بالتجارة للمحافظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
- ٣٣ - المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي
- ٣٤ - تكملة إصلاح ما نفلت به العامة للجواليقي
- ٣٥ - بحر الموائم في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
- ٣٦ - الرسالة النباتية : للأمرير مصطفى الشهابي
- ٣٧ - المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
- ٣٨ - الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ أبي عبد الله الزنجاني